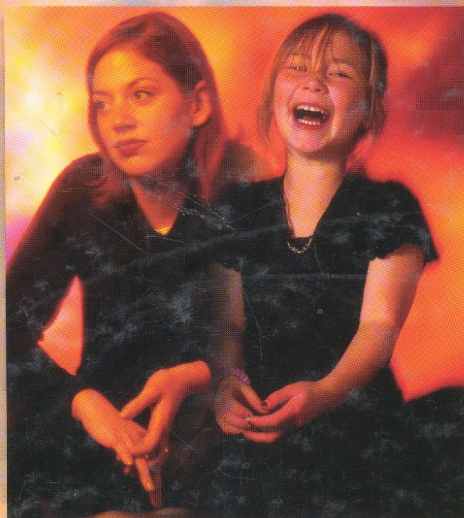
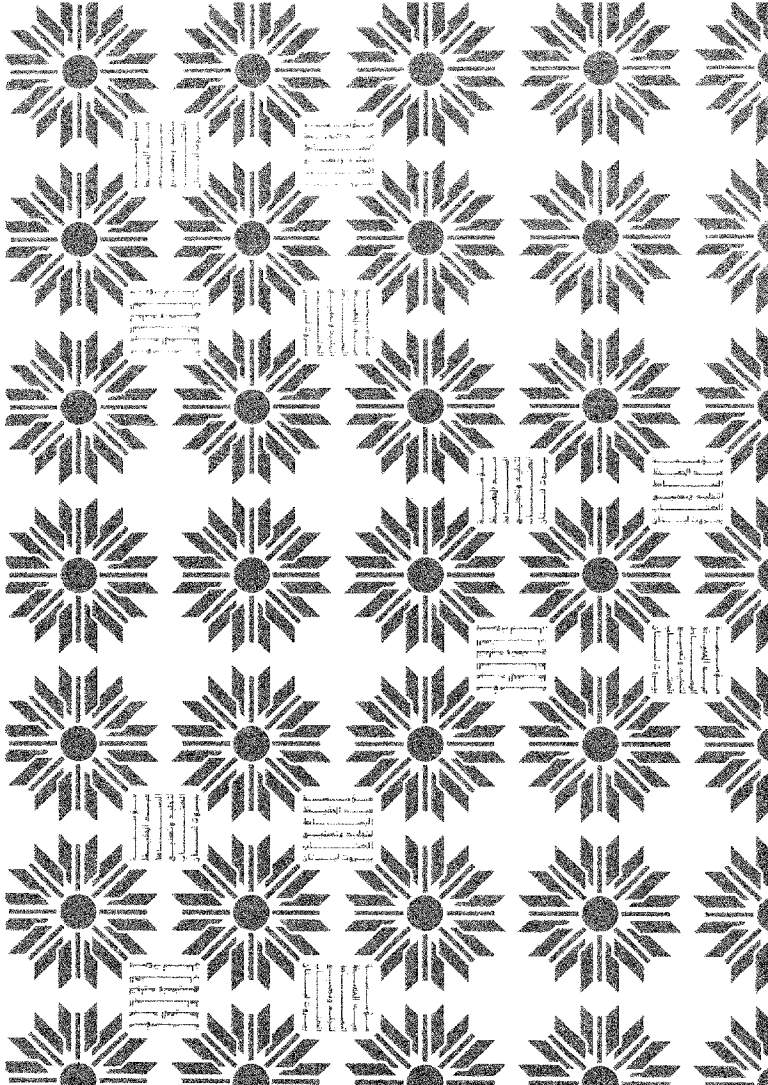


سيكولوجية الطفولة والمراهقة

أ/د. عبدالرحمن العيسوي





1. The first step is to identify the main components of the system.

2. The second step is to analyze the data collected from the sensors.

3. The third step is to process the data and extract the relevant information.

4. The fourth step is to visualize the results and present them to the user.

5. The fifth step is to evaluate the performance of the system.

6. The sixth step is to optimize the system based on the evaluation results.

7. The seventh step is to implement the optimized system.

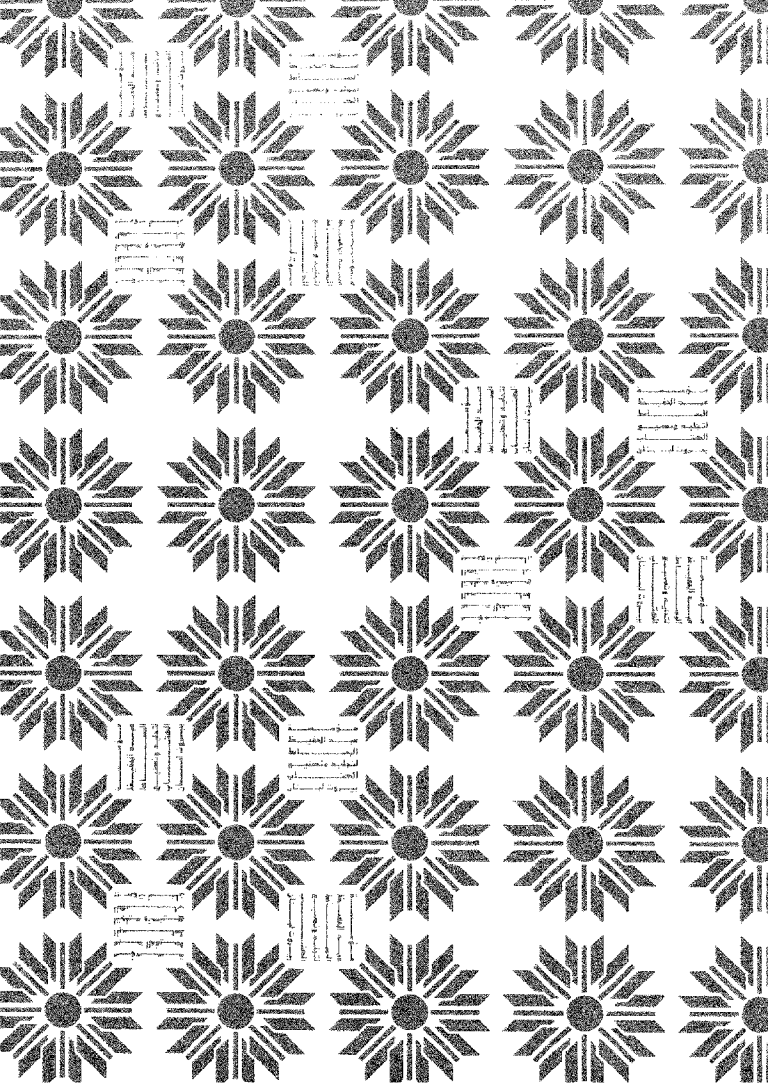
8. The eighth step is to monitor the system and make necessary adjustments.

9. The ninth step is to document the system and its operation.

10. The tenth step is to provide training for the users.

11. The eleventh step is to conduct a final review of the system.

12. The twelfth step is to close the project and archive the data.



مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

مجلس
العلماء
بجامعة
البحرين
البحرين
1998

سيكولوجية الطفولة والمراهقة

"الأسرة ودورها في حل مشكلات الطفل"

تأليف

أ.د: عبد الرحمن محمد العيسوي

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن-عمان

الناشر

دار اسامة للنشر والتوزيع

الاردن - عمان

• الادارة - هاتف: 5658253 - فاكس: 5658254

• المكتبة - العبدلي - فاكس: 5658252

ص. ب: 141781

حقوق الطبع محفوظة للناشر

طبعة 2009 م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٣/٧/١٤٤٦)

١٥٥,٤

العيسوي، عبد الرحمن محمد

سيكولوجية الطفولة والمراهقة/ عبد الرحمن العيسوي .-

عمان : دار اسامة للنشر ، ٢٠٠٣

() ص .

ر. ج: ٢٠٠٣/٧/١٤٤٦.

الوصفات :/السياسة الحكومية/

تم إعداد بيانات فهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

مقدمة

يسرني أن أقدم للقارئ العربي الكريم كتابي "سيكولوجية الأسرة والطفولة". ولقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع الحيوي ما شاهدته من وجود حالات كثيرة من الأطفال المشردين والأحداث الجانحين، ومن أطلق عليهم أخيراً "أطفال الشوارع" وهم الذين لا مقر ولا مسكن ولا مأوى لهم، وهم الذين ينتشرون في المدن الكبرى فينامون تحت الكباري وعلى الأرصفة وفي الشوارع والميادين والحدائق العامة، وحالتهم تمثل أقصى حالات البؤس والشقاء والتعاسة، وتعبّر عن أقصى ما يمكن أن ينال الإنسان من الإهمال والضياع والفوضى والحرمان والتسوية والطرْد والنَبْذ وهم يشكلون ظاهرة غير حضارية بل غير إنسانية، ولا يمكن لمجتمع إنساني وحضاري مثلاً أن يسمح ولو ليوم واحد ولطفل واحد أن ينام في العراء بقرسه البرد والحر والجوع والحرمان وتتخر في عظامه الأمراض.

قد ينجرف في تيار الإدمان والجنوح والاحتراف، ولا يتفق هذا الوضع مع ما حققه المجتمع من تقدم حضاري وازدهار مادي وتقدم صناعي، وما كان لمثل هذه الظاهرة أن تحدث حتى في المجتمع عندما كان بدائياً وفقيراً. كذلك استرعى نظري ما أصاب الأسرة من التفكك والتصدع والانهيار والتحطيم، وعلى التليل تعادلها قائمة من الناحية الرسمية وانفصال أطرافها انفعالياً أو عاطفياً وإن كان يجمعهم سقف واحد.

ولكن بعد أن ضعف سلطانها وقلت رقابتها وولايتها على الأطفال ورعايتها وإشرافها وتوجيهها وترشيدها لسلوك أبنائها. لقد تقلت الأعباء الملقاة على عاتق الأسرة فخارت قواها، وعجزت عن الوفاء برسالتها على الوجه الكامل. الغلاء يطحنها والتنافس والصراع والاعلام غير المرشد ينال من عضد العلاقات ومن سمو القيم فتري الابن يتناول على أبيه ويجحد ويعتدي على تلك المقدمات وتري السباق من

أجل الحصول على مزيد من المال قد أعمى الأسرة عن رسالتها الأولى، فالأب "حاضر غائب" والأم تسعى من أجل لقمة العيش والأبناء في ضياع نفسي حتى وإن توفرت أسباب العيش المادية الرغدة. فقدت الأسرة روابطها العاطفية المقدسة وتماسكها ولحمتها وتقانيها في خدمة أعضائها.

وللأسرة أهمية بالغة في تحقيق التكيف النفسي والاجتماعي والاقتصادي والمهني والتعليمي والجنسي. واختل توازن الاختيار الزوجي وسيطرت عليه مسوارد الزوجة أو الزوج، وضاعت القيم الروحية والأخلاقية في زحمة الماديات وطمغانياتها. وزادت الخلافات والمنازعات والمنغصات الزوجية، تلك التي تتعكس ولا شك على صحة الأبناء الجسمية والعقلية، بل على صحة الزوج والزوجة فما هي الأسباب التي تؤدي إلى نشأة هذه المنغصات وتلك المنازعات؟ وكيف السبيل إلى علاجها؟

الطفولة المبكرة لها ما لها من الأهمية في بناء شخصية الطفل، وتترك بصماتها في شخصيته طوال حياته، حيث تتطبع خبرات الطفولة وتظل تصاحب الفرد مرافقا وشبابا ويقعا ورجلا وكهلا وشيخا. وينور الجسد حول أساليب التأديب والتهذيب والتربية للأطفال بين الحرية المطلقة وترك الحبل على الغارب للطفل، وبين القسوة والشدة والصرامة والحزم الزائد عن الحد. وباتت الأسرة تخشى على أطفالها من تأثير أقران السوء، بعد أن انتشرت المخدرات بينهم وأصبح الشم والإدمان في كل الطبقات وبين كل الأعمار حتى الصغيرة منها. وزادت معدلات جرائم الأقارب وتفسير نمطها واتسامها بالبشاعة واللغظة والوحشية. وكلها ظواهر كانت غريبة على مجتمع الحضارة التي تمتد بجنورها في أعماق التاريخ لأكثر من سبعة آلاف عام. أين خلق القرية المصرية؟ أين قيم الإسلام الحنيف؟

لقد توارت أمام تأثير "الدش" والتقنيات الفضائية والمواد المثيرة للشهوات والفرانز واللعنف والجريمة وأمام موجات البدع والموضات والإقبال على التقليد الأعمى. لقد قلت الروابط الجماعية وحل محلها مناشط فردية مثل الفيديو جيم والألعاب الفردية التي غدت الأنانية والعزلة والانسحاب من حياة المجتمع.

كم نحن في حاجة إلى إعادة النظر في كل جوانب حياتنا وترشيدنا وتصويب مسارها وعلاج مشاكلها لنعود إلى حظيرة الدين وإلى مظلة الإيمان الراسخ والواعسي الذي يستقر في القلب ويصدق العمل، إلى روح الإسلام الخالد وتعاليمه السمحة ومثلته العليا وترابطه وهديه.. إلى قيم الرحمة والشفقة والعدل والتماسك والتضامن والإخاء.

كم نحن في حاجة إلى القيام (بثورة أخلاقية) وإلى العمل الجاد من أجل تدعيم الأسرة بظل أفرادها وتقديم العون لها، وكم نحن في حاجة إلى توجيه الرعاية لأطفالنا وشبابنا وكل أعضاء الأسرة بما فيهم من الزوج والزوجة نون أدنى تفرقه.

والله ولي السداد والتوفيق والرشاد . .

المؤلف :

د . عبد الرحمن العيسوي

تأثير الأسرة في كل أعضائها :

- أهمية الأسرة الحديثة.
- تأثير الأسرة على جميع أعضائها.
- الفجوة بين التقدم العلمي والتقني وبين القيم الأخلاقية.
- أسس اختيار الزواج الصائب.
- تأثر الاختيار الزوجي ببعض العوامل النفسية.
- مفهوم العامل الولادي أو الميلادي.
- المخاطر الولادية على الصحة العقلية.
- العوامل المؤثرة في نمو الطفل.
- التفاعل بين العوامل الوراثية والبيئية والميلادية.
- الوعي السيكولوجي والحياة الحديثة.
- دور علم النفس في الحياة المعاصرة.
- دور علم النفس في مجال الجريمة.
- تفسير الظاهرة الإجرامية.
- النزعة السيكوباتية.
- تعريف التعصب.
- سمات شخصية المتطرف.



تأثير الأسرة في كل أعضائها

أهمية الأسرة الحديثة :

الأسرة **Family** : هي الحضانة التي يتربى وينشأ ويتعرع فيها الأطفال الذين يصبحون رجال الغد. وهي "الرحم" الذي يتكون فيه الكائن الإنساني، والذي يمتاز دون سائر مخلوقات الله ، بطول فترة رضاعته وطفولته *infancy and childhood*، وبالتالي اعتماده على أسرته لسنوات طويلة سواء أكان هذا الاعتماد فيزيقياً بدنياً متمثلاً في الرضاعة والتغذية والحماية *protection* والدفاء والرعاية الطبية والصحية، أم كان ذلك الاعتماد اقتصادياً تفرضه طبيعة الحياة الحديثة وطول فترات التعليم والتخصص العالي وتأجيل تحقيق الاستقلال الاقتصادي للشباب لفترات طويلة حتى يتمكن من الاعتماد على نفسه وإعالتها، ويتضح ذلك من مقارنة طفل الإنسان لطفل الكائنات الأخرى التي تنب عن الطوق وتستقل بعد فترة قصيرة من ميلادها والأسرة هي النواة أو الخلية الأولى التي يتكون منها المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع برمته. فهي التي تعد أفرادها ليكونوا مواطنين وهي التي تزودهم بالمأكل والمشرب والملبس والسكن والمصروف اليومي، وهي التي توفر لهم سبل الوقاية والعلاج والإرشاد والتحصينات المختلفة ضد الأمراض وهي التي تحمي أفرادها من أخطار الحوادث والإصابات، وفوق كل ذلك هي التي تفرس فيهم القيم والمثل العليا والمعايير والمبادئ والقواعد والنظم الأخلاقية والروحية والوطنية والعربية والإسلامية وهي التي تفرس فيهم مشاعر الانتماء للوطن والحب والعطف والحنان والشفقة والرحمة والبر والإحسان والتقوى والورع والصلاح والخشوع وتربيتهم على الطاعة والانترام والانضباط *Conformity* وتنمي فيهم العادات السلوكية السوية كحب

للعمل وإتقانه والتفاني فيه والنشاط والحركة والحيوية، وهي التي تزرع فيهم روح الطموح والأمل والرجاء والرغبة في تحقيق الانتصارات والمكاسب والإنجازات *The need for achievement* وتربيتهم على العطاء والتضحية والقضاء وتلبية نداء الوطن عندما ينادي المنادي أو عندما تهب رياح الخطر لتتال من حرية الوطن أو مقدساته أو شرفه أو عرضه أو استقلاله سواء أكان هذا الخطر خارجياً أم داخلياً. والأسرة الناجحة هي التي تربي أعضائها على الأمل والرجاء والتفائل وارتفاع الروح المعنوية *moral* والبشر والسعادة والانشراح.

تأثير الأسرة على جميع أعضائها :

للأسرة أهمية كبيرة ليس فقط في نشأة أطفالها، وإنما أيضاً في سعادة جميع أعضائها وتمتعهم بالصحة الجسمية والنفسية *physical mental and psychological health* والعقلية وتمتعهم بالسواء والتكيف *Adjustment* وتربيتهم على الفطرة السوية التي فطر الله الإنسان عليها. ومن هنا كانت أهمية تدعيم الأسرة مالياً وعلمياً وتربوياً واجتماعياً ودينياً وروحياً لتقوم رسالتها على أطيب الوجوه وأكملها وخاصة في عصر تزداد فيه الضغوط التي تسقط على كاهل أفرادها، تلك الضغوط التي أدت إلى ضعف سلطانها وقلة إشرافها ورقابتها ورعايتها على جميع أعضائها.

إن اضطراب الأم للعمل خارج المنزل، وكذلك اضطراب الأب للعمل في أكثر من وظيفة قد حالت دون تمكن الأسرة من القيام بدورها التربوي والإرشادي والتوجيهي، ودورها في إحكام الإرشاد والتوجيه وتوفير الحماية لأبنائها. وبالطبع لا يمكن أن ننصوّر أن أباً يعود من عمله في النصف الأخير من الليل مجهداً ومكحوداً وعليه أن يستيقظ باكراً لينخرط في معمة كسب الرزق ثم ننصوّر أنه قادر على توفير الرعاية والإشراف والتوجيه للوالدي أو الأبوي.

إن زحمة العمل وغلاء المعيشة وتعدد الحياة الحديثة وارتفاع مستويات طموح الناس وتطلعهم إلى ما يفوق قدراتهم تحول دون تمكن رب الأسرة من حماية

أطفاله. بل لا يمكن للزوجة أو للزوج من القيام بواجبه حيال الآخر، ولذلك لا بأس من وضع نظام تتقاضى فيه الأم راتبها كاملا وهي ترعى صغارها لأنها في نهاية المطاف، إنما تربيهم من أجل المجتمع وليكونوا سواعد وعقول المجتمع، وليكونوا بنساء نهضته وحملة رايته وقواه المنيعة في الدفاع والذود عن حرمانه ومقدساته، بل إنها تزود المجتمع بقواه العاملة وحملة راية الإنتاج، ولذلك ليس ترفا ان تدفع لها الدولة راتبها وهي تقوم بهذه الرسالة الوطنية حتى يشب أولادها فتعود إلى عملها وهذا النظم ليس بدعة، وإنما معمول به في إنجلترا أو بعض دول العالم الأخرى حيث تدفع رواتب للأمهات في أثناء حضانه أبنائهم.

الحضارة الحديثة تلقى بثقلها على كاهل الأسرة بما تفرضه من الصراع المحتم والمنافسة الشديدة والرغبة الشريفة في تحقيق الطموحات، وذلك إلى جانب ما تنسم به من حضارة العصر من النزعات المادية *Maderalsim* البغيضة وموجات الكفر والإلحاد والمودات والبدع، وعلاوة على ذلك يشعر إنسان العصر بالتهديد من جراء التهديد بالحروب الشاملة والفتاكة ومن جراء الصراعات الداخلية والإقليمية والعالمية وسطوة بعض الدول على مقدرات الشعوب الصغيرة.

الإنسان يدفع من سعائه ثمنا باهظا لحضارة العصر المادية والتي زودته بأساليب الراحة التكنولوجية في شكل الطائرات والسيارات والأجهزة والمعدات، ولكنها سلبته أعلى ما يملك وهو الاستقرار النفسي والشعور بالأمن والأمان والاطمئنان، والراحة والسكينة حرمته من القيم الروحية التي كانت تحفظ على الإنسان حياته وتجعل لها معنى ومغزى وفائدة ورسالة وهدفا وأصبح الإنسان يعيش في ظلام حالك وفي فوضى كونه لا يعرف لنفسه مكانا في خضم هذا الكون المتلاطم الأمواج ويقف الإنسان، قليل الإيمان، تعصف به الرياح والأنواء والأعاصير.

لما في ظل حضارتنا الإسلامية فإن الروى واضحة والهدف من الحياة معروف وواضح وهو عبادة الله تعالى.

الفجوة بين التقدم العلمي والتقني وبين القيم الأخلاقية:

لقد شهد هذا القرن تطورا سريعا وحاسما في مجال العلوم والتكنولوجيا والمخترعات والمبتكرات، ولكن لم يظهر ما يواكب هذا التطور وتلك المخترعات من القيم الأخلاقية التي تضبط استعمالها أو تحكم للسلوك الإنساني حيالها، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، من ذلك ان انشطار الذرة وتوليد طاقات هائلة عنها، لم يصاحبه صدور نسق قيمي أو أخلاقي يضبط استخدام هذه الطاقة ويحكمه بحيث تستخدم في مجالات السلام والخير والنفع الإنساني أو في العلاج مثلا أو في توليد الطاقة لأغراض سلمية، وإنما استخدم في التهديد بقاء العالم والقضاء على حضارة الإنسان وفي التخريب والتدمير والقتل وسفك الدماء، وخير مثال على ذلك إلقاء القنابل النووية على جزيرتي هيروشيما ونجازاكي في اليابان في أواخر الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٤) بل أصبح السلاح النووي أداة تهديد وسطوة وبطش في يدها والسيطرة على الدول التي لا تملك السلاح النووي. ومن ذلك أيضا ما نشاهده عندما يدفع الثراء الأسرة إلى شراء سيارات لمرافقها ويقومون هم بالعبث بالسيارات والدخول في سباقات تؤدي إلى تحطيم السيارة وقتل الأبرياء أو قتل المراهق نفسه ومن ذلك العبث في معاكسة النساء من قادة بعض السيارات والخروج على قواعد المرور وآدابه، وكذلك العبث في استخدام الهاتف في المعاكسات أو في السب والتفخ أو في الشتم الزائدة عن الحد وبالمثل الإفراط والإسراف في مشاهدة التلفاز إلى الحد الذي ينقلب إلى ضرر صحي يصيب العيار المشاهد ويقتل فيه روح ممارسة الأنشطة الرياضية وكافة المناشط الإيجابية ويحوطه إلى ممن مشاهدة تسم سلوكه بالسلبية فضلا عما يسببه من سمنة مفرطة إلى جانب ما يعرضه من مواد ضارة ومثيرة للغرائز والشهوات أو لدواعي العنف، وحتى أجهزة الكمبيوتر ظهر لها جرائمها وسرقة برامجها والإطلاع على أسرارها حتى الأسرار الحربية الخطيرة.

هناك فجوة بين القيم الأخلاقية والمنجزات التقنية ولذلك يلزم عالمنا ثورة أخلاقية تحكم سلوك أفرادها وتوجهها ثورة قوامها العلم والإيمان والخلق القويم وخير

منبع نستقي منه كل هذه القيم هو إسلامنا الحنيف وقيمه الخالدة على مر العصور والدهور.

الأسرة وما يصيبها من التصدع والانهيار لا تؤثر سلبا على حياة الأطفال وحسب وإنما أيضا على حياة الزوج والزوجة وقد يعتقد البعض أن التصدع الأسري يصيب المرأة وحدها بالألم والقلق، إنما الحقيقة المؤكدة انه يصيب أيضا الزوج بكثير من القلاقل والمتاعب النفسية والاجتماعية والصعوبات التي يجدها في إعادة ترتيب حياته من جديد.

وتبدأ الرعاية الوجيهة منذ لحظة اختيار شريك أو شريكة الحياة، تلك العملية التي يتعين أن تخضع لبعض القيم والمعايير وإن كان التنبؤ بنجاح الزواج أو فشله ما يزال أمرا صعبا بسبب تعقد العلاقات الزوجية وتشابك العديد فيها وتفاعلها مع كثير من المؤثرات المعروفة سلفا وغير المتوقعة ولكن مع ذلك تفيد بعض الأسس والمعايير بصفة عامة جدا مع وجود العديد من حالات الاستثناء.

أسس الاختيار الزواج الصائب:

هناك عدة معايير يمكن أن تتخذ مؤشرا للتكيف الزواجي منها:

١. الاتفاق في العقائد أو المذاهب الدينية.
٢. الاتفاق أو التقارب في المستوى الاقتصادي والتعليمي والثقافي والاجتماعي.
٣. الزواج من أبناء الجنسية الواحدة أو السلالة الواحدة.
٤. الاتفاق أو التقارب في الميول والقيم والمثل والمعايير والعادات والتقاليد والأعراف وأنماط السلوك.
٥. الفهم المتبادل لشخصية كل منهما ودوافعه وميوله واتجاهاته.
٦. وجود قدر معقول من القبول والرضا والعاطفة.
٧. الفهم المشترك لطبيعة الزواج ورسائله وأهدافه وأعبائه وواجباته ومسؤولياته وعوامل المحافظة عليه.
٨. التفاهم أو التقارب بين أسرتي الزوج للزوجة.

٩. التقارب في العمر.

١٠. التمتع بقدر معقول من الصحة العقلية والنفسية والحالة المزاجية إلى الخلو من الأمراض العقلية والنفسية والاضطرابات السلوكية كالشذوذ الجنسي أو الإدمان أو الجنوح والجريمة والعنف والتطرف أو العادات السلبية كالإهمال واللامبالاة والتهرب من تحمل المسؤولية والعبث والكسل والترخي والقدارة وعدم المحافظة على المظهر الهندام، والانفلات وعدم الدقة والتحكم والضبط في السلوك، وفي العواطف والانفعالات أو النهم والطمع والجشع والأنانية والاستحواذ والسيطرة والتسلط والعدوان والغش والخداع والرياء والنفاق والكذب والإسراف الزائد أو البخل والشح والتقتير أو الميل للعصبية وسرعة النرفزة والسب والقذف وتوجيه الشتائم لأبسط الأسباب وإشياء أسرار الأسرة وعلاقتها الداخلية أو المباهاة والتظاهر بأكثر مما تحتمل طاقة الإنسان أو قدراته أو الخيانة الزوجية أو وجود خبرات سابقة سيئة عن تجربة الزواج وتكوين الأسرة سواء لدى الزوج أو الزوجة نفسها أو استقاء ذلك من أسرتها كأن تكون أمها قد عاشت مسيطرة ومتسلطة وسبابة شتامة لزوجها في صباها حتى لا تنقل الزوجة الابنة هذه السلوكيات السالبة إلى حياتها الجديدة أو التردد والطمع والجشع والنظر إلى أشخاص آخرين غير الزوج أو الزوجة، ورفض الزوجة استعدادها للعمل والإسهام في نفقات الأسرة إذا كان الزوج في حاجة إلى ذلك.

١١. وجود اتجاه عقلي موال لفكرة الزواج وفلسفته وتقديس الحياة الزوجية وحب الأسرة بالفعال مشكلات وصراعات بين حقوق الرجل وحقوق المرأة في حين انهما شيء واحد وشركاء في الأصل وفي المواطنة وفي الحقوق والواجبات ولا توجد مشكلة تخص المرأة وحدها ذلك لأن المرأة تعيش في أسرة واحدة ومن هنا فإذا كانت تعاني من مشكلة ما فإن الأسرة برمتها تعاني من ذلك والمرأة لا توجد في فراغ لأنها هي جزء لا

يتجزأ من النسيج الاجتماعي الأسري فهي ابنة وأخت وأم وزوجة وجدة وعمة وخالة وبالمثل فإن الرجل لا تنفصل حياته عن الأسرة كلها فهو أب أو ابن أو جد أو زوج في نطاق الأسرة والمجتمع وعلى ذلك لا يمكن الفصل بين ما يخص الرجل وما يخص المرأة ولذلك ليس هناك ما يعرف باسم أدب النساء مثلاً أو مشاكل المرأة أو حقوق المرأة أو مثل ذلك للرجل وحده وإنما هناك مشاكل وآمال وطموحات تخص الأسرة كلها باعتبارها وحدة واحدة متفاعلة متكاملة يؤثر بعضها ويتأثر ببعضها الآخر. فالرجل من المرأة وإليها والمرأة كذلك فلا بد من تبيان الفروق بينهما ومنع وقوع الصراعات.

١٢. الميل الأصلي لاحترام الطرف الآخر.

١٣. التمتع بالقيم الروحية والدينية والأخلاقية والتمسك بالمثل العليا.

١٤. الاعتقاد الراسخ بأن أساس قيام العلاقة الزوجية هو المودة والسكينة والرحمة والعطف والحب والحنان والنفاء والتعاون والأخذ والعطاء والاستقرار تلك المبادئ النابعة من تراثنا الإسلامي الخالد كما في قوله تعالى: { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتكفونوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن مني خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتكفونوا إليها } (الروم: ٢١). وفي هذا أبلغ تعبير عن وحدة الأصل والمنبع والاتحاد والتوحد المطلق بين طرف العلاقة الزوجية فالمرأة خلقت من نفس الرجل تعبيراً صادقاً وبلغنا عن الوحدة الإيمانية من الاتحاد والتقصص بحيث يشعر الإنسان أنه وزوجته شيء واحد وجسد واحد وروح واحدة من هنا تختفي مظاهر ودعاوى الفرقة والانقسام والصراع والمنافسة بين طرفي العلاقة الزوجية. كما نعد إلى ذلك بعض المؤسسات العنوانية والصهيونية والاستعمارية التي تسعى لخلق الفرقة والانقسام بين الرجال والنساء عملاً بالمبدأ الاستعماري البغيض "فرق تدمد" بين طوائف المجتمع المشكلة.

١٥. الاستعداد لقبول قدر معقول للحد من المشكلات التي قد تنشأ بالضرورة من جراء التفاعل الأسري، ومؤدى ذلك عدم الاعتقاد الواهم بأن الحياة الزوجية المقبلة عبارة عن جنة الله في الأرض وانها حياة حالمة رومانسية غارقة في الرومانسية وتبادل العواطف الحارة، وإنما لا بد من تكوين فكرة واقعية والاستعداد لتحمل قدر من المشاكل الأسرية أو الاختلاف في الرأي. ذلك لأن المشاكل الأسرية لم تخل منها حتى أسر الأنبياء والمرسلين. فالرسول عليه الصلاة والسلام خير زوجاته بين الطلاق والمعيشة الصالحة معه.

١٦. الاهتداء بالهدى النبوي الشريف في حسن اختيار الزوجة والاهتمام، في المحل الأول، بتوفر الجانب الديني والأخلاقي. قال (ﷺ): "تتكح المرأة أربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" البخاري. وقوله كذلك: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" الترمذي.

١٧. النظرة الشمولية والمتوازنة لصفات الزوجة المقبلة أو الزوج فلا يمكن الاهتمام بعنصر واحد وترك العناصر الأخرى وإنما لا بد من التكامل ووجود قدر معقول ومتناغم من هذه السمات على أنها بعضها قد يعوض بعضها إلى حد ما. بمعنى عدم إهمال عنصر الجمال والحسب والنسب أو الوضع الاقتصادي أو الثقافي أو التعليمي وإنما أخذ جميع الظروف في الحسبان.

١٨. توفر عنصر موافقة الأهل أو ولي الأمر.

١٩. وجود قدر من الكفاءة أو التقارب.

٢٠. ضرورة دفع المهر للزوجة^(١).

على أن هذه العناصر لا تحسب بطريقة كمية جامدة وإنما بطريقة اعتبارية.

(١) أحمد الحجي الكردي، أثر حسن الاختيار في تخفيف الطلاق، الوعي الإسلامي الكويتية، العدد

٣٧٨، مايو ١٩٩٧.

تأثر الاختيار الزوجي ببعض العوامل النفسية:

عملية الاختيار الزوجي لا تسير سيرا موضوعيا جامدا أو لا تخضع للمقاييس الموضوعية الكمية، وإنما تتأثر ببعض العوامل النفسية الشعورية واللاشعورية من ذلك ما يلي:

١- مبدأ التعويض Compensation:

حيث يسعى الرجل أو المرأة للزواج لتعويضه عن هذا النقص، عن صفة أو سمة أو قدرة يشعر أنها تنقصه وأن زوجته سوف تعوضه عن هذا النقص، كالرجل الفقير الذي يتطلع إلى الزواج من امرأة ثرية أو ذات حسب ونسب وجاه وسلطان كي يصعد في السلم الاجتماعي أو يجد ما يعوضه عن نقص لديه سواء أكان هذا النقص حقيقيا أو متوهما ولا شعوريا.

٢- البحث عن التكامل:

فالرجل المنطوي الخجول المنسحب من معترك الحياة الاجتماعية قد يسعد بامرأة اجتماعية منبسطة قادرة على إقامة علاقات اجتماعية واسعة وعلى تنظيم علاقاته الاجتماعية.

٣- والرجل الضعيف:

قد يسعد بامرأة منسلطة أو قوية الشخصية تحمل عنه هموم الحياة وتصد عنه نوائب الدهر.

٤- والشباب الذي شب على حب أمه:

والتعلق الأوديبي بها والإعجاب بسماتها وعاداتها وتقاليدها وشكلها قد يتزوج من فتاة تشبه هذه الأم وتحاكيها.

٥- الشاب الذي رفضته فتاة جميلة فارعة الطول والعرض:

قد يعمد إلى خطبة من تماثلها شكلا وحجما لكي يثبت لنفسه وأمامها جدارته بها.

٦- رجل الأعمال والتجارة قليل الحظ من التعليم العالي:

قد يعمد إلى الزواج من سيدة تحمل أرقى المؤهلات العلمية.

٧- عقدة المسيد أو عقدة الخوارج:

قد تدفع بعض الناس كما كان يحدث في العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن، تدفعه هذه العقدة بالتباهي بالزواج من أرباب الدولة المسيطرة أو الاستعمارية كما حدث في الزواج من أبناء الشعب الإنجليزي أو الأمريكي أو الفرنسي.

٨- ربما يتأثر الاختيار ببعض العوامل السياسية:

كالزواج من دولة أو قبيلة قوية .

٩- قد يعمد الشباب صاحب الشخصية القوية والمسيطرة:

إلى الزواج من فتاة طيبة مسالمة سهلة الانقياد.

١٠- الشخص البخيل :

قد تستهويه المرأة البخيلة مثله والزواج يخضع لكثير من العوامل المتغيرة والمتجددة ولا يمكن التنبؤ مائة بالمائة في تكيف الزواج، ولكن على المرء أن يسعى ويدقق بقدر المستطاع وعلى الله للتساهيل.

وتترك الحياة الأسرية بصماتها قوية وراسخة في شخصية الطفل. ويبدأ هذا التأثير منذ اللحظة الأولى لإخصاب بويضة من رحم المرأة بحيوان منوي من الرجل ويظهر ذلك فيما يعرف باسم العوامل أو المؤثرات الولادية أو الميلادية وهي العوامل التي تؤثر على صحة الأم الحامل وبالتالي تؤثر في شخصية الجنين وفي نموه وفي تكوينه الجسمي والعقلي والنفسي من ذلك تعرض الأم الحامل للإشعاعات والأوبئة والتلوث وتناول المخدرات والعقاقير والأدوية دون استشارة الطبيب وممارسة الرياضات العنيفة والتعرض لبعض الأمراض مثل الحصبة الألمانية والأنيما أو فقر الدم وتناثر فصيلة دم الأب والأم والتخين الكثيف والإدمان والسودات المتعثرة أو الصعبة.

مفهوم العامل الولادي أو الميلادي *congenital*:

سمة أو خاصية أو استعداد أو حالة توجد منذ ميلاد الفرد، ولكنها ليست بالضرورة وراثية أي ليست منقولة عبر الجينات *Genes* أو ناقلات الوراثة من الآباء والأجداد، وهي أيضا ليست مكتسبة أو متعلمة من جراء الاحتكاك والتفاعل مع

البيئة لأنها توجد قبل ذلك. وقد تكون هذه الحالة موجودة عند الميلاد أو حتى قبل الميلاد، ولكنها ليست بالضرورة وراثية أو موروثية *hereditary* أو ليست بالضرورة فطرية *innate* ولذلك هناك ما يعرف باسم العمى الخلقي أو الولادي أو الميلادي *congenital blindness* والنقص الولادي *congenital defect* والتشوه الولادي أو السمة الولادية *congenital rrait* ومن الاضطرابات الولادية فقدان الإحساس بالألم الولادي *congenital analgesia* وهناك الزهري الميلادي *congenital syphilis* وفقدان سماع للنغم الميلادي *congenital tone deafness* وعمى الكلمات الولادي ومن ذلك التشوهات *Deformities* والنقص أو العجز الميلادي كالعرج والالتواء في الجسم والصمم والعمى، وغير ذلك من العيوب الميلادية ومهما كان حجم الإعاقة فإن المهم هو اتجاه الفرد نحوها بالقبول أو التعايش أو الرقض. فإذا قبل الإنسان نواحي الضعف عنده كان تأثيرها أقل على نموه وعلى شخصيته وسلوكه.

وترجع العيوب الخلقية أو الميلادية هذه إلى وجود تأثير سلبي في مرحلة الحمل أو قبل وأثناء ولادة الطفل أي في البيئة الرحمية للمرأة منذ لحظة الإخصاب أو الالتقاء بين الحيوان المنوي والبويضة.

ومن العوامل أو المؤثرات الميلادية على الطفل تعرض الأم الحامل للحوادث والإصابات، وممارستها للرياضات العنيفة كالقفز في حمامات السباحة أو ركوب الخيل وتعرضها للإشعاع أو أشعة اكس وإلى السموم والاشعاعات المختلفة وكافة أنواع التلوث وتعاطي الخمور والمخدرات والأدوية دون استشارة للطبيب وإصابتها ببعض الأمراض وخاصة الحميات والحصبة الألمانية، وتعرضها لأمراض الأنيميا أو فقر الدم وسوء التغذية ومن ذلك أيضا زواج الأقارب وتكرار الحمل وكبير أو صغير سن الأم الحامل وتعرضها للتفاعلات العنيفة في أثناء فترة الحمل والولادات المتعثرة واختلاف دم الأم عن فصيلة دم ابنها ومن هنا كانت ضرورة رعاية الأم الحامل منذ لحظة الإخصاب.

المخاطر الولادية على الصحة العقلية *Natal hazards* :

قد يتعرض الطفل في أثناء الولادة لبعض المخاطر الولادية وفي الغالب ما تكون هذه الظروف المصاحبة لعملية الولادة نفسها مسؤولة عن حدوث التخلف العقلي البسيط ويمكن تمييز عدة أخطار رئيسة في هذا الصدد منها على سبيل المثال:

١- الولادة المبكرة قبل لصوح اطفال *prematurity*.

٢- اختناق الولادة *Birth anaxia* .

الولادة المبكرة، غالبا ما تؤدي إلى إنجاب طفل قليل الوزن أي أن وزنه عند الميلاد يكون أقل من الوضع السوي ففي الغالب ما يقل وزنه عن (٥, ٥) رطلا ويقود صغر الوزن هذا إلى عدة صعاب فيزيقية وعقلية. وعلى سبيل المثال ترتفع في هؤلاء الأطفال نسبة الوفيات بما يعادل ٢٥ ضعفاً أزيد من الأطفال الأسوياء. إن أصحاب الوزن العادي كذلك نسبة الإصابة عندهم بالصعوبات العصبية تبلغ ثلاثة أضعاف حجمها لدى الأسوياء وفي ظل التقدم الطبي الحديث وتوفير الرعاية الطبية فإن الأطفال المولودين مبكرا يعيشون لسن الطفولة.

وفي دراسة تناولت (٥٥) طفلا كان وزنهم أقل من ثلاثة أرطال عند الميلاد، عندما بلغوا سن الخامسة من العمر، كان هناك (٥٨%) منهم كانت نسبة نكائهم أقل من (٨٠%) و(٣٠%) منهم فقط انتظموا في المدرسة ولكن ما هو السبب في ذلك أو ما هو سبب العلاقة بين قلة الوزن عند الميلاد ومظاهر العجز اللاحقة التي تصيب الطفل؟ هذه العلاقة ليست واضحة حتى الآن. الأمر الذي يحتاج إلى مزيد من الدراسات والفحوص، ربما يرجع ذلك إلى ضعف الصحة العامة أو ضعف أعضاء جسم الإنسان عما لو كانت في حالة النضوج الكامل وربما لسهولة الإصابة بالعنوى التي تهاجم جسم الطفل، كذلك في حالة الانوكسيا *anoxia* أي فقدان الأوكسجين في جسم الطفل أو في الدم أثناء الولادة *dack of oxygen*. قد يؤدي إلى الإصابة بالتخلف العقلي البسيط.

Mental retardation .

حالة الاختناق هذه قد تحدث من الانفصال المبكر عن الامداد بالدم عن طريق

المشيمة في أثناء عملية الولادة أو من جراء العجز عن التنفس الطبيعي والتلقائي بعد

الميلاد مباشرة.

في الدراسات التي أجريت على القردة تبين أن الاختناق يرتبط بالتدمير
الدماغي. الأطفال الذين كانوا يعانون من صعوبات في التنفس أظهروا كثيراً من
نواحي الشذوذ العصبي والعجز العقلي أكثر مما ظهر عند جماعات الأطفال الضابطة.

اضطراب *Kernicterus* :

وينتج عن عجز الكبد عن أداء وظائفه بصورة جيدة في الطفل حديث الولادة،
ويمكن أن يؤدي إلى التخلف العقلي، عندما تزداد معدلات مادة بيوكيميائية تسمى
bilirubin في جسم الرضيع تؤدي إلى اصفرار لون الجلد، ويعد هذا دليلاً على
سوء وظائف الكبد وقد يؤدي ذلك إلى تدمير كبير في خلايا الدماغ وإلى بعض
الاضطرابات العضوية وإلى نوبات من الصرع *Epilepsy* إلى جانب التخلف العقلي
مع اختلاط الدم أو امتزاجه لذلك يجب تلقي العلاج الطبي والرعاية الطبية *Blood*
transfusions وتعرض الطفل لضوء معين كل ذلك يساعد في هضم مادة
Bilirubin وهذا الإجراء يقلل من خطورة هذه الحالة.

هذه هي المخاطر المصاحبة لعملية الولادة وأثارها على التخلف العقلي، ولكن
هناك مخاطر تحدث بعد ميلاد الطفل *PASTRATAL HAZARDS* فمن الممكن
أن تحدث اضطرابات بعد ميلاد الطفل مباشرة، عن طريق عدد من العوامل أو
الظروف السببية من ذلك الجروح التي تصيب الدماغ. وتتوقف الأعراض على مدى
خطورة التدمير الذي يصيب الدماغ، وكلما كان التدمير شديداً كانت الإعاقة العقلية
شديدة. إلى جانب ذلك قد تهاجم العدوى دماغ الطفل بعد ميلاده.

هذا الاضطراب عبارة عن يرقان مواليدي خطير ويطلق عليه يرقان كرنيتسي
وهو أحد مظاهر احمراية خلايا الدم في نخاع العظام عند الطفل. وإذا لم يعالج
الطفل بعد الولادة، فإنه يعاني من أعراض مثل الارتجاج والتصلب وفقدان الوعي.
ونسبة الوفيات عالية بين هذه الحالات إذا لم يتم علاجها. ومن أعراضه الضعف العقلي
والصرع وارتعاش الأصابع ويتم العلاج عن طريق نقل دم بدلاً من الدم السائب.

وذلك بالإضافة إلى جروح الدماغ في مرض التهاب الدماغ أو التهاب المخ *Encephalitis* وفيه يصاب الدماغ نفسه بالالتهاب *inflame* في حالة التهاب الغشاء السحائي *meningitis* وفي هذه الحالة فالأربطة المحيطة بالدماغ وبالحبل الشوكي *Spinal Card* تصاب بالعدوى وكلا الاضطرابين قد يسهما في حالة الشذوذ العقلي *Mental subnormahly* ويسبب طبيعته الفيروسية فإن مرض التهاب الدماغ *Encephalitis* لا يمكن علاجه عن طريق المضادات الحيوية *antibiotics* ووجود حالات للتدمير الدماغى المستديم في الحالات شديدة التدهور قد تصل إلى (١) في كل (٣) حالات. أما الحالات الشائعة من مرض *Meningitis* فهي حالة بكتيرية، ويمكن عادة معالجتها بالمعالجات الحديثة. ويفيد في ذلك التشخيص المبكر والمعالجة المبكرة لتقلل من احتمال حدوث التخلف العقلي. كذلك فإن الأورام الدماغية *Crenial neoplasms or brain turnours* يمكن أن تسبب الإصابة بالتخلف العقلي أو إعاقة الوظائف العقلية وفقدان الرؤية والصداع. ولكن مع الاكتشاف المبكر لمثل هذه الحالات وتقديم المعالجات اللازمة فإن التأثير السلبي لأورام المخ يمكن تقليله إلى أقصى درجة ممكنة.

إلى جانب هذه العوامل الميلادية أو العنصرية التي تسهم في الإصابة بالتخلف العقلي، فإن العوامل الاجتماعية والثقافية يمكن أن تسهم في حصول بعض الحالات المرضية أيضاً. من تلك الظروف الاجتماعية والثقافية السيئة فعلى الرغم من ظهور تأثير العوامل الفيزيائية الشاذة في نشأة التخلف العقلي إلا أن مثل هذه الظروف مسؤولة فقط عن ثلث حالات التخلف العقلي وإن كان التخلف فيها يتسم بالشدّة، وأغلبية حالات التخلف من النوع البسيط، والذي لا توجد له أسباب عضوية، ولذلك فقد وجدت معظم الدراسات في هذا الصدد أن معظم الأسباب هي أسباب نفسية أو أسباب ترجع إلى النظام. من ذلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة. من ذلك ما وجدته إحدى الدراسات الأمريكية أن معدلات الأمية كانت ثلاثة أضعاف مستواها القومي بين الفقراء أو قليلي الدخل الذين قل دخلهم السنوي عن ٣٠٠٠ دولاراً أمريكياً. علماً بأن عدم القدرة على القراءة لا تكفي ذاتها على المعالجة من التخلف العقلي، فقد ترجع إلى ظروف

للفقر أو الظروف الأسرية أو عدم الرغبة في استكمال التعليم. ومع ذلك فهي تؤثر على تكيف الفرد وأدائه في المجتمع، كذلك دلت الإحصاءات على ارتفاع نسبة التخلف العقلي في المناطق الحضرية الفقيرة كذلك يرتبط الفقر بضعف الصحة الجسمية أو اعتلالها فلقد وجد أن معظم المخاطر الفيزيائية أو البيئية على نمو الطفل وعلى إصابته بالعدوى أو بالأمراض المعدية بعد الميلاد تحدث بمعدلات أكثر بين الأطفال الفقراء وكذلك السيدات الحوامل تتعرض للخطر أكثر من أبناء الطبقات الأخرى من المجتمع. ذلك لأن المخاطر السابقة على الولادة يمكن تلافيها، إذا توفرت الرعاية اللازمة التي لا تتوفر في الغالب في المناطق المحرومة أو في المناطق الفقيرة، كذلك يصاحب سوء الصحة أو ضعف الصحة سوء البيئة المنزلية أو الأسرية. بعض أعضاء الأسرة قد يكون حاملاً للعدوى، كذلك فإن البيئة المنزلية قد تعاني من الزحام الزائد عن الحد أو تكون مملوءة بالمخاطر أو قليلة التدفئة أو الإضاءة أو النظافة أو الأثاث وتزيد مثل هذه الظروف من إصابة الطفل ومعاناته من التدمير الدماغي من جراء الأمراض الدماغية أو الحوادث والإصابات.

كذلك فإن الناس في هذه البيئات قد تحتضن اتجاهات أو مواقف عقلية تؤدي إلى تقليل الأداء العقلي أو الوظائف العقلية لدى أبنائهم فقد تشجع البيئة السلوك الامتثالي لدى الطفل دون تشجيعه على الاستجابة للمواقف التعليمية، كذلك فإن الأطفال في هذه المناطق لا يكتسبون كثيراً من الخبرات قبل الذهاب للمدرسة أي التربية قبل المدرسية أو التربية المنزلية وقد تكون الأم فاقدة للشعور بأهمية التعليم في حياة ابنها أو تكون كسولة بحيث لا ترعاه ولا تشجعه ولا تساعد في القيام بالواجبات المنزلية المدرسية، وقد لا توفر للطفل الظروف الهادئة واللهو في المنزل وقد تشاركه اللعب ومشاهدة التلفاز واللهو وقد يؤثر الأب تشغيل ابنه للصبي في الورش والحقول والمحلات التجارية نظير أجور سريعة وزهيدة وقد تفتقر البيئة المنزلية إلى المجلات والكتب والمحادثات الذكية والثقافية وقد تنسى الأم بالكمال وإلقاء المسؤولية على الأب أو على المدرسة وما إلى ذلك وقد يضعف اتجاه الأم نفسها نحو قيمة التعليم وتعتبره عديم الفائدة وخاصة إذا كانت هي نفسها قد تعلمت وفشلت في الحصول على ثمار تعليمها

ولم تتوظف بشهادتها وعلى ذلك يعاني الطفل من التخلف الدراسي أيضاً. وإذا كانت البيئة المنزلية تلعب دوراً في تمكين الطفل من النمو العقلي ومن الأداء الذهني، فإنه يتعين أن يتوفر للأسرة الإمكانيات والتوجيهات والإرشادات التي تساعد في قيام الأسرة الحديثة بمهامها.

وأياً كانت الأسباب التي يرجع إليها التخلف العقلي، فإنه في الإمكان الوقاية من بعضها، ومعالجتها كلها أو على القليل الحد من أضرارها وأخطارها ليتمكن الطفل من استثمار كل ما لديه من قدرات الاستثمار الأمثل وإن كانت محدودة. فهناك مناهج متعددة للعلاج منها العلاج النفسي الفردي والجماعي والعلاج عن طريق ممارسة اللعب وهناك أساليب تعديل السلوك وهناك برامج التعليم والتعليم الخاص أو التربية الفكرية المخصصة للمعاقين. وهناك الإبداع في المؤسسات أو دور الإيواء^(١).

العوامل المؤثرة في نمو الطفل :

يتأثر نمو الطفل وشخصيته وسلوكه بثلاث مجموعات من العوامل المتفاعلة والمتشابكة والمتكاملة أو المتنافرة أحياناً وهي :

١- العوامل الوراثية *Hereditary factors* :

ويقصد بها ما ينقل من الآباء والأجداد إلى الأبناء أو الذرية، وذلك عبر الجينات أو ناقلات الوراثة، وتظهر أكثر ما تظهر هذه العوامل الوراثية في لون الشعر وشكله، ولون البشرة وطول القامة، وبناء الجسم، وفي بعض القدرات كالذكاء، فالعوامل الوراثية تؤثر في تكوين الطفل. والحقيقة أن الوراثة تضع الحدود العامة التي تحدد تصرف الإنسان حيال البيئة وكيفية استفادته من الظروف البيئية.

يعني أن الوراثة هي عملية الانتقال من الآباء والأمهات والأجداد إلى الذرية

The Frans mission from parents to offspring

والحقيقة أن الخلية المخصبة تستقبل عدداً من الجينات من الأب وعداداً آخر من الأم. ولكن هذا لا يمنع أن السمات الوراثية تتأثر بعوامل البيئة ويحدث نوع من التفاعل

(١) عبد الرحمن العيسوي، التخلف العقلي، دار النهضة العربية، بيروت، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٢.

الدقيق بين المؤثرات الوراثية وظروف البيئة الرحمية قبل ميلاد الطفل وبعده. والحقيقة انه لا يوجد سمة وراثية بحثة وأخرى بيئية صرفه، ذلك لأن المسألة مسألة اختلاف في درجة للتأثير، وإنما الإنسان في واقع الحال، ابن للبيئة والوراثة معاً. ولكن من الأهمية بمكان أن نؤكد أن وجود السمة منذ الميلاد لا يعني بالضرورة انها منقولة عن طريق الوراثة أو انها وراثية. فهناك العوامل الميلادية أو الولادية أي التي يولد الإنسان مروراً بأثرها أو يتأثر بها بعد ميلاده مباشرة *congenital Factors* من ذلك الصدمات والإصابات والجروح التي يتعرض لها الطفل في أثناء عملية الولادة ، فهو تأثر وراثي، ولكنه ليس وراثياً. وقد يرث الطفل استعداداً عاماً للإصابة ببعض الأمراض. وفي الآونة الأخيرة أصبح هناك كثير من المحاولات من قبل علماء الهندسة الوراثية في تحسين وراثه الكائنات الحية وتعديل الجينات وتحسينها وتهجينها.

٢- العوامل أو المؤثرات البيئية *Environmental Factors*:

ويقصد بالبيئة كل ما يحيط بالإنسان من ظروف مناخية وتضاريس وحرارة وبرودة ورطوبة وإضاءة وتهوية، وما يوجد في البيئة من تلوث، ومصانع ومبان ومظاهر حضارية وغلاف جوي وضوضاء أو زحام وتكس، وما يحدث من أحداث ووقائع، وكل ما هو خارج عن الإنسان يقع ضمن بيئته. فهي مجموع أو مجمل للظروف الخارجية تلك العوامل القادرة على التأثير في الكائن الحي. ولكن البيئة تختلف عن المثبرات التي تثير الفرد، ذلك لأن هناك بعض المثبرات الداخلية في داخل الفرد ذاته. ويمكن تمييز شقين للبيئة هما:

(أ) البيئة المادية أو الجغرافية أو الفيزيائية، وتشمل الموقع والتضاريس والطقس والمصانع والمباني وما إلى ذلك.

(ب) البيئة الاجتماعية وتشمل جميع الجماعات البشرية التي تحيط بالفرد وأهمها جماعة الأسرة ثم جماعة الأقران أو الزملاء أو الأصدقاء وجماعة العمل والدراسة والجيرة، وكذلك تشمل العادات والتقاليد والأعراف والمثل والمعايير والقيم واللغة والدين والمبادئ والقوانين وما إلى ذلك مما يندرج تحت مضمون الثقافة العامة والمحلية للفرد.

فالبينة المؤثرة في الطفل وفي الراشد الكبير تشمل ظروف التربية والتنشئة الاجتماعية وظروف التغذية والتدريب والتطعيم أو التحصين ضد الأمراض المختلفة، والتعرض للأمراض والأوبئة والمخاطر المختلفة، والفقر والحرمان والقشل والإجباط والقسوة والعنف والإهمال والنبذ للطفل والطرود والتشرد، وأقران السوء والتعرض للحوادث والإصابات والعاهات، ويميل علماء النفس والتربية إلى التركيز على العوامل البيئية، وذلك لإمكان التحكم فيها وتعديلها وتحسينها بالنسبة للطفل أو نقله من بيئة غير مؤاتية إلى أخرى، أما الوراثة فإن للتأثير فيها ما يزال محدوداً للغاية.

يضاف إلى ذلك إلى أن البيئة تؤثر حمّاً في السمات والصفات والقدرات المحددة أصالة وراثياً. وعلى ذلك فإن الوراثة تعطي المادة الخام أو الأصول الأولى أو البذور أو الجذور أو الإطار العام التي تتولاها البيئة إما بالتنمية والصقل والتثذيب والازدهار، واما أن تصيبها بالطمس والذبول والاضمحلال والتلاشي والضياع. كذلك فإن البيئة هي التي تحدد المسار أو الطريق الذي تتخذه القوى أو القدرات الوراثية، فهي التي ترشد استخدام واستثمار ما لدينا من قوى وقدرات موروثية.

فالذكاء مثلاً قدرة فطرية وراثية، ولكن توظيفه واستثماره واستخدامه واستغلاله يخضع لظروف البيئة والتوجيه والإرشاد، فإما أن يتجه هذا الذكاء إلى العلم والنبوغ في العلم أو الفن أو الأدب والاختراع والإبداع وإما أن يتجه نحو الجريمة والجنوح والاحتراف. وبالمثل فإن سلوك الجنس أو سلوك تناول الطعام بل حتى الإخراج وقضاء الحاجة تتأوله البيئة والتربية بالصقل والتثذيب والارتقاء به حضارياً. فالطفل يأكل بفعل دافع غريزي، ولكنه يأكل ملتزماً بأداب المائدة، أو يتعلم كيف يطهو الطعام ولا يأكله نيئاً. والدافع الجنسي فطري في طبيعته، ولكن إشباعه يخضع لقيود الدين وضوابط المجتمع وقيمه فلا يباح إلا في الحلال وبعد الزواج الشرعي.

٣- مجموعة العوامل الميلادية *Congenital Factors* :

وهي العوامل التي تؤثر في صحة الأم الحامل في أثناء فترة الحمل وفي أثناء عملية الولادة، كالتعرض للأشعة والتلوث أو إيمان الأم الخمر والمخدرات أو الولادة المتعثرة أو تعاطي الأم الأدوية والعقاقير دون استشارة الطبيب أو ممارسة الرياضة

العنيفة أو التعرض للأمراض مثل فقر الدم والحمى أو حتى التعرض للانفعالات الحادة والعنيفة أو إصابتها ببعض الأمراض كالبول السكري أو اختلاف فصيلة دم الأب عن الأم من حيث السالب والموجب وما إلى ذلك.

التفاعل بين هذه العوامل :

على أن هذه العوامل لا يعمل كل منها منعزلاً أو مستقلاً عن غيره من العوامل، وإنما يقوم بينها علاقات تفاعل أي أخذ وعطاء وتأثير، أو تأثير متبادل بين العوامل الوراثية والبيئية والميلادية. فيحدث تأثير متبادل.

Mutual or reciprocal in fluence two or more system
(English 270).

الوعي السيكولوجي والحياة الحديثة

نور علم النفس في الحياة المعاصرة :

في كل يوم تتسع آفاق علم النفس الحديث ورحابه، وخاصة في جوانبه التطبيقية والعملية، لتشمل مجاًلاً جديداً من مجالات الحياة العصرية، فألى جانب فروع هذا العلم التقليدية كعلم النفس الاجتماعي والصناعي والتربوي والمهني والسيكولوجي والإكلينيكي والمرضي أو علم نفس الشواذ وعلم نفس الإرشاد، وعلم نفس النمو، وهناك بوادر لعلم النفس البيئي والهندسي والمعماري والقانوني والقضائي والعمالي والإداري والجنسائي والعسكري، إلى جانب عمليات فنية تقنية، كالتقاسم والتقويم، ودراسات الشخصية، وعلم النفس التجاري والسياسي والسياحي والإعلامي.

وعما قريب نتوقع أن يفرّد علم النفس فرعاً من فروعها لكل مجال من مجالات الحياة العصرية، فيصبح هناك علم نفس التلوث وعلم النفس الاقتصادي وعلم النفس للتنموي والجمالي والفني والأدبي وما إلى ذلك.

وإذا كنا نعيش في عصر العلم والمنهج العلمي، فإننا يجب أن نعتمد على العلم والمنهج العلمي في حل كل ما يواجهنا من مشكلات وفي تحقيق كل ما نصبو إليه من غايات، وأمام تعدّد الحياة الحديثة وصعوبة التكيف وإياها، تصبح هناك ضرورة

لتعيين أخصائي نفسي مؤهل ومدرّب تدريباً جيداً ليعمل في كل تجمع بشري كالنّسادي والمحكمة والمصنّع والبنك والمدرسة والكلية وما إلى ذلك، ليقدم الخدمات النفسية والرعاية النفسية لكل من يحتاج إليها، وقاية وعلاجاً وتشخيصاً.

بل إن القادة وما يصدرونه من قرارات حاسمة وذات أثر سيكولوجي عميق على نفسية أبناء المجتمع، يحتاجون إلى وجود مستشارين من علماء النفس لتقويم القرارات والمشروعات والسلوكيات قبل وبعد صدورهما لتحاشي الآثار النفسية السالبة، ولضمان تكوين اتجاهات إيجابية لكفالة تنمية روح الوطنية والتضحية والقداء والانتماء الوطني والإسلامي.

والحقيقة أن علم النفس لم يعد قاصراً على تقديم خدماته العلمية والمهنية للطوائف أو الفئات الشاذة في المجتمع الحديث كالمجرمين والجانحين وضعاف العقول والمرضى العقليين والنفسيين وأرباب الاضطرابات السيكوسوماتية، وحسب ، ولكن نشاطه امتد ليشمل كل مجالات الحياة العصرية كالتعليم والصناعة والتجارة والسياسة والسياحة والنفقة والحرب والسلام والتنمية والإدارة والإعلام وما إلى ذلك.

بل لقد وجد أن الأسوياء من الناس يحتاجون للخدمات النفسية كما يحتاجها المرضى والشواذ.

ففي دراسة أمريكية على مجموعة سوية من طلاب الجامعة من الأصحاء جسدياً، طلب منهم الباحث أن يدون كل من لديه مشكلة أو مسألة يريد أن يتحدث فيها مع الأخصائي النفسي، وكانت المفاجأة أن الغالبية العظمى دونت أسماءها طابئةً مقابلة الأخصائي النفسي أو أخصائي الإرشاد للتحدث عما يعانون منه من المشكلات النفسية والأسرية والتعليمية .. الخ.

ولنا أن نتوقع مثل هذه النتيجة وما يتجاوزها إذا سلأنا مجموعة من العمال أو الموظفين الكادحين أو الجنود أو الفلاحين أو غيرهم ممن يتحملون أعباء الحياة الحديثة ومشاقها.

ونظراً لاتساع دائرة المشاكل والأزمات والتوترات النفسية في كل مكان، فإنه يتعين فتح مراكز للبحث النفسي لدراسة مسائل مثل الجريمة والجنوح والانحراف

والإدمان والتطرف والإرهاب والغلاء ومشاكل أخرى كالمسئولية واللامبالاة ، وعدم تحمل المسؤولية، والمشكلة السكانية من جوانبها النفسية، ومشاكل التعليم والدراسة والقبول بالجامعات والبطالة ومشاكل الأسرة والشباب والمراهقة والشيوخ، وما إلى ذلك كإنشاء مراكز للتوجيه المهني والتدريب المهني تقوم على أسس سيكولوجية وعلمية. يخدم علم النفس أو بالأحرى، في الإمكان أن يخدم في جميع مجالات الحياة العصرية، وللمسوق على ذلك مثلاً: دوره في مجال دراسة الجريمة وتفسيرها والوقاية منها ومكافحتها والتعرف على دوافعها وأسباب حدوثها.

دور علم النفس في مجال الجريمة:

يهتم علم النفس بدراسة السلوك السوي منه والشاذ، وعلى وجه الخصوص يهتم أحد فروع الحثية بدراسة الجريمة وهو علم النفس الجنائي الذي يهتم بدراسة الجريمة وأسبابها، وشخصية المجرم، وسماته، فيبين أنواع الجريمة باعتبارها ظاهرة نفسية واجتماعية، وليس باعتبارها كما يعرفها القانون، ظاهرة قانونية استناداً إلى النص القائل بأنه لا جريمة بلا نص، فإذا لم ينص في قانون العقوبات في مجتمع ما في حقبة ما، على أن سلوكاً معيناً مؤثماً أو معاقباً على فعله، فلا جريمة في الأمر، فالجريمة نسبية لاختلافها باختلاف الزمان والمكان، وهي شخصية فلا يسأل عنها فاعلها أو محرمة.

وتختلف الجرائم شدة وبساطة، ولذلك تقسم إلى مخالفات وجنوح وجنايات ولا شك أن للجريمة أسباباً نفسية شعورية أي يعيها الفرد ويقطن إليها ويدركها، وأسباباً أخرى لا شعورية، لا يعيها ولا يدركها ولا يعترف بها لنفسه أو لغيره، وهناك أيضاً العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والوراثية أو العضوية التي تلعب أدواراً متفاوتة في حدوث الجريمة.

تفسير الظاهرة الإجرامية:

وإذا كان هناك في التراث العلمي محاولات لتفسير السلوك الإجرامي، بإرجاعه إلى عامل واحد كالوراثية أو العوامل العضوية أو التكوينية أو الجبلية فإن

الاتجاه المقبول الآن هو الاتجاه المتعدد العوامل النابع من النظرة الشمولية ولقد فشلت القول بعامل واحد في تفسير الظاهرة الإجرامية، سواء أكان هذا العامل نفسيا شعوريا أم لا شعوريا أم كان اجتماعيا أم اقتصاديا.

الاتجاه المقبول ، إذن: هو النظر للجريمة نظرة شمولية في ضوء العوامل السببية المتعددة وهي:

(أ) العوامل الوراثية أي ما ينتقل للإنسان من سمات وصفات وخصائص وقدرات وميول من آباءه وأجداده عبر ما يعرف باسم ناقلات الوراثة أو الصبغيات أو الجينات ويؤيد هذا الرأي ما يلاحظ من تشابه السلوك الإجرامي لدى الآباء والأبناء، أو عبر أجيال متعددة من أسر بعضها. وتزايد هذا التشابه أو ذلك الارتباط كلما زادت درجة القرابة.

والقول بالوراثة ، وحدها، يغلق الأبواب ويوصدها أمام البحث عن أسباب أخرى، ويغل أيدنا عن محاولة الإصلاح والتعديل والتأديب والتهديب ما دام الأمر مقدرًا وراثيًا. اللهم إلا ما يسعى إليه فرع جديد من العلوم البيولوجية وهو "الهندسة الوراثية"، إذ يحاول هذا الفرع تحسين السلالات عن طريق تحسين الوراثة أو الجينات والتخلص من الجينات الضعيفة.

(ب) العوامل البيئية المسؤولة عن حدوث الجريمة والجنوح والانحراف، ومن ذلك خبرات الفشل والإحباط والحرمان والقسوة والطرده والنبذ وانعدام الرعاية والإشراف والرقابة الأبوية واختفاء القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدى به، وتوفر أقران السوء أو رفقاء السوء، والحياة في محيط أسري مقطم، من جراء الطلاق أو الانفصال أو الهجر أو موت أحد الآباء أو كليهما، والتكثف النفسية والاجتماعية غير الصالحة، والتعرض للأمراض والحوادث والإصابات، ونقص التغذية وما إلى ذلك مما يحيط بالفرد بعد ميلاده من عناصر البيئة بشقيها: المادي الجغرافي أو الفيزيقي، والمعنوي أو الاجتماعي أو النفسي، كالنظم والعادات والتقاليد والثقافات للفرعية التي قد تقبل الإجرام وتشجعه مثلا.

ج) مجموعة العوامل الديدالية، وهي تلك التي لا تنتمي إلى البيئة، لأنها ليست مكتسبة من البيئة التي يعيش الفرد في كنفها ويتفاعل وإياها، وليست وراثية أو منقولة من الآباء والأجداد ولكن الإنسان يولد مزوداً بها أو يصاحبها عند الميلاد، من ذلك ما يلقاه الجنين من صعوبات في الولادات القيصرية أو المتعثرة، كالاختناق أو تدمير بعض خلايا الدماغ أو نقص امدادات الدم والأكسجين إلى دماغ الطفل أو تعرض دماغ الطفل للآذى من جراء ما قد يستخدم من آلات لجذبه من الرحم.

ومعلوم أن رحم الأم إن هو إلا بيئة يعيش فيها الطفل، ولذلك يتأثر بما يقع من حوادث، وإصابات وما تتعرض له من السموم، أو ما تتعاطاه من أدوية أو عقاقير دون استشارة طبية، وما يعثرها أو يبتابها من نوبات الانفعال الحادة، وما تصاب به من أمراض كالحصبة الألمانية، التي وجد أنها تصيب الطفل بالتخلف العقلي إذا أصيبت بها الأم الحامل. كذلك قد يؤدي لاختلاف فصيلة دم الأم والأب إلى تكوين أجسام مضادة في جسم الطفل مما يعرضه للإصابة بالصفراء أو فقر الدم، وذلك إذا كانت فصيلة دم الابن مختلفة عن فصيلة دم الأم الحامل.

ومن الناحية الوصفية والواقعية يمكن أن نتصور المعادلة الآتية في تلخيص أسباب نشأة السلوك الإجرامي أو الانحراف أو الإصابة بالمرض. وتأخذ هذه النظرة في الحسبان، مقدار مقاومة الفرد وقدرته على تحمل ما يسقط فوقه من ضغط وما يتعرض له من احباطات إلى جانب عاملي البيئة والوراثة، وضرورة مرور فترة زمنية طويلة نسبياً يكون الفرد فيها معرضاً لسقوط الضغوط عليه. فالمؤثرات العارضة الوقتية يزول أثرها بزوالها، فضلاً عن علاقة التفاعل أو التأثير والتأثر أو التأثير المتبادل بين عناصر هذه العوامل السببية، فهي تؤثر وتتأثر ببعضها بعضاً. وعلى ذلك يمكن وضع المعادلة الآتية تفسيراً للسلوك الإجرامي:

$$\frac{\text{السلوك الإجرامي} = \text{الوراثة} \times \text{البيئة} \times \text{فترة زمنية}}{\text{المقاومة}}$$

ويتناول علماء النفس دراسة عوامل فرعية في تفسير الجريمة وحدثها من ذلك نزعاً استهداف الجريمة. فإذا كان هناك في الحقل الصناعي نزعاً استهداف التورط في الحوادث بين العمال، وهي عبارة عن ميل لا شعوري للتورط في الحوادث وإصابات العمل، فبالمثل هناك نزعاً "انحراف التورط في الجريمة لأسباب لا شعورية تكمن في اللاشعور".

وترتبط الجريمة بظواهر أخرى شتى، من ذلك: الفقر والإيمان والغلاء والبطالة والتطرف والظلم الاجتماعي، حيث يفقد الإنسان وعيه وإدراكه، ومن ثم يتورط في الجريمة أو تنفعه الرغبة في إشباع حاجة إلى الإيمان، وهي حاجة باهظة التكاليف، إلى السرقة أو القتل أو الاتجار والجلب في مجال المخدرات، وبذلك يتحول من مجرد مريض مدمن إلى مجرم يقف في مواجهة القانون فالإيمان بصاحبه حالة من فقدان الوعي أو البصيرة والإدراك، ولذلك قد يتورط الفرد في الجريمة. ومن هنا تبرز دراسات العلاقة بين الجريمة والإيمان، ظاهرة الإيمان التي يزداد انتشارها في هذه الأيام مواكبة مع تزايد الجريمة والإرهاب والانحراف عموماً، هذه الظاهرة يكثف تحليلها عن عدة عمليات تتمثل في :

أ) الاعتماد المتزايد للجسم وخلياه ووظائفه على تناول العقار المخدر وتوقف هذه الوظائف إذا لم يتوفر العقار فيما يُعرف باسم "الاعتمادية"، ولا يختلف أمر الاعتماد هذا سواء كان الإيمان نفسياً أم فسيولوجياً فكلاهما يدفع لقهر الإنسان وعبوديته للمادة المخدرة.

ب) "الاحتمالية" أي قدرة الإنسان المتزايدة على احتمال الأكثر المخدر للعقار أو الأكثر التسممي للعقار المخدر، زيادة القدرة على تحمل كميات مستزايدة بالتدريج على ذات العقار لإحداث نفس التأثير التخديري، ولذلك يحتاج المدمن لجرعات متزايدة من العقار، جرعات تأخذ في التزايد باستمرار، مما يعرضه للوفاة أو الجنون.

ج) "الانسحابية" وتتمثل فيما يعاني منه المدمن في حالة انسحاب العقار المخدر من بين يديه وعجزه عن تناوله، ولذلك يعاني من جملة أعراض بالغة الشدة والقسوة والألم والتعاسة والاكتئاب كتقلص العضلات وتشنجها، والرشح واحمرار العينين، والهلاوس والضلالات وفقدان الشهية وما إلى ذلك من الأعراض التي تتجم عن انسحاب العقار، وعدم قدرة المدمن على تناوله. ولذلك ليس غريباً أن يجعل علم النفس من بين اهتماماته قضية الإدمان وأثرها في تعشي الجريمة والدعارة وغير ذلك من ضروب الجنوح والانحراف والشذوذ الإداري، كالرشوة والاختلاس والتزوير والتزييف وما إلى ذلك من انهيار أسرة المدمن وفقدانه لوظيفته ومكانته وصدقاته وكرامته وسمعته. ولذا كان علم النفس الجنائي يدرس العلاقة بين الجريمة والجنون مبرزاً الجوانب الشاذة من الجريمة، وخاصة جرائم الاغتصاب، وهناك العرض، والسرقفة للقهرية، أو ما يعرف اصطلاحاً باسم هوس السرقفة أو الولع باضرام النيران أو هوس الحريق، وغير ذلك من مظاهر الشذوذ الجنسي كالجنسية المثلية وجرائم الخطف والهيام بالأطفال وبجثث الموتى والسادية والماسوسية والفيثسية والتلصص الجنسي والاستعراء الجنسي وما إلى ذلك، فإذا كان الأمر كذلك، فإنه يدرس أيضاً أثر الذكاء أو الضعف العقلي في الجريمة، ومدى احتمالية تورط ضعاف العقول في جرائم الدعارة والتسول والتشرد والسرقفة والنشل وارتباط نمط آخر من الجريمة بالذكاء المرتفع كجرائم التزوير والتزييف والتجسس والجرائم السياسية وجرائم السرقات الكبرى التي تحتاج إلى تخطيط ودرجة عالية من الذكاء.

ويهتم علم النفس الجنائي بمدى إمكان تقدير الاعفاء من المسؤولية الجنائية لمن يرتكب فعلاً مجرمًا وهو في حالة فقدان الوعي أو التمييز بين الصواب والخطأ أو الحلال والحرام أو لا يعلم إطلاقاً طبيعة ما يقوم به من أعمال كما هو الحال في حالة الذهانات العقلية الحادة، حيث يكون الإنسان في حالة يشبه فيها الحيوان الأعجم.

وفي هذا الصدد يتناول علم النفس أيضاً موضوعاً طريفاً وهو موضوع الشخصية السيكوباتية، وإلى أي مدى يمكن أن يتورط صاحب الشخصية السيكوباتية في الجريمة والجنوح والانحراف، وعما إذا كان في الإمكان إعفائه من المسؤولية الجنائية. ويمتد اهتمام علم النفس فيدرس المسؤولية العقلية عموماً قبل أن يقرر المسؤولية الجنائية.

الفرقة السيكوباتية :

معروف ان السيكوباتية هي : اضطراب من اضطرابات الشخصية يعاني صاحبه من ضعف الضمير، وعدم الإحساس بالمسؤولية، وعدم الرغبة في تحملها، ويمتاز الشخص السيكوباتي بعدم الإحساس بالذنب أو بتأنيب الضمير بعد ارتكاب الأعمال غير الخلقية، كما انه لا يستفيد من تجاربه في الماضي، بل حتى لا يستفيد من العقاب، ويمتاز بالعدوان والرغبة الجامحة في إشباع دوافعه على حساب الآخرين، ولا تؤثر حالة السيكوباتية على نكاه المصاب، ولذلك نجد كثيراً منهم يشغلون مناصب لا بأس بها، ولكنهم يتورطون في جرائم تحتاج إلى قدر أكبر من الذكاء، كالنصب والاحتيال والتزوير والتزييف. وترجع إصابة هؤلاء إلى عدم نمو الضمير الخلقى نمواً طبيعياً لاندحام الرعاية والإشراف الأبوي، وغالباً ما نجد هؤلاء بين جناح الأحداث ومحترفات الدعارة، ويعجز المريض عن ضبط وقمع الدوافع المضادة للمجتمع والمضادة للقيم الخلقية.

وقد تكون السيكوباتية أحد دوافع الجريمة. وفي الآونة الأخيرة ظهرت الحاجة إلى دراسة ظواهر مثل التعصب والتطرف والعنصرية والتمييز العنصري والتسلط والديكتاتورية وما إلى ذلك من ظواهر العصر.

تعريف التعصب:

فالتعصب : يعني نوعاً من العقيدة أو الحكم موالٍ أو مضاد لشيء أو شخص أو جماعة أو لمبدأ أو فلسفة أو جنس معين، كالتعصب العنصري على شرط ألا يكون على أساس أدلة صحيحة، وليس من السهل تعديله أو تغييره بتوفير الأدلة المضادة، وقد

يوصف بأنه اتجاه أو عاطفة تجعل الفرد يميل لفعل، أو التفكير أو الإدراك أو الشعور
إزاء الناس الآخرين بطريقة غير مولية أو مولية^(١).

فالتعصب، اعتقاد لا تسانده الأسس أو البراهين أو الحقائق، وهو بذلك يختلف
عن الاتجاه العقلي الذي يتوفر فيه عنصر معرفي من بين مقوماته إلى جانب الوجدان
أو الشعور والسلوك. ومن المفاهيم المهمة التي يلزم الوعي بها في هذه الأيام مفهوم
التطرف.

سمات شخصية المتطرف *Extremist* :

يشير إلى الشدة أو المبالغة أو الصرامة أو الإفراط والمغالاة والذهاب فسي أي
موضوع أو في السلوك إلى أقصى الأطراف أو الذهاب إلى أبعد الحدود أو الوصول
إلى نهاية الطرف الآخر أو البلوغ إلى الدرجة القصوى في السلوك أو في الاتجاهات
والمعتقد والآراء والأفكار، واتخاذ أو انتهاج الإجراءات المتطرفة. والشخص المتطرف
يطلق عليه أحياناً الشخص الراديكالي والراديكالية تنبئ بحدوث هلاك قريب.

والتطرف لغة معناه: تجاوز حد الاعتدال والتوسط، ولذلك لا تطرف فسي
الإسلام بل وسطية واعتدالية. وقد يكون التطرف في الأمور السياسية أو الاجتماعية
أو الاقتصادية أو الدينية. والتطرف قد يكون فردياً بمعنى قيام فرد واحد بممارسته، وقد
يكون جماعياً تمارسه جماعة من الناس أو طائفة من الطوائف.

والشخص المتطرف جامد الفكر متصلب للرأي، حاد المزاج، ضيق الأفق،
يتشبث برأيه ويرفض الحوار فيه، ويتمسك بوجهة نظره وإن كانت خاطئة أو لا
تساندها الأدلة والوقائع والبراهين. والمتطرف بعيد عن الواقع والواقعية ويؤمن
بالأفكار الجامدة الصماء التي يعتبرها مطلقة وصادقة ولا تقبل الجدل أو التعديل أو
التحوير.

والمتطرف منعزل يعيش في عالمه المغلق على ذاته، لا يقبل النقد ولا يحتمله،
فضلاً عن بعده عن الامتثال لقيم المجتمع ومثله ومعاييره وتقاليد السائدة، ومن ثم لا

(١) عبد الرحمن محمد العسوي، النمو الروحي والخلقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، ١٩٨٠.

يدين بالولاء أو الطاعة أو الالتزام.

والمتطرف يتعد عن المرونة الذهنية ولا يؤمن بالأخذ والعطاء وتبادل الرأي والمشورة والحوار. والمتطرف تفكيره ليس تفكيراً علمياً لأن العلم يؤمن بالدينامية والتغير، والتطور، ونمو الأفكار، وتعديلها وفقاً لتغير الحقائق الواقعة، ووفقاً لما تظهره التجربة والقياس، وفي العلم، الكلمة الحاسمة للتجربة.

والمتطرف شخصية متسلطة تريد أن تفرض رأيها، ولو بالقوة، وتعتقد انها على صواب، وأن جميع الناس على خطأ.

والتطرف إما أن يذهب إلى أقصى اليمين أو إلى أقصى اليسار في الأمور السياسية أو الثقافية أو العنصرية أو العرقية والسلالية. مثل هذا الجنوح اليساري أو اليميني يخلق بطبيعته علاقة عداوة مع المجتمع، وتصادم معه، لأن المجتمع دائماً يؤمن بالتوسط والاعتدال.

والمتطرف يسعى لفرض آرائه، وهو في سبيل ذلك قد يعتدي ويرتكب الجرائم، ويسلك سلوكاً مضاداً للمجتمع. والمتطرف يريد أن يقهر الجماعة، وأن يخضعها لرأيه. ولا يؤمن المتطرف بالقول المأثور المنحدر إلينا من الفلسفة اليونانية القديمة بأن "الفضيلة وسط بين طريقين كلاهما: رذيلة أو إفراط وتفريط". فالزيادة عن الحد سلباً لم إيجاباً تنقلب إلى ضدها. والتطرف مقضي عليه لا محالة ويتضمن ذاتياً عناصر فثائه.

ويهتم علم النفس الجنائي بدراسة شهادة شهود العيان وما قد يعتريها من عوامل الخطأ الشعوري أو اللاشعوري، ونزعة الإنسان لاستكمال الفجوات التي تقع في تذكره وفي إدراكه وما تتعرض له شهادة الشهود من تأثير النسيان والنزوع إلى ملء الفجوات من عيئته، وغير ذلك مما يعرف باسم عامل الإغلاق في الإدراك الحسي. ويدرس علم النفس تلك الدراما التي تنور في رحاب قاعات المحكمة وما فيها من مؤثرات تتناول المتهم والدفاع والقضاة والمدعين. والرأي العام وأثره في اتجاه الدعوى القضائية، وكيفية التأثير في القضاة وإقناعهم، وجذب انتباههم، وترتيب الأدلة، بحيث توتي ثمارها المرجوة وتستخدم بعض التقنيات الفنية في مجال الجريمة والقضاء، منها كتحائف الكذب للتحقق من مدى ارتكاب المجرم للجريمة المنسوبة إليه من عدمه وتقوم

فكرته على قياس التغيرات الكهربائية التي تطرأ على سطح الجلد لدى المتهم نتيجة لما يعثره من العرق وزيادة قطراته على سطح الجلد.

هذا العرق الذي يزداد نتيجة للكذب ومن ثم وخز الضمير عندما يسأل المحلل المتهم بعض الأسئلة أو يسرد عليه بعض الكلمات المتعلقة بالجريمة وظروفها وملابسها ودوافعها ومكان حصولها والأداة المستخدمة فيها وأسماء الضحايا.

على أن النتائج المستمدة من كشاف الكذب لا يعتد بها إلا كقرينة فقط والا إذا قام بتشغيل هذا الجهاز أخصائي مدرب ومؤهل تأهيلاً يطمئن إليه.

هذا ولا تقتصر الدراسة في علم النفس في مجال الجريمة على الجوانب العملية التطبيقية أمام المحاكم وهيئات التحقيق، ولكن لهذه الدراسة جوانبها النظرية.

فيرتد إلى الوراء ليدرس تاريخ تفسير الجريمة ويتناول نظريات كمنظريه (لامبروزو) وقوله بأن المجرم مولود مجرماً وقوله بالاتحطاط التكويني للمجرم. وغير ذلك من النظريات العضوية أو الفيزيائية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية ودراسة العوامل التي تدفع للسلوك الإجرامي.

ومن ذلك فرض الإحباط ومواده أن تعرض الفرد لمواقف الفشل، والإحباط هو الذي يدفعه للسلوك العدواني، ومنه الجريمة والاعتراف والجروح والإرهاب.

ولذلك فمن الأهمية بمكان أن تتغير نظرة المجتمع للمذنب من كونه مجرماً إلى كونه مريضاً يحتاج إلى العلاج وإعادة التأهيل للتدريب، بحيث يعود بعد قضاء العقوبة عضواً نافعاً في المجتمع.

ومن هنا تبدو الدعوة لاستخدام العلم في مقاومة موجات الإرهاب الحالية ومكافحته والوقاية مستقبلاً من شره وحماية الشباب من التورط والسقوط في مستنقع الإرهاب السحيق. ترى كم نحن في حاجة إلى الوعي السيكولوجي والثقافة السيكولوجية في هذا العصر بالغ التعقيد والصعوبة؟

هذا مجرد مثال واحد للفكر السيكولوجي والعلاج السيكولوجي في دراسة ظاهرة كالإجرام والإرهاب والجروح والاعتراف، وكيف يتم تطبيق المئات من المبادئ والقواعد والأسس العلمية والتقنيات الفنية في هذا العلم الناشئ الفتى.

الأسباب المؤدية للتصدع الأسري

- أسباب الطلاق: " دراسة ميدانية "
- تأثير الطلاق على الصحة العقلية والنفسية للأطفال.
- الصحة العقلية والظروف الزوجية.
- سبل الوقاية من التصدع الأسري.
- ضرورة فض المنازعات الأسرية.
- العوامل النفسية في تجربة الطلاق.
- هل من مصلحة الأسرة المصرية الحديثة تعقيد روابطها ؟
- المرأة المسلمة في إعدادها الروحي.

أسباب الطلاق

دراسة ميدانية

ما من شك في ان الطلاق قد يكون ضرورة في بعض الحالات التي تسوء فيها العشرة ويستحيل فيها التفاهم بين الزوجين ولكن بدون شك ان معظم حالات الطلاق تعود الى عدم توفر الاسس والمقومات التي بني عليها الزواج والتي يمكن ايجازها في الآتي:

- ١- عدم التوافق الجنسي بين الزوجين مما يؤدي الى ازدياد درجة الخلافات ووصولها الى نقطة يصعب معها التوفيق ويصبح لا مناص من حل رابطة الزواج.
- ٢- الحب الرومانتيكي الذي يسبق الزواج والذي يشترط الوقوع فيه عدد كبير من الشباب كشرط جوهري للزواج ومن المعروف ان كثيرا من المحبين لا يخططون لمستقبل علاقاتهم تخطيطا واقعا وعندما يصطدمون بضرورات الحياة ومشقاتها يصعب عليهم التكيف ويدركون انهم خططوا لمستقبلهم على أساس غير سليم.
- ٣- اختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي قد يكون عاملا في المدى القصير او الطويل في حل رابطة الزوجية لان الأسرة وهي جماعة تقوم على التعاون المتبادل لا تستمر طويلا مع وجود فوارق يحسها الزوجان باستمرار.
- ٤- وهناك أسباب اقل أهمية تعجل بقرار الطلاق في بعض الحالات من اهمها^(١):
 - * عدم صلاحية احد الزوجين او كلاهما أصلاً للحياة الزوجية وقد يرجع عدم الصلاحية الى أسباب جسمية او عدم النضج الاجتماعي والنفسي، كفساد أخلاق أحد الزوجين، او جنونه او فقده لمقومات جنسية.
 - * سوء اختيار الشريك وعدم توفر التكافؤ في المستويات والميول والاتجاهات وخاصة بسبب وجود فارق سن كبير بين الزوجين مما يؤدي لتباعد الميول مما يسبب الفشل.

^١ ... علي الدين السيد محمد، الأسرة والطفولة في محيط الخدمة الاجتماعية، ط ١١، بدون ناشر القاهرة، ١٩٨٥م،

* العقم أو الإصابة بالأمراض السرية التي تسبب الإجهاض المستمر وعدم الانسجام الجنسي.

* عدم كفاية الدخل أو عدم اتباع الكياسة في الاتفاق فقد يهمل رب الأسرة أسرته وينفق معظم دخله على ملذاته الخاصة ويترك شئون المنزل بدون اتفاق مما تضطر الزوجة للشكوى وبالتالي تسوء العلاقة بين الطرفين أو تكون الزوجة مسرفة أزيد من اللازم.

* تدخل الأهل في شئون الزوجين، فما زالت الحماية تغار على ابنها من زوجته بدوافع نفسية، مما يؤدي إلى متاعب للزوجين. كذلك تدخل أم الزوجة في شئون ابنتها وزوجها مما يؤدي إلى ان تسوء العلاقة بين الزوجين، ويزيد من هذه المشكلة وجود الزوجين في سكن مشترك مع الأسرة القديمة.

* القسوة وسوء المعاملة خاصة بالنسبة للزوج تجاه زوجته وفي الغالب تكون القسوة وسوء المعاملة مظهرا لدوافع سلوكية أخرى لا يعلنها الزوجان لما فيها من حرج خاصة إذا ارتبطت بجوانب جنسية، ولكن في أحيان أخرى قد يكون أحد الزوجين¹ مصابا بمرض نفسي " السادية أو الماسوكية " لذلك يتسم سلوكه بالقسوة وسوء المعاملة مما يؤدي لفشل الحياة الزوجية.

* الغياب الطويل لأحد الزوجين أو الحكم بسجنه لمدة طويلة.

معدلات الطلاق:

ويصنف بعض العلماء العوامل التي تؤثر في نسبة الطلاق في ثلاث

عوامل:

الأول: مدة الحياة الزوجية:

تدل دراسة حالات الطلاق حسب مدة الحياة الزوجية انه كلما زادت مدة الحياة

الزوجية قلت حالات الطلاق، فالأشخاص الذين يتزوجون هذا العام أكثر تعرضا

¹ - المرجع السابق، ص ١٢٩.

للطلاق ممن تزوجوا منذ عشرين أو ثلاثين عاماً، إذ إن اتجاهات الزوجين وتوقعاتهم وكذلك التغيير الذي طرأ على القيم يجعل الطلاق مسألة سهلة ويقبلها المجتمع.

والثاني: العوامل الخارجية كالأزمات الاقتصادية التي تؤثر في نسبة الطلاق فهي فترات معينة والفئة الأخيرة من العوامل ترتبط بالظروف التي يتهم فيها الزواج كالزوج الذي يتصف بالرعونة أو عدم النضج النفسي والاجتماعي.

ويرى كانون Cannon أن الاختلاف بين أنماط المعيشة الريفية والحضرية من أهم العوامل التي تؤثر في نسبة الطلاق وبالرغم من ذلك فإن نسبة الطلاق في المجتمعات الريفية تقل بصورة ملحوظة عن نسب الطلاق في المجتمعات الحضرية في كافة الولايات المتحدة الأمريكية^(١).

كذلك تختلف نسبة الطلاق بين الجماعات المهنية المختلفة. ويرى (جود) أن ثمة ارتباط وثيق بين نسبة الطلاق والمستوى الاجتماعي والاقتصادي ولذلك فإن الجماعات المهنية التي تتمتع بمستويات اجتماعية اقتصادية مرتفعة تتخفف بينها نسبة الطلاق بينما ترتفع نسبة الطلاق بين عمال الخدمات والعمال في المستويات الاجتماعية والاقتصادية المنخفضة وبالرغم من ذلك فقد وجد موناهان أن أقل نسب الطلاق توجد بين العمال الزراعيين في ولاية (أيووا) وبصورة عامة تشير معدلات الطلاق في المجتمع المصري إلى التالي:

١- إن الطلاق يتم غالباً في السنوات الأولى للزواج وهذا يؤكد سوء الاختيار ونجد أن نسبة المطلقين التي تقل حياتهم الزوجية عن عام بلغت ٢٧١ في الألف وتقع معظم حالات الطلاق قبل مضي خمس سنوات وعادة يقوم الزواج بتوقيع الطلاق ولكن قد تطلب الزوجة التخليق إذا أصيبت بأضرار وتبلغ نسبة الزوجات اللاتي يطلبن الطلاق نسبة ٣٣% من جملة حالات الطلاق.

٢- المرأة في المناطق الريفية ما زالت لا تعمل ولذلك تعتمد اقتصادياً على الزوج لذلك تحرص على إرضائه لأنه عملياً يمثل عائلتها الوحيد وجدير بالذكر أن الزوجة الريفية بالرغم من فشل زوجها وعدم حبها لزوجها وتعاستها الشخصية

١ - علي الدين السيد محمد، الأسرة والطفولة في محيط الخدمة الاجتماعية، ط ١١، ١٩٨٥، ص ١٨٠.

تتحمل باستمرار الزواج لاعتمادها اقتصاديا على الزوج وخوفها من سخط المجتمع ونقولات الناس اذا طلبت الطلاق كذلك قد يتحمل الزوج الريفي المعيشة مع زوجته لشفتته عليها او لكثرة عدد اطفاله منها^(١).

٣- استقلال النساء اقتصاديا في المدينة يجعلهن اكثر جراءة في طلب الطلاق اذا أصبحت حياتهن مع أزواجهن مستحيلة.

٤- تتعارض احيانا متطلبات الأسرة مع ظروف العمل مما يخلق مواقف صراعية بين الأدوار الأسرية والأدوار المهنية.

٥- يرتبط الزوجان عادة بأنشطة عديدة خارج نطاق الأسرة مما يحول بينهما وبين القيام بالتزامات الأسرية بصورة مرضية الأمر الذي يؤدي الى ظهور المشاكل والمتاعب المعجّلة بانتهاء الزواج.

٦- يحتمل ان يكون للتغيرات الاجتماعية المتلاحقة في المجتمع الحضري أثرها في إحساس الافراد بعدم الاستقرار والقلق الدائم مما ينمي لديهم مشاعر الأناية وعدم الرغبة في التضحية من اجل الآخرين.

٧- يعتبر الزواج في الريف امرا ضروريا وحتما وعملا من اعمال الأسرة ومحققا لقيم جمعية اما في المناطق الحضرية فالزواج مسألة شخصية بحتة لا تعني سوى الشباب المقبلين على الزواج لذلك يكون الطلاق في الريف من الامور الصعبة والمكروهة بينما يكون الامر غير ذلك في المدينة^٢.

مفهوم الأزمات الأسرية:

في المعتاد ان تقوم علاقات ودية متوازية بين اعضاء الأسرة كالعلاقات بين الابوين وبينهما وبين الاطفال ويتحقق ذلك عندما تكون العلاقات والروابط الأسرية آخذة صفة الاستقرار النسبي لفترة ملائمة من الزمن وفي مواقف مختلفة متعددة. وبالتالي تستطيع الأسرة ان تمارس وظائفها ويتحرر الافراد في الجماعة الأسرية نسبيا

^١ - المرجع السابق، ص ١٨١

^٢ - المرجع السابق، ص ١٨٢

- من التوترات وبشكل الافراد الذين يشتركون في عملية التفاعل' وحدة وظيفية متكاملة"
- وتظهر صورة التوافق في العلاقات الأسرية اذا سارت على الوجه التالي:
- أ- اذا اتجهت علاقات الأب والأم نحو الأبناء من طريق منق عليه بينهما.
- ب- اذا تساوت الحقوق والواجبات والرعاية والحنان بين الأبناء جميعا.
- ج- اذا ارتبط كل من الوالدين باخلاقيات وقيم اجتماعية سليمة.
- د- اذا كان للأسرة أهداف مشتركة وقدرة على الإسهام في خدمة المجتمع والنهوض به.
- هـ- اذا اشترك الأبناء مع الأسرة في إدراك احتياجاتها والعمل على مقابلة هذه الاحتياجات.

وبالرغم من ذلك فقد يحدث أحيانا ان تظهر صعوبات تعوق التفاهم او القيام بالأدوار سواء من داخل جماعة الأسرة او من خارجها وفي مثل هذه المواقف قد ينشأ صراع مؤقت بين توقعات اعضاء الأسرة المختلفين، اما اذا اتخذ هذا الصراع صفة الاستمرار فقد يؤثر في وحدة الأسرة برمتها. وكذلك ممكن ان تؤدي التغييرات الاجتماعية^(١) التي تطرأ على المجتمع الذي تعتبر الأسرة جزءا منه الى تغيير في بنى الأسرة وعلى سبيل المثال قد يؤدي عدم توفر فرص العمالة الى بطالة رب الأسرة، وقد لا يغير ذلك من دور الأب الاقتصادي من الأسرة فقط بل ويؤثر في اتجاهات وتوقعات اعضاء الأسرة وفي علاقاتهم المتبادلة بين بعضهم البعض وكذلك يؤثر بدرجات مختلفة في شبكة العلاقات الأسرية بأكملها وفي علاقاتها بالتالي في المجتمع الخارجي. وفي الحياة الزوجية قد يتدخل عدد من العوامل ويؤدي الى استقرار الحياة الأسرية والنجاح في الزواج ومن جهة أخرى قد تؤثر هذه العوامل بطريقة سلبية وينتج عنها الفشل واضطراب الحياة الزوجية. ويعتمد حدوث التوافق مع الأزمان الأسرية على مدى فاعلية أداء اعضاء الأسرة لأدوارهم وعلى استجابة المجتمع

^١ - علي الدين السيد محمد، الأسرة والطفولة في محيط الخدمة الاجتماعية، ط ١١، (بدون ناشر ١٩٨٥ م) ص

وتقديمه لصور المساعدة والمساندة للأسرة لمواجهة التزاماتها ولا شك ان العوامل التي

تساعد الأسرة على التوافق مع الازمة يمكن حصرها فيما يلي:

- * مدى استعداد الأسرة لمواجهة الازمة.
- * تكامل الأسرة.
- * مدى العلاقات العاطفية بين اعضاء الأسرة.
- * التوافق الزوجي القوي بين الزوجين^(١).
- * علاقات الصداقة الحميمة بين الآباء والأبناء.
- * مشاركة مجلس الأسرة في اتخاذ القرارات.
- * التجارب الناجحة السابقة للأسرة مع الازمات.

مفهوم الأزمات الأسرية :

تعني بالأزمة الأسرية " أي وهن او سوء تكيف وتوافق او انحلال يصيب الروابط التي تربط الجماعة الأسرية كل مع الآخر. ولا يقتصر وهن هذه الروابط على ما قد يصيب العلاقة بين الرجل والمرأة بل يشمل أيضا علاقات الوالدين بأبنائهما. ويعرفها آخرون بأنها موقف ينعدم فيه التوافق بين الدور المتوقع والسلوكي لأعضاء الأسرة بالنسبة لبعضهم البعض وهذا يطابق ما يراه العالم *Morwer* في ان كل أشكال الأزمات الأسرية تمثل الاختلافات السلوكية التي يكون فيها الافراد متمردين على التعليمات الاجتماعية المتعلقة بالعلاقات السلوكية كما تعرف الازمة الأسرية بانها احد الأشكال المرضية للداء الاجتماعي ولها نتائج ذات اثر سيء في الفرد كعناصر في أسرة او في اعضاء الأسرة ككل او في المجتمع او في الثلاثة معا ونتيجة لذلك فان المجتمع يمهّد^(٢) لهيئاته ومؤسساته المعنية بمسئولية القيام ببرامج تساهل مؤثرة وفعالة توجه للأسرة والمجتمع. ومن الجدير بالذكر ان الخلافات التي قد تنشأ بين الزوجين تكون أكثر خطراً وادعى الى انحلال الأسرة باسرها مما لوحظ الخلاف

^١ - المرجع السابق، ص ١٥٤.

^٢ - المرجع السابق، ص ١٥٥.

بينهما وبين ابنتها لانه مهما زاد الخلاف مع الأبناء فلن يؤدي الى انحلال الأسرة وخصوصا اذا ظل الوالدان من حيث موقفهما متساندين وفي تعريف لـ *Good* :
الازمة الأسرية حالة من حالات عدم الاستقرار الزوجي وبنائها اخفاق واحد او اكثر من افراد الأسرة في اداء واجبات دوره. وتأسيسا على ما سبق يمكن النظر الى الازمة الأسرية على انها شكل من عدم الاتفاق القائم بين الزوجين الامر الذي يؤدي الى حدوث اضطراب في العلاقات الزوجية.

مظاهر الأزمة الزوجية:

لكل أسرة درجة انصهار معينة ومن الممكن ان نستعرض العملية التي قد تمو بها الصراعات الزوجية والأسرية التي تصل ذروتها عند حلول الازمات فبعد ان تنتقضي المرحلة الاولى المشحونة بالعواطف ومطارحات الغرام في بداية الزواج. قد يبدأ نمط متكرر للحياة بسوده الضجر والملل والانشغال في مطالب الحياة اليومية وقد تمر كثير من المنغصات والصعوبات بسلام. ولكن قد تتكرر وتزيد الصعوبات الصغيرة وتتكاثر حتى يشعر احد الزوجين بالسأم وقد تظهر التعاسة الزوجية في عدة اشكال لا تصل الى حد فسخ عقد الزواج، منها: الهجر او الصراع السافر او صور الهروب بالتمسك بالحب الرومانسي والأفلام والقصص الغرامية وتمثيلات الإذاعة والتلفزيون وقد يمثل المرض المزمن سبيلا للهروب من موقف او مشكلة زوجية معقدة فاذا شعر احد الزوجين بالاهمال⁽¹⁾ او الضيق او النفور فقد يلجأ الى المرض للحصول على الرعاية والاهتمام او حتى يجلب الضيق والألم للطرف الآخر. وقد يكون الشعور الدائم بالتعب دون سبب جسماني دليلا على عدم الرضا بالزواج كما دلت الدراسات على ان شرب الخمر او إدمان المخدرات وغيرها من وسائل الإشباع البديلة يوفر سبيلا للهروب من مواقف مؤلمة. وقد يلجأ البعض الى الطرق المألوفة للتخلص من الشعور بالإحباط بالإقلال من التفاعل داخل الأسرة ويقضي كل وقته في الأعمال المنزلية او في هوايته او في عمله او الانصراف الى المحال العامة. واخيرا

¹ - المرجع السابق، ص ١٥٦

قد يسقط كثير من الآباء خلال التعبير الزائد عن الحب لابنائهم والاهتمام الزائد بمستقبل الأبناء. وبصورة عامة يمكننا ان نلخص اهم مظاهر الازمة الزوجية في التالي:

- ١- اختفاء الاهداف المشتركة بين الزوجين وكذلك الاهتمامات المتبادلة وتصبح النزاعات والاهداف الفردية اكثر اهمية واكثر الفاتا للنظر من الاهداف الأسرية.
- ٢- تبدأ المجهودات التعاونية لاقامة الأسرة والحفاظ عليها في التلاشي تدريجيا.
- ٣- يبدأ الزوج او الزوجة في عمليات انسحابية متعددة في مجال الخدمات المتبادلة سواء في داخل الوحدة الأسرية او خارجها^(١).
- ٤- يظهر التناقض في مجال العلاقات الشخصية المتبادلة او بمعنى آخر لا يكون هناك انساق في الرغبات وتزداد فرص الاصطدام.
- ٥- يتغير شكل وموضوع التفاعل بين الزوجين وبين الجماعات الاخرى سواء كانوا جيرانا او تنظيمات اخرى.
- ٦- تتعارض الاتجاهات العاطفية للزوجين او تتخذ طابعا عدوانيا وفي بعض الأحيان تظهر اللامبالاة فتتخذ العلاقات الزوجية طابعا سطحيا.

المراحل التي تمر بها الأزمت الأسرية:

اشارت Beck الى ان التفكك الاسري يمر في العادة بعدة مراحل يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١- مرحلة الكمون:

وهي فترة متغيرة غير محددة وربما تكون قصيرة جدا بشكل يجعلها غير ملحوظة والاختلافات فيها سواء أكانت صغيرة او كبيرة لا يتم مناقشتها او التعامل معها بواقعية.

١ - المرجع السابق، ص ١٥٧

٢- مرحلة الاستشارة:

وفيها يشعر احد الزوجين او كلاهما بنوع من الارتباك وبانه مهتد وغير قانع بالاشباع الذي يحصل عليه.

٣- مرحلة الاصطدام:

وفيها يحدث الاصطدام او الانفجار نتيجة للفعال المترسبة وتظهر الانفعالات التي تم كبحها وقمعها لمدة طويلة ويوجد فيها احساس^(١) متبادل بالتهديد وتكون الازمة غير واضحة بالنسبة للطرف الاقل دراية بالموقف اما بالنسبة للطرف الاخر فتكون هناك محاولات من اجل حل المشكلة. وهنا يصبح الطريق شائكا يحاول أي طرف البحث عن تحقيق الاشباع في مكان خارج الأسرة.

٤- مرحلة انتشار النزاع:

لو ازداد التحدي والصراع والرغبة في الانتقام فان الامور سوف تزداد حدة ويؤدي ذلك الى زيادة العداة والخصومة بين الزوجين ويزداد النقد المتبادل بينهما ويكون هدف كل طرف هو الانتصار على الطرف الاخر دون محاولة الوصول الى التسوية وينظر كل منهما الى نفسه على انه الانسان المتكامل على حساب الطرف الاخر وتقل المرونة ويزداد السلوك السلبي ونلاحظ هنا ان النزاع إذا كان في بادئ الامر يتعلق بفاحية معينة فانه سرعان ما ينتشر ليغطي النواحي الأخرى المتعددة.

٥- مرحلة البحث عن حلفاء

بطبيعة الحال اذا لم يستطع الزوجان حل المشكلة بمفرديهما فانهما يبحثان عن من يساعدهما في تحقيق ذلك من الأهل والأقارب والأصدقاء وإذا استمر النزاع لفترة طويلة فان القيم والمعايير التي تحكم بقاء الأسرة تصبح مهتدة وهنا قد يلجأ أحد الأطراف او كلاهما للحصول على الإشباع من خلال المصادر الأخرى البديلة مثل التركيز على الاهتمام بالأطفال وبالمشاركة في الأنشطة الاجتماعية والتركيز على النجاح في العمل ولكن ذلك يكون على حساب الإشباع الذي يتحقق داخل الأسرة^(٢).

^١ - المرجع السابق، ص ١٥٨

^٢ - المرجع السابق، ص ١٥٩

الطلاق كجزء من نسق الأسرة:

يميل الناس الى النظر الى الطلاق *Divorce* على انه كارثة او مأساة وعندما ترتفع معدلات للطلاق في مجتمع ما فان هذا يكون دليلا على ان نسق الأسرة لا يعمل بصورة مرضية. وعلى الرغم من ان بعض الديانات تبيح الطلاق الا انها تضع عوائق كثيرة في سبيله وفي دورة الحياة الزوجية ولو في فترة زمنية معينة ان تنشأ بعض الخلافات والتوترات الزوجية قد تصل الى درجة عالية بحيث تصبح حياتهما معا مستحيلة وعند ذلك يلجأ الى الطلاق كحل امثل لهذه المشكلات^(١).

ويوجد نمط زواجي آخر ينتشر في المجتمعات المختلفة غير الصناعية وهو ارتباط الزوجين بشبكة العلاقات القربية، ولذلك لا تكون الخلافات قاصرة على الزوجين فقط بل قط تمتد ليشارك فيها الأكارب الأمر الذي يزيد من حدة التوترات بين الزوجين الى درجة لا تطاق. وتختلف نظرة المجتمعات في تعريفها للمستوى او للحد الذي يصبح معه الخلاف بين الزوجين امرا لا يطلق او في اسباب انحلال الزواج غير الموفق^(٢). ويختلف الموقف بين الزواج غير الموفق من مجتمع لأخر وخاصة في المجتمعات الغربية.

ويحدث الطلاق اذن نتيجة لتعاظم الخلاف بين الزوجين الى درجة لا يمكن تداركها، ولكنه بالإضافة الى ذلك يؤدي الى صراع جانبي بين كل من اسرتي الزوج والزوج حيث تقع بينهما في العادة خلافات لا نهاية لها ذات مضمون مادي او معنوي او تتعلق بالاطفال الذين كانوا ثمرة هذا الزواج ولا توجد في أي مجتمع طرق معينة واضحة لتجنب او خفض حدة الصراع الزوجي او حتى جعل الأزواج قادرين على تحمل زيجاتهم.

فالطلاق اذن يكون احد صمامات الامن للتوترات الحتمية التي تقع في الحياة الزوجية. فالطلاق هو الحل الأكثر انتشارا لمشاكل الحياة الزوجية. كما ان الطول

^١ - د. سناء الحنولي، "الزواج والعلاقات الأسرية"، دار الفرقة الجامعية، ١٩٩٠، ص ٢٥٩.

^٢ - المرجع السابق، ص ٢٦٠.

التي تقدمها المجتمعات المختلفة للفصل بين الزوجين في حالة وقوع الخلاف بينهما هي في الواقع اختلاف في نمط الطلاق ويختلف الطلاق عن هذه الأشكال في أنه يسمح بالزواج الثاني^(١) ويكون حدوث الطلاق أفضل من العيش في حياة تيسة غير متوقعة حتى مع وجود اطفال يستطيعون الحياة مع الأم أو الأب في حالة انفصالهما تكون حياتهم أفضل من المعيشة في جو مشحون بالخلافات والصراعات مما يكون له أكبر الأثر على سلامتهم النفسية وتكوين شخصياتهم بصورة سوية^(٢).

معدلات الطلاق :

تختلف معدلات الطلاق من مجتمع لآخر تبعاً لظروفه المجتمعية والسياسية والاقتصادية وكذلك تبعاً لقيم ومعايير ولأسباب أخرى عديدة ويتميز المجتمع الأمريكي بأعلى نسبة طلاق كما ان لبعض الدول في الماضي نسبة أعلى من معدلات الطلاق مثل "مصر" ٣٥- ١٩٥٤ " واليابان ١٨٨٧-١٨٧٩" والجزائر ١٨٧٧-١٩٤٠".

وسوف نستعرض في الجدول التالي^(٣) ما يلي:

- ارتباط معدلات الزواج بمعدلات الطلاق في المجتمع المصري
- ترتفع معدلات الطلاق كلما زادت معدلات الزواج والعكس صحيح
- من تحليل البيانات الإحصائية الواردة في الجدول أن أعلى معدل للطلاق فسي العشرين سنة الأخيرة يظهر في عامي ١٩٥٣،٥٢ ثم بدأت معدلات الطلاق تسير بعد ذلك بصورة متوازية الى ان بلغت أدنى معدل لها في هذه عام ١٩٦٧ (عام الحرب) ومعدلات الزواج أيضاً في هذه السنة أيضاً منخفضة وذلك مرتبط بعدم الاحساس بالامن وظروف خيبة الأمل وتبين الإحصاءات ان معدلات^(٤) الطلاق تختلف من الريف الى الحضر حتى احصاء عام ١٩٧١ معدل الطلاق في الحضر وصل الى ٢٦ لكل الف من السكان بينما وصل الى ٧, ١ فقط في كل الف من السكان في المناطق

١ - المرجع السابق، ص ٢٦١.

٢ - المرجع السابق ص ٢٦٢.

٣ - المرجع السابق، ص ٢٦٣.

٤ - المرجع السابق، ص ٢٦٢.

الف من السكان بينما وصل الى ١,٧ فقط في كل الف من السكان في المناطق الريفية
 أي ان معدل الطلاق مرتفع في المدينة عنه في القرية وذلك يرجع الى عدة اسباب:
 ١- المرأة لا تعمل في الريف وبالتالي تعتمد اقتصاديا على زوجها وبالتالي تحلول
 ارضائه.

جدول معدلات الطلاق والزواج لكل ألف من السكان في مصر

السنة	معدل الزواج	معدل الطلاق
١٩٥٢	١٠ر٨	٢ر٣
١٩٥٣	٩ر٨	٢ر٨
١٩٥٤	٩ر٨	٢ر٦
١٩٥٥	٩ر٨	٢ر٦
١٩٥٦	٩ر٨	٢ر٤
١٩٥٧	١٠ر٠	٢ر٥
١٩٥٨	٩ر٢	٢ر٤
١٩٥٩	٩ر١	٢ر٤
١٩٦٠	١٠ر٩	٢ر٥
١٩٦١	٨ر٦	٣ر٢
١٩٦٢	٨ر٥	٢ر٠
١٩٦٣	٩ر٨	٢ر١
١٩٦٤	١٠ر٥	٢ر٢
١٩٦٥	٩ر٨	٢ر٢
١٩٦٦	٩ر٨	٢ر١
١٩٦٧	٧ر١	١ر٨
١٩٦٨	-	-
١٩٦٩	٩ر٥	١ر٩
١٩٧٠	-	-
١٩٧١	١٠ر٢	٢ر١

٢- استقلال النساء اقتصاديا في المدن عن الريف يجعلها أكثر جراءة فهي طلب الطلاق.

٣- التغيرات المتلاحقة في المجتمع الحضري عنه في الريف

٤- الزواج حتمي في الريف اما في الحضر فهو مسألة شخصية فالطلاق في الريف مكروه على عكس المدينة^(١).

تصور الأسرة كوحدة متكاملة وظيفيا^(٢):

معظم الأسر في الفئات الحضرية ترى ان أسرة اليوم أكثر تماسكا من أسرة الأمس ويرجعون ذلك الى عدة أسباب:

أ- أسرة اليوم تقوم على أساس الاختيار الحر.

ب- صغر حجم الأسرة يجعلها أكثر تماسكا.

ج- العلاقات الداخلية في الأسرة بين افرادها تقوم على المحبة والتفاهم.

اما الذين يرون ان أسرة الأمس افضل من أسرة اليوم فينحصرون في لاسر المناطق المختلفة والأسر الريفية للأسباب الآتية:

١- أسرة اليوم غير متكاملة.

٢- فقد الرجل مركزه وسلطته في الأسرة.

٣- انخفاض من درجة احترام الأبناء لأبائهم.

٤- الأسر في الوقت الحاضر فردية ومنعزلة.

٥- غلبة المصالح الشخصية الفردية في الأسرة.

العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تكامل لا تناقض:

تحتسب الناس ان الرجل والمرأة خلقا متنافسين^(٣) ولكنهما في الحقيقة خلقا

^١ - المرجع السابق، ص ٢٦٤

^٢ - المرجع السابق، ص ٢٩٦

^٣ - محمد متولي الشعراوي، "كتاب المرأة في القرآن الكريم" طبعة اعيان اليوم.

متكاملين، يكمل كل منهما الآخر في الرسالة والحقوق والواجبات لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ
إِطَاعًا يُغِيظُ وَالنَّمَارُ إِطَاعًا تَجْلِي وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ إِنْ مَعَهُمْ لَخَشْيَةٌ ﴾ " الآيات من
٤-١ سورة الليل".

ويشبهه الله تعالى قضية التكامل بين الرجل والمرأة بقضية التكامل بين الليل
والنهار فهما مختلفان في الطبيعة، فالنهار يملؤه الضوء للسعي للرزق، والليل تملؤه
الظلمة للسكون والراحة، فهما يختلفان في الطبيعة، ولكنهما متكاملان لمهمتهما في
الكون، وهي مهمة متكاملة.

أيضا الرجل والمرأة خلقهما الله سبحانه وتعالى متكاملين وليس متعاندين^(١)
الرجل له وظيفة في السعي على الرزق ورعاية زوجته وأولاده والمرأة لها مهمتها في
رعاية البيت وإتجاب الأولاد، وحتى تكون مسكنا للزوج عندما يعود الى بيته متعبا من
حركة الحياة تستقبله بابسامة تسمح له شقاء اليوم.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَمِرُونَ ﴾ " الآية ٢١ سورة الروم".
وهكذا حدد الله سبحانه وتعالى المهمة المتكاملة للرجل والمرأة، وليس هذا على
مستوى الأمة الإسلامية وحدها، ولكنه القانون المساند الذي وضعه الله سبحانه وتعالى
في الكون كله، تلك هي سنة الله في كونه ومن تمام الحياة ان يؤدي كل انسان مهمته
فيها، اما قلب الموازين (مثل رجل يبقى في البيت وامرأته تعوله، ولا توجد امرأة الا
وتتعمى ان تعيش في حماية رجل يوفر لها كل شيء ويرعاها) فلا ينجم عنه الا الشقاء
للانسان^(٢).

ولكن ما الذي حدث الآن؟ أخذت القضية غير مسارها اصبح هناك شبه معركة
بين الرجل والمرأة فلا للرجل رضي بمهمة المرأة في الحياة ولا المرأة قنعت بدورها
ومهمتها. بل كلاهما دخل في معركة متعاندة وهذا هو سبب القضية والتي يجب الا

١ - محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن الكريم، مكتبة الشعراوي الاسلامية، كتاب مؤسسة اخبار اليوم،
القاهرة، ب ت ، ص ١٢.

٢ - المرجع السابق، ص ١٦.

تكون موجودة أصلا لو ان كل منهما رضي بمهنته في الحياة. بل لقد أصرت المرأة ان تزاحم الرجل في الحياة فاستسلم الرجل لمزاحمة المرأة فحدث اختلال في المجتمع.

صورة المرأة المثالية في الإسلام:

قالت ام سلمة لرسول الله ﷺ اخبرني يا رسول الله عن قول الحق ﷺ " حور عين " فقال ﷺ " " حور" معناها بيض و" عين " أي ضخام شقر.. الحوراء في منزلة جناح النسر قالت ام سلمة اخبرني يا رسول الله عن قوله تعالى: ﴿ مَا مِنْ الْبَاقِيَةِ وَالْمَرْجَانِ ﴾ فقال النبي ﷺ صفاوهن كصفاء الحر " أي اللؤلؤ الحر" الذي في الأصداف لا تمسه الأيدي. وقالت ام سلمة يا رسول الله اخبرني عن قوله تعالى: ﴿ فِيهِمْ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴾ فقال رسول الله ﷺ خيرات الاخلاق حسان الوجوه فقالت ام سلمة فأخبرني يا نبي الله عن قوله تعالى: ﴿ مَا مِنْ بَيْضٍ مَحْبُورٍ ﴾ قال رسول الله ﷺ رتتهن كرقعة الجلد الذي في داخل البيضة فيما يلي القشرة.

وقالت ام سلمة اخبرني يا رسول الله عن قوله تعالى: ﴿ مَرْيَمُ إِتْرَابًا ﴾ قال رسول الله ﷺ " من اللاتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله يوم القيامة بعد الكبر⁽¹⁾ فجعلهن عذارى عربا متعشقات محبيبات اترابا على ميلاد واحد أي سن واحدة فقالت ام سلمة يا رسول الله ﷺ انساء الدنيا افضل ام " الحور العين "؟ قال النبي ﷺ بل نساء الدنيا افضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة. فقالت وبم ذلك قال ﷺ " بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ﷻ البس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر اللثياب صفر الحلوى مجامرهن الدر" وأمشاطهن الذهب يقتل نحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الفالحات فلا نياس أبدا ونحن المقيمات فلا نطعن أبدا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكلن لنا " قالت ام سلمة يا رسول الله.. المرأة قد تتزوج الزوجان والثلاثة والأربعة ثم نموت فتدخل الجنة فمع أي الأزواج تكون. قال ﷺ " انها تخير فتختار أحسنهم خلقا

¹ - المرجع السابق، ص ٥٩.

فقول يا رب ان هذا كان احسن خلقا معي فزوجنيه يا ام سلمة ان حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة^(١).

وهكذا ترى ان قول رسول الله ﷺ ناقصات عقل ودين معناه ان المرأة تفعل اشياء بعاطفتها يقف للعقل عندها اما مسألة الدين فهي بحكم طبيعة خلقها تمر عليها ايام في الدنيا لا تؤدي فيها صلاة ولا صياما اذن فالمسألة شرح لطبيعة المرأة وليس محاولة للانتقاص منها والا ما كان رسول الله ﷺ قد اخذ برأي ام سلمة في صلح الحديبية وما كان قد قال عن عائشة رضي الله عنها (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) فقد كان وجهها يميل الى الاحمرار^(٢).

المجتمع الإسلامي يعاون المرأة :

مهمة المجتمع الإيماني معاونة المرأة التي لا عائل لها في أداء ضرورياتها دون ان يجبرها على ان تخرج وتختلط بالرجال لقوله تعالى: ﴿ ابيء لما انزلته الي من خير فقير ﴾ يبين لنا انه رغم ان موسى عليه السلام كان محتاجا الى المال ولم يكن ذمه شيء انه سقى الغناتين مجانا دون ان يتقاضى اجرا عن ذلك. اذن فعمل المرأة عند الضرورة له شروط فالضرورة اقتضت خروجها لان اباهما شيخ كبير .
ان المهمة الإيمانية للمجتمع هي مساعدة المرأة بدون اجر مجانا على ان تقضى عملها وتتصرف^(٣).

من أمثلة ذلك ان موسى عليه السلام عندما وجد امرأتين محتجتين للمساعدة قام هو بالمهمة وهي سقي الماشية بدلا عنهما وهذه هي مهمة المجتمع الإسلامي ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فسقى لهما ثم تولى الي الظل فقال رب ابيء لما نزلته الي من خير فقير ﴾^(٤) وبالتالي اذا اضطرت المرأة للخروج للعمل على الرجل ان يقضي لها مهمتها بسرعة فهذه هي المهمة الإيمانية التي قام بها موسى عليه السلام.

^١ - المرجع السابق ص ٦٠ .

^٢ - المرجع السابق، ص ٦١ .

^٣ - المرجع السابق، ص ١٠٧ .

^٤ - الآية ٢٤ سورة القصص، المرجع السابق، ص ١٠٦ .

ويذكر المؤلف انه عندما سافر الى السعودية (الشيخ محمد متولي الشعراوي) كان راكبا مع صديق له السيارة وفجأة توقف الصديق بالسيارة واتجه الى باب بيت وكان امام البيت لوح من الخشب وعليه عجيب خبز فحمل الصديق هذا اللوح الذي عليه العجين ووضع في السيارة فسألته المؤلف عن ذلك فقال له عندما تجد لوح عجيب امام منزل مغلق تعرف ان رب البيت غير موجود فأني سائر في الطريق يأخذ لوح العجين ويتم خبزه ثم يعود به الى مكانه وهذه هي مهمة المجتمع الإيماني معاونة المرأة التي لا عائل لها في اداء ضرورياتها حتى لا تجبر على ان تخرج وتخلط بالرجال.

اذن فعمل المرأة عند الضرورة له شروط والعمل يتم على قدر الضرورة وقد ساعد موسى عليه السلام الفئتين بدون اجر رغم حاجته الى المال كما في قوله تعالى: ﴿أبى لما دلته إلى من خير فقير﴾^(١).

سمات الزوج الصالح :

بعد مساعدة موسى عليه السلام للفئتين يوم السقاية للماشية عادت الفئتين الى الاب الشيخ واخبرناه بالقصة ولو انهما عشقنا الخروج لأخفينا عنه هذه القصة لتخرجنا كل يوم لانهما فعلتا ذلك أي الخروج من المنزل وهما كارهتان^(٢) فماذا كان المقابل يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فجاءته إحداهما تمخبي على استعجاب قاله ان أبى يدملك ليجزيك اجرا ما سبقته لنا﴾^(٣).

وهذا السلوك من موسى عليه السلام من ناحية مساعدة الفئتين بدون اجر جعل نبي الله شعيب يحس ان موسى عليه السلام فيه إيمان وأمانة^(٤) لهذا أرسل واحدة من بنتيه لكي تستدعيه لكي يعطيه أجرة السقاية، وذهب موسى عليه السلام الى بيت شعيب وجلس

^١ - المرجع السابق، ص ١٠٧

^٢ - المرجع السابق، ص ١٠٨

^٣ - من الآية ٢٥ سورة القصص، المرجع السابق ص ١٠٨

^٤ - المرجع السابق، ص ١٠٨

مع شعيب بنفسه ليختبره ويختبر إيمانه وأمانته وهنا يروي لنا القرآن الكريم: ﴿فلما جاءه وقس عليه القوس قال لا تحصه جوده من الجوه الطالمين﴾^(١).

أي ان شعيب بعد سماع قصة سيننا موسى هذا من روعه وطمانه وهنا جاءت الفرصة للفتاتين لكي تتخلصا من العمل ومن الخروج حيث اقترحت إحدى الفتاتين على أبيها ان يستأجر موسى عليه السلام ليقوم بالسقاية مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فالتبم إحصامها يا ابنه استجبه ان خير من استجبه القوي الأمين﴾^(٢).

ولكن كيف عرفت ابنة شعيب ان موسى قوي وامين؟ لانه زاحم الرعاة ورفع حجرا ضخما موضوعا فوق البئر وعرفت امانته لانه لم ينظر الى أي منهما ولم تلحظ أي منهما عليه أي مسلك يمكن ان يشينه.

تأثير الطلاق على الصحة العقلية والنفسية للأطفال

تأثير الطلاق :

الطلاق وهو انحلال الرابطة الزوجية بترك آثاراً مختلفة على الاباء والأبنساء معا. وهو وان كان في قليل من الحالات قد يُعد خطوة إيجابية تحرر الأسرة من صعوبات حادة ومزمنة لا سبيل الى علاجها الا بالانفصال، الا انه في معظم الحالات يؤدي الى نتائج سلبية على القليل بالنسبة للأطفال من الحرمان من وجود وعطف احد الوالدين ذلك الذي يؤدي الطلاق الى رحيله.

وهناك كثير من الدراسات التي تؤكد ان للطلاق تأثيراً سلبياً لا على الصحة العقلية والنفسية للآباء والأمهات والأطفال وحسب ولكن ايضا على صحتهم الجسمية، حيث يحتمل ازدياد نسبة الإصابة بالأمراض الجسمية او الأمراض السيكوسوماتية *Psychosomatic disorder*.

^١ - الآية ٢٥ سورة القصص، المرجع السابق ص ١٠٩.

^٢ - الآية ٢٦ سورة القصص، المرجع السابق ص ١١٠.

يهتم علماء النفس اهتماماً كبيراً بتأثير الطلاق على حياة الأبناء *The effects of divorce on children* فلا تتوقف آثار الطلاق على الزوجين فقط بل يمتد إلى التأثير إلى الأبناء ويحفز التراث السيكوماتي بالأدلة القاطعة بأن إجراءات الوقاية قد تقلل من هذه الآثار الضارة بصحة الآباء والأبناء الجسمية والنفسية .

ففي الولايات المتحدة الأمريكية يعاني كل عام نحو مليون طفل من خبرة تحطم او اضطراب بيوتهم بالطلاق او الانفصال او الهجر بين الابوين لدرجة انه يقدر بانسه سوف يكون هناك نحو ثلث من عدد الأطفال الأمريكيين جميعا ممن يتعرضون لخبرة طلاق الوالدين.

وعلى الرغم من كثرة انتشار الطلاق في بعض المجتمعات الا انه ما يزال ينظر اليه من الناحية الثقافية على انه حدث غير عادي، وان له كثيراً من النتائج السالبة لكل الأشخاص المتصلين بواقعة الطلاق. كذلك يعتبر الطلاق واحدا من المواقف شديدة الضغط ومواقف الانحلال او التفكك التي قد تحدث في حياة الانسان. وفي الغالب لا يكون الكبار او الأطفال مستعدين نفسياً لها *One of the most stressful and disorganizing events that may occur in a persons life (Sarason, p. 501)*

الطلاق، ولا شك، خبرة مزعجة ومحزنة للأطفال. ولقد ادرك كثير من العلماء هذه الحقيقة منذ امد بعيد. فتمتد اطفال الاسر المنفصلة كانت اعلى بين رواد عيادات الطب العقلي الخارجية *Psychiatric Out Patient Clinic* عما يوجد بين اطفال الاسر العادية. فاطفال الآباء المطلقين يعانون من الاضطرابات العقلية التي تستوجب العرض على العيادة النفسية. بل ان الأطفال الذين لم يترددوا على عيادات الطب النفسي والذين كانوا ينحدرون من اسر منفصلة اظهروا صعوبات في نشاط اللعب، وفي علاقاتهم مع الآخرين. ذلك لان الطفل في هذه الحالة، لا يعاني فقط من الضغط الواقع عليه هو نفسه، ويجاهد في سبيل التكيف والتوافق مع هذا الضغط، بل انه ايضا يتعرض لوالد يعاني من الضغط كذلك، وعليه ان يتكيف ويتوافق مع هذا الاب في هذا

الظرف الحرج. على الطفل ان يتحمل الآثار الناجمة عن معاناة والده من الاضطرابات الصحية الجسمية والنفسية والعقلية.

وبذلك نلمس ان الضغوط التي تسقط على الطفل تصبح مضاعفة او مزدوجة. ولا شك ان الطلاق يلعب دورا رئيسا في معظم ثقافات العالم، ولذلك ينبغي ان يهتم العلماء لا يبحث آثاره على الأطفال وآبائهم وقت وقوع الطلاق، ولكن فيما بعد وقوعه أيضاً في مستقبل نموهم وتكيفهم المقبل للحياة.

هل تظل آثار الطلاق باقية في شخصية الطفل والى أي مدى تظل تؤثر في نموه وتوافقته؟ هل هي خبرة مؤقتة تزول بعد فترة وجيزة من فصول الطلاق ام ان لها آثارا باقية راسخة في أعماق الشخصية؟

هذه النقطة في حاجة الى إجراء الدراسات التتبعية المتعمقة وخاصة في بيئتنا العربية للتعرف على الآثار بعيدة المدى للطلاق، ولكن تشير المعطيات الحالية على قلتها الى ان هذه الخبرة بعيدة الأثر.

تهتم الدراسات بتتبع الآثار المترتبة على الطلاق على حياة الأطفال. ففي بحث اجري في كاليفورنيا حول اطفال الطلاق *The California Children of divorce project* (١٩٨٠).

تم تتبع ٦٠ حالة طلاق واطفالهم البالغ عددهم ١٣١ طفلا تراوح عمرهم من ٣-١٥ سنة، تم تتبع هؤلاء لمدة السنوات الخمس التي اعقبت الطلاق لمعرفة ماذا سوف يحدث لهم.

من بين اهداف هذه الدراسة التعرف على كيفية مرور الأولاد بالطلاق نفسه، بمعنى التعرف على مفهوم الأولاد عن الطلاق، والتعرف على العوامل التي جعلت هذه التجربة محتملة بالنسبة لهم من عدمه. ومن اهداف هذا المشروع البحث كذلك تتابع الأطفال عبر فترة من الزمن لمعرفة أي من عمليات النمو قد أصيبت بالإعاقة واياها اسبابها الاسراع عن طريق تأثير الطلاق. هل من الممكن ان يكون للطلاق آثارا ايجابية؟

لقد كانت الفترة التي تلت الطلاق مباشرة فترة ضغط شديد بالنسبة للأطفال، وذلك من جراء واقعة الطلاق ذاتها، ولأن الأطفال كانوا يتلقون تعصيذا نفسيا قل من الآباء الذين كانوا يدورهم يعانون من درجة عالية جدا من الضغوط.

ولكن بعد حوالي عام اختفت الاستجابات الحادة، وكثيرا من الأطفال استعادوا مستواهم السابق في النشاط والأداء، ولقد شفي الأطفال أسرع من آبائهم، وإن كانت البنات قد شفيت أسرع من الذكور. وظلت التغييرات المزمنة بعد مرور عام على الطلاق.

ولقد امتدت فترة الانتقال هذه من بعد الضغط الحاد فترة تراوحت ما بين عامين وثلاثة أعوام وذلك في كثير من الأسر.

وفي المرحلة الثالثة استطاعت معظم الأسر التكيف كأسرة مطلقّة أو بعد زواج

جديد.

ماذا كان الاتجاه العقلي نحو الطلاق لدى الآباء والأطفال؟

لقد كانت هذه الاتجاهات متباينة خلال السنوات الخمس. وفي الزواج غير السعيد بالنسبة للآباء كان الأطفال ينظرون للطلاق على أنه أمر سعيد أو أنه حدث مرض أو شيع.

١. نصف الأطفال رأوا أن الوضع الأسري لم يتحسن عما كان عليه قبل الطلاق، حتى بعد مضي السنوات الخمس. بينما اعتقد أقل من ٢٠% من الآباء بأن الطلاق كان فكرة خاطئة. وبعد مضي خمس سنوات تكيف ثلث الأطفال تكيفا حسنا وظل نحو الثلث الآخر غير سعيد، حيث شعروا بالحرمان أو بالنبذ وكانوا غاضبين من أحد الأبوين أو كليهما (Sarason p. 501).

ولكن هل يؤثر سن الطفل الذي يقع عنده الطلاق على تكيفه المستقبلي؟

٢. اخبر الأطفال عن الأسباب التي دعت لاتخاذ قرار الطلاق، لأن ذلك يمنع شعور الأطفال بأنهم هم كانوا وراء سبب الطلاق أو الانفصال كما يوضح الصورة الحقيقية حتى لا يعتقد الأطفال أنه لم يكن ضروريا أو أنه قرار خاطئ Break up

واجعل شريك او تفسيرك موجزا، ولكنه امين وصادق، ويتمشى مع سن الطفل ومستواه العقلي في الاستيعاب.

٣. أكد على ان قرار الطلاق قرار دائم ومستمر، وذلك لأن هناك كثيراً من الأطفال يعتقدون ان آباءهم سوف يعودون الى بعضهم البعض حتماً في النهاية وهذا امر قد لا يحدث.

٤. اشرح للطفل نوع التغيرات التي ستحدث في حياة الطفل بعد الطلاق، من ذلك الانتقال لمكان آخر، او تغيير المدرسة وقلة النقود. وشجع فيه التحدي الإيجابي للتكيف مع الموقف او الوضع الجديد على ما قد يكون فيه من صعوبات.

٥. دع الأطفال يعبرون بحرية عن غضبهم، لأن ذلك حماية ضد نشوب مشكلات بعيدة المدى او طويلة المدى ولا ينبغي ان يستخدم الوالسدان الأطفال كمكان لتخزين شعورهم هم بالغضب واليأس. والأحرى بهم ان يشاركوا مشاعرهم السلسة مع صديق كبير او مع المعالج او المرشد النفسي الذي ندعو الى ضرورة توفره في المجتمعات العربية او في مراكز الرعاية الطلابية.

٦. ينبغي تجنب إرغام الطفل على اختيار احد الوالدين اذا كانت سنه تسمح بهذا القرار من حيث النضج اللازم، لا يبدو السن مؤثراً في حد ذاته. انما علاقة الطفل بوالديه هي التي تؤثر في تكيفه كما يتأثر الطفل بنوعية الحياة في الاسرة المطلقة، والى أي مدى نجح الطلاق في حل المشاكل التي أدت اليه. كذلك وجد ان تكيف الطفل يرتبط بنوع شخصية الأب والأم وأسلوب الآباء في الأبوة. كما يتوقف التوافق على شخصية الوالد الذي سيبقى الطفل معه والعلاقة به. الأطفال الذين لم يكن لديهم علاقة وثيقة بهذا الوالد ظلوا يشعرون بالاكنتاب وكانت فكرتهم عن احترامهم لذاتهم ضعيفة.

تأثير حضانة الطفل الصغير:

في معظم الحالات كانت تقضى المحاكم بأن حضانة الطفل *Custody* للأم ما لم يثبت عدم صلاحيتها لرعاية الطفل واحتضانه. وكان حتى المجتمع الأمريكي ينظر

بعدم الرضا للام التي تعطي ابناءها للاب. فلقد كان ينظر اليها على انها عديمة الاهتمام او قليلة الرعاية وليست اما كما ينبغي ان تكون عليه الام. ويلزم توفر معلومات دقيقة مثل صدور القرار بالحضانة.

ويحتاج موضوع الحضانة لكثير من الدراسات الميدانية للتعرف على الأحوال النفسية للطفل. من ذلك البحث الذي اجري في تكساس ١٩٨٣ بالولايات المتحدة الامريكية *The Texas Custody Research project* حيث تمت مقارنة تكيف الأطفال الذكور والاثاث الذين قضي ببقائهم مع الاب بعد الطلاق، مقارنةً بهم بأولئك الأطفال الذين كانت حضانتهم في يد الام، وكذلك الأطفال الذين عاشوا في اسر سليمة *Intact families*. ما الذي أسفرت عنه هذه الدراسة؟

لقد تبين ان الأطفال الذين عاشوا مع والد من نفس الجنس كانوا اكثر تكيفاً في النمو الاجتماعي بل ان الأطفال الذكور الذين كانوا في معية الاب كانوا اكثر نضوجاً من أطفال الاسر السليمة. اما الإناث فلم تكن اقل عن إناث الاسر السليمة في النضج . *Maturity*

ولكن بالطبع لا تكفي مثل هذه الدراسة لكي نتخذ منها اساساً لقرار الحضانة ولذلك يتعين القيام بمزيد من الدراسات التي تتبع المنهج الطولي . *Longitudinal method*

ويتعرض الأطفال ولل كبار لمرارة تجربة الانتظار في المحاكم ولتقطاع الصلة بين الطفل والوالد غير الحاضر كيف يمكن التخفيف من حدة آثار الطلاق على الأطفال؟. وعلى كل حال يمكن ان نستمد كثيراً من المعلومات من الممارسة الاكلينيكية وخبرة المرشدين والمعالجين النفسيين في العيادات النفسية المخصصة للأطفال وذلك لمساعدة الآباء والامهات على التخفيف من حدة التجربة على الأطفال.

سبل مساعدة الطفل لاجتياز أزمة الطلاق:

اخبر الأطفال بقرار الطلاق قبل حدوثه، لان ذلك يساعدهم على الاستعداد

لتقبل ان احد الوالدين سوف يذهب او يرحل والوقوف معه ضد الوالد الآخر . لا ينبغي استخدام الأطفال في حلبة الصراع بين الطرفين.

وهناك حقوق للحضانة والرؤية يتعين احترامها من كلا الطرفين، ويتم الاتساق عليها، وينبغي ان يظل الوالدان على اتصال دائم بالطفل الصغير. (Sarson, p.503)

ويمكن ان يستفيد الآباء سواء في حالة الانفصال او عدمه من القراءة في كتب علم نفس النمو واصول التنشئة الاجتماعية والتربية النفسية والاطلاع على اساليب معاملة الطفل. وفي حالة الطلاق يصبح الطفل في حاجة ازيد لمزيد من الحسب والدفع والرعاية والحنان والتعويض الإيجابي والإشباع المعقول.

ولا ينبغي تشويه صورة الوالد الآخر في ذهنه او جره الى حلبة العراك او غرس الضغائن في نفسه او الحط من قدر الوالد الآخر او اهمال الطفل والاتصاف الى اللهو او المتعة الجنسية من طرف آخر او اخضاع الطفل لسيطرة شخص اجنبي عنه.

الصحة العقلية والظروف الزوجية

مقدمة :

في هذا المقال المتواضع معالجة سريعة لاثر الظروف للزوجية على الصحة العقلية لأفراد الأسرة. فلقد اهتمت البحوث النفسية بتناول تأثير التصدع الأسري او البيوت المحطمة الناجمة عن الطلاق او الانفصال او موت احد الوالدين او كليهما او الهجر على الابناء الذين يتعرضون ولا شك لخبرات مريرة بين الحرمان والتسوية وفقدان السند والتعزيب والإشراف الوالدي السليم والتنشئة الاجتماعية الصالحة ولا تتوفر لهم القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدى به والنموذج الرجولي او النسائي الذي توحد الصبية والبنات وإياه إضافة للمعاونة الاقتصادية وانقسام الشعور بالولاء.

ولأسف لم يوجه الاهتمام العلمي والبحثي الى تأثير مثل هذه الخبرات الصدمية على صحة الزوج والزوجة. فما الذي تتركه خبرة الهجر او الانفصال او الطلاق او التصدع الاسري على صحة الرجل والمرأة؟ وهل يعد المرض العقلي سبباً للطلاق ام نتيجة له؟

يلقي حديثنا - الضوء على ما قد يعانيه الرجل المطلق والمرأة المطلقة من الاضطرابات والمتاعب العقلية والنفسية والجسمية والسلوكية بل وما قد يتورط فيه من الجريمة والجروح، الأمر الذي يتطلب الدعوة لتوفير المجتمع للرعاية النفسية والعقلية والطبية والجسمية والاجتماعية والدينية والروحية والأخلاقية والمالية أو الاقتصادية لمن يتعرضون لمثل هذه الكوارث الإنسانية.

وفي هذا المقال استعرض لتأثير الاتحلال او التفكك التناسلي على الصحة العقلية والجسمية وكذلك المشاكل الشخصية كالطلاق والانفصال أو السجن وتأثير حياة العزلة والوحدة والاتسحاب من المجتمع المادي كذلك تأثير المواقف الصدمية وكذلك تأثير المستوى الاقتصادي والاجتماعي على الصحة العقلية في المناطق المتدنية المستوى. فأيهما أكثر اضطراباً من الناحية العقلية: المتزوجون، العزاب، الأرملة، المطلقون المنفصلون؟ واي الجنسين أكثر تأثراً بهذه الأوضاع؟ واخيراً يتساءل كاتب هذه السطور مع القارئ الكريم هل في الإمكان التنبؤ بالزواج السعيد او الفاشل؟ ووضع الضمانات الكفيلة بتحقيق الزواج المتكيف.

الطلاق كموقف حتمي:

هو حدث فوري واضطرابي يضطر إليه احد الزوجين او كلاهما لحل أخير لمشاكل الزواج التي يتضح انها أصبحت غير محتملة وان بقاء الروابط الزوجية على ما هي عليه قد يضر بصحة الاسرة اكثر من الانفصال. فالطلاق كحل حتمي لتعقبه المشاكل المحتملة يعتبر موقفاً ايجابياً او حلاً حتمياً وليس شذوذاً.

ويشير لندن *London* الى الطلاق باعتباره احد مظاهر اضطراب الخلق *Character disorder* ويترجم معه الجريمة الكحولية وغير ذلك من الاعراض الامامية ولكن الطلاق ليس مرضا او عيبا او نقیصة خلقية بحيث يتساوى مع الكحولية أو الامان او الجريمة .

لقد اورد ذلك لندن في معرض حديثه عن حيل الدفاع *Depense mechanisms* ومنها النكوص او الرجوع الى السوء *Reprssion* والتفكير *Thinking* والاسقاط *Projection* على اعتبار ان الامر لا يخلو من وجود عوامل نفسية لا تصورية قد تكمن وراء الزواج والطلاق.

أثر التفكك الثقافي:

وفي اطار التفكك الثقافي *Cultural disorganization* الذي يحدث في مرحلة الانتقال *transition* الثقافي او الحضاري حيث ينتقل المجتمع من نمط ثقافي معين الى نمط آخر مغاير سواء بالنسبة للأفراد او المجتمعات او انتقال الفرد من مجتمع الى آخر، فإنه يتعرض للقلق، وعدم الأمان، وقد ينتج عن ذلك اضطرابات عقلية او سيكوسوماتية ويكشف ذلك عن الرابطة بين العوامل الثقافية والصحة العقلية. ولقد تبين من خلال دراسة كل من وتكاير وفرد *Wittkauer & Fried* عام ١٩٥٩ ان مشاكل الصحة العقلية للمجتمع تزداد لدرجة ان الروابط التقليدية التي تربط الاسرة والمجتمع بعضها بعضا تضطرب وتعرض للتحلل والتفكك.

فهناك علاقة تفاعل او تأثير متبادل بين الظروف الاسرية والصحة العقلية بل والصحة الجسمية ايضا فالصحة العقلية اذن ترتبط بالظروف الاسرية وتؤثر وتتأثر بها، وتذهب هذه الدراسة الى القول بأن الناس الذين تربوا في اسر سوية ذات روابط سوية تتعرض للمعاناة من اضطراب المجتمع المحيط بها، فالمجتمع هو المناخ المحيط او الغلاف الذي يحتضن الاسرة ويؤثر فيها ولا يمكن تصور الاسرة تعيش بمعزل عن المؤثرات الاجتماعية المحيطة بها. وقد يصاب المهاجرون مسن مجتمع

لاخر ببعض الاضطرابات السيكوسوماتية مثل الربو الشعبي *Bronchial Asthma* أي تلك الأمراض التي تنشأ عن عوامل أو اسباب نفسية كالقلق والتوتر والضغط والانعفالات والأزمات ولكن تتخذ الاعراض شكلا جسيما.

المجتمع المفكك يؤدي الى تكوين فرد مفكك ايضا *Disorganized individual* كما يؤدي الى الجريمة والجروح والامراض الجسمية والاضطرابات العقلية والى الانتحار. وينتشر هذا التفكك في المناطق متخنية المستوى *Slum dwellings* والمناطق كثيفة السكان *High Population Density* بل ان الطلاق وجد مرتبطا بحالات دخول مستشفيات الأمراض العقلية في الأسرة التي تقع ضمن النسيج الاجتماعي المحيط بها.

أثر حياة الوحدة والعزلة على الصحة العقلية :

ففي دراسة اجريت على ٣٠٥ من حالات الدخول للمستشفى لأول مرة في امريكا من حالات الفصام *Schizophrenia* بين الرجال، كانت النسب العالية لسكان وسط المدينة، وكان معظمهم من العزاب والمنفصلين عن بيوتهم أو المطلقين الذين كانوا يعيشون بمفردهم أو يعيشون في عزلة ومعروف ان حياة الوحدة في البلدان الغربية (*London p 441*) تشكل تجربة بالغة القسوة والشدة لضعف الروابط الاسرية. هناك كذلك وجد ارتباط بين عيشة الرجل وحده مفردا في غرفة واحدة وبين الاقدام على الانتحار وقد لوحظ هذا في مدينة لندن والحقيقة ان الطلاق قد يرتبط بالضغط التي تنشأ بين الأشخاص *Interpersonal stresses* وليس فقط من جراء المشاكل الاجتماعية الكبرى أو المشاكل العامة التي تواجه المجتمع كله كالحروب أو الركود الاقتصادي أو المشاكل العرقية أو السلالية التي يواجهها الاقليات من قبل المجتمع العام، ولكن الأكثر من الكوارث هو تأثير الحياة الفردية ومشاعر القلق. بل ان الاسرة اذا كانت سوية قوية الأواصر استطاعت ان تصمد امام القلق العام أو الاضطراب العام الذي يعاني المجتمع منه.

Not the result of major social upheaval such as, war, economic depression, on the alienation of ethnic or social minorities from the wider society but rather results of the dilemmas, anxieties and tragedies of individual lines.

ويعترف لندن انه لا يوجد سوى قليل من الدراسات التي تصدت لدراسة هذه الكوارث *Crises* الإنسانية.

تأثير الصدمات على الصحة العقلية:

لقد وجد أن هناك بعض الصدمات *Traumata* التي تسبق الإصابة بالأمراض الجسمية، ففي دراسة على العمال الأمريكيين من النساء والرجال (١٩٥٧) تبين ان هناك نسبة عالية بين أولئك الذين يعانون من الأمراض الفيزيائية الخطيرة قد مروا بخبرات صدمية اجتماعية متعددة منها الطلاق والانفصال *Separation* ونشوب الصراع مع الطرف الآخر، او مع الآباء او مع الأبناء او الحياة غير الطبيعية او ظروف عمل غير سعيدة. وتحدث نفس النتائج إذا حرم الفرد المريض من الاشباع العاطفي في العلاقات الشخصية المتبادلة أي: العلاقات الزوجية. ولقد تبين ان الإصابة بالقرحة المعدية ترتبط بعزل الفرد عن مجتمعه الذي كان يوفر له الحماية. وبالمثل وجد ان فقدان شخص عزيز لدى المريض يرتبط بالإصابة بالسرطان والعمل الرئوي، وخاصة ما يلقاه الفرد من صعوبات في العامين اللذين يسبقان الإصابة بالسرطان الرئوي. هذه الفترة تبين انها تضمنت كثيرا من حالات انهيار او تحطيم الزواج *Broken Marriages* او حدوث تغيير جذري في الوظيفة او في محل الإقامة لدى المريض *This Period included a high frequency of broken marriages and changes in occupation and residence.*

الإصابة بالأمراض الجسمية :

ان هناك ارتباطا بين التغيرات التي تحدث في العلاقات الشخصية وما يتبعها من مشاعر الاكتئاب، ومجموعة متنوعة من الأمراض الفيزيائية.

فلقد تبين ان خبرة فقدان انسان عزيز على الفرد تؤدي الى الامراض الفيزيائية والى شعور المريض بأنه لا حول له ولا قوة، والشعور بفقدان الامل. هذه المشاعر يتعرض لها المريض قبل حصول الاعراض الجسمية، تلك الاعراض التي تحدث بعد اسبوع من واقعة فقدان.

الامراض العقلية تنتشر اكثر بين ارباب المستويات الدنيا، وترتبط بالظروف القاسية للحياة *Sense conditions of life in this segment of the population* بل ان هناك بعض الدراسات التي توحى بان سكان المناطق المحرومة اقصر عمرا، وان نسبة وفيات الأطفال، وكذلك الكبار تزداد عندهم. كذلك وجد ان معدلات البطالة *Unemployment* ترتفع عندهم، وأنهم اعتبروا البرامج التي وضعت من اجل إعادة توطينهم في مناطق حضرية انها تمثل موقفا ضاغطا بالنسبة لهم *Stressful Conditions* ذلك الموقف الذي قد يؤدي الى ظهور الأمراض العقلية ولا شك ان البيوت المحطمة *Broken homes* وكثرة الشجار والفتار والعراك بين الآباء والأمهات وضعف الصحة الجسمية ومناعب العمل ومنقصاته تؤثر في أطفال الأسرة. ولقد وجد ان هناك تناسقا بين حدة الموقف الضاغط وشدة المرض، وكلما زاد عدد للضواغط او المواقف الضاغطة على الانسان كلما زادت حدة او شدة الشكوى العقلية. ولقد لوحظ ان تأثير هذه الضغوط يكون اكثر شدة لدى ابناء الطبقات الدنيا عنه لدى ارباب المستويات الاجتماعية والاقتصادية الأفضل وذلك من جراء تراكم الضغوط وتجمعها وتفاعلها فالضغوط الى تسلط على الفرد لا تعمل فرادى. وان كان هناك حالات من الضغوط لا تؤدي الى الإصابة بالأمراض، فحيث يتمكن الفرد من التعبير عن انفعالاته، كما هو الحال في حالة الحرب واشترك الجنود فيها، فانه يوفر لهم فرصا للتعبير عن ذواتهم وتصريف طاقاتهم وإظهار مهاراتهم، أما في الحالات التي يعجز فيها الفرد عن التعبير عن نفسه، فإن الضغوط قد تؤدي الى الإصابة بالامراض العقلية *On the other hand, any disruption of a person's life which sends his usual of adaptation inoperative heighten the potential for pathological response (p 449 London).*

في نمط حياة الفرد يعوق نمطه الطبيعي او المعتاد في التكيف، يزيد من احتمال إصابته. فالضغوط البيئية *Environmental stresses* قد تؤثر في نمط تكيف الفرد وان كان ذلك يتخذ صورة اشد في حالة المستوى الاجتماعي والاقتصادي المنخفض.

الحالة الزوجية *Marital Status* وأثرها في الصحة العقلية:

لقد وجد ان العجز العقلي يختلف باختلاف الحالة للزوجية للفرد فهل يختلف المتزوجون عن غير المتزوجين في الاضطرابات العقلية؟ وهل يختلف الرجال عن النساء في هذا الصدد؟ بين المتزوجين لا يوجد فرق بين النساء والرجال في العجز العقلي. ولقد وجدت نفس النسبة بين الأرمال *Widowed* والمتزوجات وعلى العكس من ذلك كان هناك نسبة عالية من الاضطرابات او العجز العقلي بين المطلقات. فهناك فرق بين حالة الترملة وحالة الطلاق *Higher rates of impairment were repeated for divorced than for married people of both sexes.* وكذلك المطلقون من الرجال فيبدو أن تأثير الطلاق يحدث للرجال كما يحدث للنساء لتشابه التجربة التي يمرون بها بين الحرمان والوحدة. اما العزوبة بالنسبة للرجال والنساء، فكانت مختلفة للمرأة العزباء لم تختلف عن المرأة المتزوجة. أما الرجال العزباء فكانت نسبتهم أعلى من الرجال المتزوجين في هذه الاضطرابات وربما يمكن تفسير هذا الوضع بالنسبة للمرأة العزباء بأنها كثيرة الاعتماد على ذاتها، وبالتالي ترغب في البقاء عزباء بعيدة عن الزواج *Self-reliant* والنتائج المستمدة من دراسة مارنسون *Martinson* ١٩٥٥ تؤيد هذا الافتراض.

He reported that among fifty-nine pairs of single and married girls matched on many variables, the single girls showed better emotional adjustment, greater self-reliance, a greater sense of personal freedom, and fewer suicidal tendencies.

وهناك تقرير *Day ton* عام ١٩٤٠ والذي وضع على الناس الذين دخلوا المؤسسات بسبب الاضطرابات العقلية في المدة من ١٩١٧ حتى ١٩٣٣ او لتوصي بأن الناس المتزوجين كانت فرصة إصابتهم بالاضطراب العقلي اقل من غيرهم.

وكانت أعلى نسب في الطوائف الآتية حسب هذا الترتيب في الدخول لأول مرة للمستشفى العقلي:

١- الأراامل.

٢- العزّاب.

٣- المطلقات.

وكانت نسبة الأراامل تزيد بمقدار ٤٥% عن المتزوجات ونسبة ٨٠% عن العزّاب، وتزيد عن المطلقات بنسبة ٢٣% أعلى.

وبالنسبة للرجال كانت نسبة الأراامل تزيد عن المتزوجين بمقدار ١٣٠% وعن العزّاب بنسبة ٢٠٠%، وكان هناك زيادة قدرها ٤٠٠% لدى المطلقات. وكانت نسبة المطلقات أعلى في الاضطرابات العقلية عن المتزوجات.

وهناك كثير من الدراسات التي تساوت العلاقة بين الحالة الاجتماعية والتشخيص السيكايري، وأمكن تصنيف المرضى على النحو الآتي :

١- متزوجون.

٢- عزّاب.

٣- فئات أخرى تشمل المطلقات، المنفصلات، الأراامل. هذه الطوائف تم دراستها في ضوء ست متغيرات هي :

١- مجموع سكان مدينة *Massachusetts* مؤسساً على احصاء عام ١٩٥٠.

٢- مجموع نزلاء المستشفى ومن بينهم بعض السجناء.

٣- مرضى الجنون الدوري *Manic-depression*.

٤- القسام *Schizophrenics*.

٥- العصاب أو الأعصاب النفسية.

٦- لرباب الاضطرابات الأخلاقية.

ولقد تبين ان نزلاء المستشفى يختلفون عن بقية المجتمع في الحالة الاجتماعية فنسبة كبيرة من المرضى كانوا من العزاب. وبالنسبة للرجال نسبة عالية كانت منفصلة ومطلقين أو أرمال، وذلك بالقياس لسكان المجتمع بصفة عامة. نسبة قليلة ممن كانوا يعانون من الجنون الدوري والعصاب النفسي كانوا من العزاب ونسبة أعلى كانت ممن المتزوجين وعلى العكس من ذلك كانت اضطرابات الأخلاق والقصام أعلى نسبة ممن العزاب، وأصغر نسبة كانت من المتزوجين وكانت نسبة غير المتزوجين أعلى بين نزلاء المستشفى وخاصة بين الفصاميين ومرضى الاضطراب الخلفي ذلك لان اعراضهم تمثل الانسحاب الاجتماعي او الانطواء الاجتماعي والعدوان تجاه الآخرين.

اما الجنون الدوري والاعصاب تلك التي تتضمن نزعات نحو النقد الذاتي وبعض الاضطرابات الأيدلوجية، فكانت منتشرة أكثر بين المتزوجين.

ومن الأمور الهامة أيضا مقارنة الحالة الاجتماعية لدى المجرمين، فلقد وجد ان نحو ثلث الشبان والرجال الذين دخلوا الإصلاحيات او الحجز او السجن كانوا متزوجين. فيما يتعلق بالنزاع او الخلاف او التنافر او التشوش او عدم الانسجام او التعارض والتضارب العائلي او الزوجي *Family discord*، يرى لندن ان مشاكل الأسرة تشبه مشاكل كبار السن، بمعنى أن الاحداث السيكولوجية التي تهيئ للنزاع او الخصام العائلي والطلاق بين المتزوجين، وكذلك الصراع بين الابناء والاباء ليس ممن الضروري ان تختلف هنا الأشياء الآن عنها عما كانت عليه منذ قرن مضى. ولكن يلاحظ زيادة عدد الزيجات وعدد حالات الطلاق والصراعات الاسرية على القليل ممن جراء زيادة عدد السكان منذ الحرب العالمية الثانية .

هل في الإمكان التنبؤ بالسعادة الزوجية ؟

Predicting marital happiness

هناك محاولات للتعرف على الشروط او الصفات التي تسهم في جعل الزواج زواجا جيدا. ويمكن ان تنقسم هذه الصفات الى صفات في الشخص نفسه وأخرى في العلاقة بين شخصيتين او أكثر.

وهناك استبيانات يملؤها الأزواج والزوجات للتنبؤ بالأزواج السعيد، ومنها يمكن معرفة فرص الزواج السعيد أو التنبؤ به. ولكن لا توفر هذه الاستبيانات دليلاً كافياً ونهائياً بان الزواج سوف يفشل أو ينجح وإنما هي مجرد مؤشر، ذلك لانتصاف سلوك الإنسان بالدينامية المطلقة وتعرضه للتغير وفقاً لتغير المثيرات الوقتية التي يتعرض لها الإنسان. وتتوقف السعادة الزوجية على أساس الهدف من الزواج.

لا ينبغي أن يكون الزواج وسيلة من وسائل الهروب من مشاكل الحياة، وإنما ينبغي أن يكون خطوة إيجابية إلى الأمام ولا ينبغي أن يكون خطوة ناتجة عن التقليد، لأن جميع زملاء الفرد قد تزوجوا مثلاً وهناك من يرغب في الزواج ممن أي إنسان وبأي طريقة هربوا من مواقف غير سعيدة، كالمنزل المتعبس. أو لوجود صعوبة في المدرسة أو الجامعة أو لعدم وجود فرص طيبة في المجتمع، وإنما هناك حياة مثبطة ولذلك هناك ما يعرف باسم زواج الضرورة. والشخص الذي نشأ في منزل يسوده العراك والشجار وعدم السعادة أو في المنزل المضطرب أو غير المنظم يجب أن ينظر لهذه الظروف على أنها إنذار معتم أو كتيب للصعوبات التي تقف أمام المقبلين على الزواج من الشبان. فالشباب يتصور أن هؤلاء الناس الذين يواصلون ملحة الشجار الآن كانوا في يوم ما شباباً يتوقعون السعادة من وراء الزواج. وعندما تمت خطبتهم لم يجلسوا للتخطيط لحياة ملؤها النزاع والخلاف والخصام والاضطرابات والوقوع في الديون واليأس أو خيانة العهد أو الخيانة الزوجية *Infidelity* لقد كانوا يطمحون في حياة زوجية سعيدة ولكنها قد تسوء دون توقع منهم قد يرجع فشلهم لأن الواحد منهم أخطأ في اختيار شريك حياته، أو ربما لأن الواحد منهم كان غير ناضج *immature* وغير قادر على الوفاء بمطالب التكيف للحياة للزوجية السعيدة. مثل هؤلاء الناس سوف يجدون أنهم هربوا من حياة تعسة إلى حياة أخرى تعسة أيضاً أو لا تقل تعاسة عن الأولى. لا يمكن تصور علاج مشكلة بوضع الإنسان في مشكلة أخرى فالمشاكل لا تحل بعضها بعضاً، وهناك رأي يقول إن فشل الدراسات السابقة قد يؤدي إلى فشل في الزواج، على اعتبار أن فشل الفرد في جانب من جوانب حياته أميل إلى أن يقود إلى فشل في الجوانب الأخرى. إذا كان الفرد عاجزاً عن عمل النظام

المطلوب للنجاح الدراسي، فلا يحتمل أن ينجح أو أن يكون قادرا على صنع الأسرة مع مطالبها الرتبية والمتكررة.

إذا كان على الفرد ان يهرب من منزل أسرته غير السعيد، فإن الهروب يمكن ان يكون الى العمل والى الإقامة في منزل مستقل به. ومنه يستطيع ان يضع الاسس القوية التي يبدأ منها في البحث عن شريك مناسب. ولا يمكن الاعتقاد، على طول الخط، بأن الزواج عبارة عن تعضيد متبادل، فقد يحتاج أحد الطرفين الى مساعدة الاخر في فترة ما، بينما لا يحتاج الى ذلك في فترات اخرى. واكسي يكون المرء قادرا على تقديم العون عندما يطلب منه، فإنه يجب ان يكون قادرا أولا على الاعتماد على نفسه.

ولا شك ان الحياة الزوجية تختلف اختلافا كبيرا عن حياة الوحدة او العزوبة. وهناك من يجد صعوبة في التكيف للحياة الجديدة. والحقيقة ان المشاكل الشخصية لا تحل آليا عن طريق الزواج من ذلك مشاعر النقص والدوغة *inferiority* لا حلها الزواج، بل بالعكس قد يجسدها.

ولا تصبح العلاقات الاجتماعية اكثر سهولة بسبب الزواج. كذلك فإن الشخص مدمن الكحول قد يجد فرصة اوسع للشرب كذلك فإن الشخص غير الناضج والانساني وسيئ التوافق سوف يتعمس الطرف الآخر ويفسد عليه حياته اكثر من فرص شفائه هو فلا ينبغي ان يقوم الزواج على اساس من الانانية الفردية وانما على اساس حسن الاختيار والتعاون والترابط والتماطف والمودة والسكينة.

سبل الوقاية من التصدع الأسري

لا شك ان استقرار المجتمع يرتبط برفاهة الوحدة الأولى المكونة له وهي الأسرة.

فإذا صحت الأسرة صح المجتمع والعكس صحيح لان الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع، ومن هنا تبدو مسؤولية المجتمع حيال الزواج والحرص على استمراره قائماً وسعيداً.

ومن هنا كان لا بد من ان يوفر المجتمع اساساً قانونياً لحماية استقرار المجتمع على المدى البعيد وإتاحة الفرصة امام الرجال والنساء لاستئناف حياة جديدة اذا ما باءت تجربتهم الأولى بالفشل والتصدع وعلى ذلك يجب ان يحرص المجتمع لعدم اقامة زيجات لا يتوقع لهن البقاء *Survival* والى جانب ذلك فعلى المجتمع ان يساعد الزوج للتغلب على الصعاب التي تواجهه. وهناك ثلاث مهام للمجتمع هي، الحماية او الوقاية *Prevention* والمواساة *Reconciliation* مع وجود نظام فاعل لحل المشاكل والمنازعات *Dissolution* هذه الانظمة متضافرة ومتراصة وينبغي بذل الجهد فيها كلها (Dominian, p.129)

والحقيقة ان الوقاية امر بالغ التعقيد لعدم ارتكازها على حقائق كثيرة ولان التدخل الخارجي قد ينال من حرية الفرد *Liberty* ويمكن للبرامج التعليمية ان تلعب دوراً في هذا الشأن.

ولقد اهتم علماء الاجتماع بعامل العمر لشريك الحياة عند الزواج ومدى وجود حالات حمل قبل الزواج وذلك بالطبع في المجتمعات الغربية التي فيها ظاهرة الحمل قبل الزواج *Premarital pregnancy*.

ولكن هل تغير سن الزواج عما كان عليه في الماضي؟

لقد دلت الدراسات الإنجليزية على ان الزواج يتم الآن في سن مبكرة عما كان الامر عليه في الماضي. ويرجع ذلك الى تحسن الأحوال المالية والمهنية للأفراد

هناك. ولا شك ان الزواج يتأثر بالوضع الاقتصادي للمجتمع وبثقافته واورضاعه السياسية.

ففي الخمسينيات من هذا القرن كان هناك ٢٠% في بريطانيا من الزوجات او العرايس قد تزوجن قبل بلوغ سن العشرين وكان هناك ٩٣% تزوجن قبل سن ال ٢٥ عاما وفي بداية هذا القرن كان هناك ٢٠ من كل الف من العزاب ممن يقل عمرهم عن العشرين كانوا متزوجين.

وفي عام ١٩٦٣ ارتفع هذا الرقم الى ٧٩.

فهناك اتجاه نحو خفض سن الزواج في إنجلترا وفي أمريكا وكانت هذه الأرقام بالنسبة للعوانس *Spinsters* ١٠٤ و ٣٠٥ على التوالي.

هل يؤثر سن الزواج على نتائجه او مصيره؟ لقد دل البحث على ان هذا السن يؤثر في استمرارية الزواج وعلى وجه الخصوص الزواج الذي يتم قبل بلوغ سن ١٨ عاما يتعرض للانهايار فالزواج المبكر فسي العمر يتعرض للانهايار والتصدع *Breaking down* فهناك علاقة بين الزواج المبكر وعدم استقراره.

ماذا كانت نسبة أولئك النسوة اللاتي تزوجن مرة ثانية من أولئك اللاتي تزوجن لأول مرة قبل بلوغ سن ١٨؟ لقد كانت هذه النسبة تساوي ثلاثة اضعاف نسبة النسوة اللاتي تزوجن في السن من ٢٢-٢٤ عاما. الزواج قبل سن ١٩ يتعرض لمخاطر كبيرة وتفسير ذلك ان صغر السن يكون في الغالب مرتبطا بعدم النضوج العاطفي وبقلة الخبرة وبعدم الاستقرار الاقتصادي او المهني او الدراسي وبالتذبذب العاطفي وسرعة التغير الانفعالي. والحقيقة انه لا يوجد تفسير واحد او سبب واحد لانهايار الزوجات المبكرة .

وان كان نضج الاعضاء الجسدية والوصول للقدرة على التناسل *Reproduction* غير كاف لاقامة علاقة زواجية متكيفة وناجحة ومن العوامل الرئيسية في الحياة الزوجية الدافعية *Motivation* التي تكمن وراء اقبال الفرد على الزواج او تدفعه للقيام بإتمام الزواج فالدافعية هي المحرك للانسان للقيام بأنماط معينة من السلوك .

تدل معظم الدراسات على ان مثل هذه الدافعية لدى بعض الزوجات يكمن ورائها دافع او حاجة قوية للهروب او للتخلص او الخلاص من حياة غير سعيدة ولكن يجد الفرد بديلا يحقق الأمان *Security*، ولذلك يقام الاتحاد الزوجي للهروب من المشاكل الشخصية. ولذلك يشعر الفرد المقبل على الزواج انه سيجد الصحبة الحميمة والامان والهروب من موقف لا يحتمل. وكذلك قلة الخبرة وعدم الثبات الانفعالي *Emotional Instability* يتضاعف تأثيرها السلبي بالصعوبات التي يقابلها الزواج من الناحية الاقتصادية ومشاكل الاسكان *Economic and Housing difficulties* . في بداية حياة الزوجين يكون المكسب المادي محدوداً والمصروفات او الانفاق كبيرا. وعندما تتكاثف وتتفاقم المشكلات الناتجة عن عدم النضج الانفعالي *Emotional Immaturity* وصعوبات الاقتصاد والاسكان حتى تصبح فوق طاقة الاحتمال ولا شك ان مساعدة الشباب في هذا الصدد امر صعب، فمنع هذه المشكلات امر صعب التحقيق وخاصة اذا علمنا ان القانون يسمح بالزواج في سن ١٨ عاما. ففي هذه السن يبدو الزواج كما لو كان حلا سحريا للمشاكل التي يعاني منها الشباب. ويحتاج الأمر الى المرشد النفسي المؤهل تأهila جيدا لاقامة علاقة ثقة بينه وبين الشباب أولاً للتهيؤ لقبول الحلول.

الزواج عديم الاطفال *Childless Marriage* الناجم عن نقص القدرة على الإخصاب *Fertility* يواجه مشكلة اصعب وبالمثل فان الحمل قبل الزواج من اسباب الانفصال وخاصة اذا كان الزواج قد تم مبكرا في السن. عندما تتضافر العوامل المهددة للزواج يحدث الانفصال كأن يجتمع صغر السن مع الحمل قبل الزواج. بل ان الحمل المبكر الذي يأتي بعد الزواج مباشرة قد يكون من اسباب الطلاق مقارنة بالإجاب المتأخر او المؤجل.

ولقد وجد ان تأثير الحمل السابق على الزواج يتوقف على نوع الثقافة وعمّا اذا كانت تدين بالفوضى الجنسية من عدمه، ففي حالة الإباحة الجنسية تكون الآثار السلبية اقل، ولكن في جميع الأحوال حتى في ظل الثقافة الأمريكية و الأوروبية فان الحمل السابق على الزواج من عوامل حدوث الطلاق، والسبب في ذلك هو لجوء

الطرفين للزواج لان هناك طفلا في الطريق، وليس لانهما مناسبان لبعضهما البعض. وفي هذه الحالة يبدأ الزواج بالمآسي او الأحزان او الآلام *Grievances* والشعور بالعنوان *Guilt* تلك المشاعر التي تظهر كلما ظهرت في الأفق صعوبة ما كذلك يصاحب هذا النوع من الزواج مشاعر الحصر *Amxiety* والذنب من خلال القيم الاخلاقية ومن تعليقات الآخرين عليهم. وبصرف النظر عن هذه المشاعر السالبة، فإن الزواج يبدأ وقد تحول الانتباه الى الطفل بدلا من ان يتجه من احدهما الى الآخر وفي هذه حرمان عاطفي *Deprivation* قد لا يحتمله بعض الأشخاص ولذلك يتعين تحاشي الزواج المتسرع. فالزواج لا ينبغي ان يتم الا اذا كان الطرفان مستعدين له وقادرين على تحمل أعبائه. وفي الوقت الذي ينادي فيه بعض كتاب الغرب بتقديم المساعدات للأسر غير المتزوجة وتوفير الأرشد النفسي لها بدلا من الزواج او الدعوة للأخذ بنظام تبني الأطفال *Adoption* نجد الاسلام وقد اعتمد على توعية الشباب وحثهم على الصوم في حالة تعذر الزواج والتمسك بالطهارة والعفة والاهتداء بهدي التقوى والورع والخشوع وفي ذلك يقول الحديث النبوي الشريف: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء).
فالتعليم والتثنية وتكوين عادات ضبط النفس افضل السبل لتحاشي مثل هذه المشكلات.

وبصرف النظر عن عامل السن، هل تؤثر مدة الخطوبة في نجاح او فشل

الزواج؟

في فترة الخطوبة *Engagement Period* يتم الإعداد والتهيؤ والاستعداد وعلى ذلك اذا كانت هذه الفترة ناجحة كان الزواج ناجحا والعكس صحيح. وعلى ذلك أيضا يمكن اتخاذ نجاح فترة الخطوبة او الدرجة التي تعبر عن هذا النجاح كمؤشر للتنبؤ بنجاح الزواج *Prediction* ولقد دلت الدراسات الكثيرة أن مدة بقاء التعارف والخطوبة *Duration of acquaintance and engagement* ترتبط بالزواج السعيد وكلما طالت هذه المدة كلما كان الزواج أكثر عرضة للسعادة وكلما قصرت كلما كان الزواج أقل سعادة.

ولكن كم تبلغ هذه المدة لضمان النجاح؟ لقد دلت بحوث كثيرة على أن الحد الأدنى لهذه المدة هو تسعة شهور للخطوبة.

الزواج الذي يحدث بعد فترة تعارف قصيرة *a brief acquaintanceship* يكون مؤسسا على الإثارة الفيزيائية دون توفر الفرصة لاختبار الصفات الشخصية وهي التي سوف تقف في مواجهة الضغوط والصعاب والازمات والتوترات والحياة اليومية.

فالخطوبة للتعرف والتفاهم والتدريس.

ومن اهم العوامل التي وجدت مرتبطة بالطلاق ما يلي:

- ١- قصر مدة الخطوبة أي الزواج المتسرع.
- ٢- عدم الالتصاق العاطفي والعجز عن اظهار العاطفة.
- ٣- معارضة الاباء للزواج *Parental opposition*.
- ٤- الفروق الثقافية.
- ٥- الفروق الدينية.
- ٦- الفروق الاجتماعية.
- ٧- وجود صعوبات شخصية.

وهي ذات الاسباب التي تؤدي الى فسخ الخطوبة *Broken engagement* ولكننا لا يمكن ان ننسى ان هناك عوامل شخصية في بناء الانسان نفسه تكمن في الخلفية بمعنى ان هناك عوامل مهينة وأخرى مهيرة او معجلة بحدوث الانفصال او فسخ الخطوبة *Precipitating factors* فقد يكون فسخ الخطوبة بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير وقد يكون هي نفسها نتيجة لتوترات نفسية سابقة.

فسخ الخطوبة ينتشر اكثر بين المرضى النفسيين العصائبيين *neurotics* واصحاب الاضطرابات الشخصية *Personality disturbances* وقد يعاني الفرد من الانقسام بين العقل والعاطفة.

ضرورة فض المنازعات الأسرية

لاستمرار الزواج قائماً لا بد من فض ما قد ينشأ من منازعات داخل جدران الأسرة *reconciliation* أي تسوية النزاعات وتحقيق المصالحة بين اطراف الأسرة أولاً بأول وقبل ان تتفاقم الأمور وتصل الى طريق مسدود في الحقيقة لا توجد دراسات كثيرة عن العلاج الاسري او العلاج للزواجي *Marital Therapy* ولذلك يصعب علينا الاجابة عن كثير من التساؤلات حول هذا الموضوع، فمن الذي يسعى لمثل هذا العلاج ومن الذي يقوم به وما هي نتائجه بعيدة المدى؟ وان كانت هناك اعداد كبيرة تشير الى الحاجة الى هذا العلاج والتي تبحث عن المساعدة.

فمنذ وقت مبكر يرجع الى عام ١٩٦٣ كان هناك ٤١٨١٥ حالة لدى مركز المراقبة بالمملكة البريطانية المتحدة *Probation Center* . وفي عام ١٩٦٤ كان هناك ٥٧٥٤٠ من المقابلات التي اجراها مجلس التوجيه القومي *The National Marriage Guidance Council* وكان هناك ١٧٩٠٥ مقابلة اجراها المجلس الزواجي الكاثولوكي الارشادي *The Catholic Marriage Advisory Council* وكان هناك ٣٥٠٠ حالة مقابلة لدى مكتب المناقشات الزوجية *The Family Discussion Bureau* ولا يتضمن هذا العدد الاسر التي حصلت على المساعدات من جمعية رعاية الأسرة *The Family Welfare Association* وهناك الاف الاسر التي تردت على عيادات الطب العقلي *Psychiatric Clinics* .

وضعت لجنة مورتون وهي اللجنة الملكية الخاصة بالزواج والطلاق *The Moston Commission (Royal commission on Marriage and Divorce 1951 - 1955)* ، وضعت شروطاً تتضمن توفير الضمانات الاكيدة والكافية لعدم الافصاح عن أي شئ مما يقوله للعلاء للمرشد دون موافقة العميل نفسه. واعتبرت ذلك احد شروط ومتطلبات المصالحة الناجحة.

وبطبيعة الحال لا بد من توفر الدافعية *Motivation* والرغبة لدى اطراف العلاقة الزوجية *Partness* في تلقي المصالحة، اما اذا كان احدهما او كلاهما

رافضا لها فلا جدوى من بذل المجهود. وقد يعوق المصالحة أيضا وجود اتجاهات صماء جامدة وعدم وجود أمل في فض النزاع بين أطرافه ولذلك لا بد من توفير النية والرغبة والعمل على تكوينها. والى جانب توفر الإرادة والاستعداد *Willingness* لا بد من توفر الوعي والنضوج أو النضج *Maturity* بحيث يكون هناك تقدير لهذا الجهد. كذلك إذا غاب الاستعداد للتغيير فإن المصالحة تجد صدى. ويتوقف تكيف الفرد على مبلغ نضوجه وحتى إذا لم يكن في مقدور المصالحة انقاذ الزواج من هذا النوع فإنها تنفيذ في تعريف الأطراف بالموقف وبذلك تمنع حدوث مضاعفات وتعييدات قد تحدث في المستقبل ومنع الإنسان أو الانجاب *Procreation* في حالة تعثر الزواج منذ البداية.

وإذا توفرت الدافعية الكافية والظروف الصحيحة لخلق الثقة في المرشد، فإن المصالحة قد تنفيذ الأطراف. حيث تتاح الفرصة لإشباع الحاجات والرغبات والآمال التي جمعت بين طرفي العلاقة. وعلى ذلك يلزم توفير التدريب الملائم لقياس هذه السمات وتلك الدوافع في أطراف العلاقة بصورة موضوعية دقيقة وليست ذاتية أو وقفا لأهواء المرشد.

ويعد هذا التقويم للحالة يقدم المرشد المساعدة في بعض الموضوعات الخاصة التي تشكل مشكلة بالنسبة للطرفين أو لأحدهما. ومساعدة الأفراد وعلى توضيح الأمور بالنسبة لهم. والحقيقة أنها المشاعر والانفعالات والعلاقات الداخلية المتبادلة المتداخلة وهي التي يتعين الاعتراف بها وفهمها لكثير من المشاكل الخارجية كالمشاكل الاقتصادية ومن المشاكل الرئيسية التي ينبغي التصدي لها عدم وجود مسكن مناسب للزوجين *Accommodation* أو عدم وجود النقود اللازمة أو عدم وجود عمل أو وجود احد الأقرباء أو الأصدقاء الذين يتدخلون في حياة الزوجين مثل هذه المشاكل يجب ان تناقش وتعالج بأمانة وصرامة.

كذلك من الأهمية بمكان علاج اعتلال الصحة الجسمية والعقلية والنفسية للزوجين أو لأحدهما. ذلك لأن المصالحة لا تجدي في حالة وجود الآلام أو التعب الزائد أو الارق أو التلق الزائد أو الاكتئاب *Pain, Fatigue, insomnia, anxiety*

(Dominion 141) and depression هذه الأعراض نتيجة للصراع Conflict الدائر بين اطراف العلاقة وبعد تحقيق الاستبصار Insight الكافي بهذه المشاكل قد يلزم الاستعانة ببعض العقاقير لمساعدة الاطراف على التركيز على التوترات الداخلة المتبادلة في العلاقة الزوجية Personal tensions . كذلك هناك سلسلة من الصعوبات الاساسية التي قد تنشأ من جراء وجود اختلافات بين الطرفين في الامور الاتية:

- ١- الدين.
 - ٢- السلالة أو الجنس .
 - ٣- الطبقة الاجتماعية .
 - ٤- المكانة الاجتماعية.
 - ٥- السمات والخصائص والخصال والعادات الشخصية.
- ولا شك انه اذا لم تتوافر القيم المشتركة والأهداف المشتركة والمثل والمعايير المشتركة والعادات والتقاليد الاجتماعية، فإن الزواج يفقد واحدا من أدوات اللحمة القوية في اواصره *Some powerful means of cementing a marital bond are lacking* ولذلك كانت فطنة الاسلام وعقيرته في الحرص على تكوين الأسرة السوية حيث نصح بالزواج من المرأة التي تجتمع فيها فضائل للدين اولاً وقبل كل شئ ثم المال والجاه والاصل والنسب.

تقويم الحالة او تشخيص المشكلة :

لعل من اولى خطوات علاج اية مشكلة طبية او نفسية او اجتماعية هو

تشخيصها *Diagnosis* .

والتعرف على أسبابها، وفي الغالب ما تكمن هذه الأسباب فيما يلي :

- ١- الحرمان الزوجي *Marital Desperation*.
- ٢- الفروق الاجتماعية.
- ٣- اعتلال الصحة.

٤- سمات شخصية سيئة او غير سارة لدى الطرف المذنب.

وعلى المرشد ان يعمل على إزالة هذه الأسباب باقتراح مصادر المساعدة الطيبة او الفيزيقية ثم بعد ذلك يركز على ضرورة عدم الانسجام او عدم الوئام الزوجي *The roots of marital disharmony namely personality conflicts. (Dominc P 142)*

ويطلب حل مثل هذه المشاكل الصبر والمشاركة الوجدانية والقدرة على تخيل الانسان في موقف الغير من قبل المرشد حتى تأتي عملية الإرشاد ثمارها المرجوة في حل الازمة واعادة الوئام.

والمعروف ان العملاء يستجيبون بطريقة إيجابية للشخص الذي يشعرون انه يتعاطف معهم ويتفهم موقفهم ويشعر بما يشعرون به ويحس بإحساسهم. ولذلك فان الاتجاه المملوء بالدفء والفرد يساعد في تحقيق العلاج.

ومن الجدير بالملاحظة ان يتذكر المرشد انه في هذا الموقف عليه ان يستمع لا ان يكون قاضيا يصدر أحكاما بالبراءة او الادانة وليس عليه ان يقف موقف الناقذ او يقدم حله الخاص او الشخصي للازمة.

عليه ان يشارك عاطفيا وان يصور نفسه في مكان الغير، وان يشعر الغير بالدفء وحسن الاستماع، عليه ان يتواصل مع العميل. وسوف يتطلب علاج الازمة إحداث بعض التغييرات وعلى ذلك سوف يرى العميل ان ما كان يعتقد انه السبب في المعاناة في الزواج، ليس هو في الحقيقة السبب، وانما تكمن جذور المشكلة في الصعوبات العاطفية وفي المشاكل وهي التي يتعين ان نتعرف عليها وندرکها ونقدرها حق قدرها ونغيرها ولو بالتدريج. من ذلك ضرورة تغيير اتجاه الرفض الذاتي او الرفض الذاتي *Self-rejection*.

وان يصبح الفرد مستعدا لقبول حب الطرف الآخر ورعايته. كذلك يلزم مساعدة العميل في تحقيق قدر كبير من النمو الانفعالي لكي نقال من اعتماده على الغير او توكله وتحقيق قدر معقول من الاعتماد على الذات *Self-reliance* ذلك لان هناك زوجات تلقى بقلها كله على كاهل الرجل وتضع عليه مسئولياتها هي نفسها، فتصبح

عالة ثقيلة مغلوطة الى عنقه وبمرور الزمن وازدياد اعتماديتها وتوكلها والقضاء كل اعمالها عليه تنوء قدراته على احتمالها وقد يتخلص منها كلية.

فهناك حالات تطلب فيها الزوجة من الرجل بل وتفرض عليه ان يقضي مصالحها الشخصية وان يحل لها مشاكلها في العمل ويزودها بالمال اللازم ويذهب بها الى الطبيب وينقلها بسيارته الى زيارة اهلها واصدقائها وينتظرها حتى تنتهي من تصفيف شعرها عند الحلاق وما الى ذلك. ويؤدي ذلك الى شعور الزوج بالفشل والاحباط والعدوان وانها حمل لا يطاق .

الذكاء وحده لا يكفي:

على انه لا يكفي الذكاء وحده لحل مشاكل الفرد وخاصة مشاكله الانفعالية، فقد يستطيع الفرد ان يستبصر مشاكله، ولكنه يظل عاجزا عن حل المشاكل الانفعالية، ولا بد ان من توفر المرشد النفسي المدرب او المعالج النفسي المتحرر من قيود الموقف وضغوطه، والذي يكرس جهده لحل الأزمة. والإرشاد يوفر فرصة لكي يكتشف العميل قيمه واستعداداته وقدراته وامكانياته. والمرشد يساعد الفرد على اكتشاف ذاته والتعرف على قيمتها او وزنها وهو يقبل عملائه كأشخاص يستحقون الحب والتقدير .

دائرة التفاعل:

والزواج الناجح يحقق الاثباع، وبالتالي يسمح بمزيد من النمو ففي قدرات الفرد وميوله واستعداداته وسماته الشخصية. انها دائرة ايجابية والانسجام في الزواج يؤدي الى النمو والتقدم. والتقدم بدوره يؤدي الى اللونام في الزواج. وعلى الجانب السلبي نجد ان الزواج النعس يقود الى الاضطرابات والاضطرابات بدورها، تؤدي الى مزيد من التعاسة الزوجية.

ان حياة الانسان سلسلة مترابطة من السمات والمتغيرات المتفاعلة المتكاملة.

قد يعمل المرشد او المعالج مع احد الزوجين على انفراد، ولكن هناك اتجاه حديث مؤداه ان يعمر : من الاطراف كمعالج للأخر *Spouses* ويتأتى ذلك بعد ان يقابلهم المعالج الاثنتين معا لعدة جلسات .

وقد تتم المقابلة وحدهما او تتم ضمن مجموعة من الأزواج او في هذه الحالة يساعد الجور الجماعي في إزالة سوء الفهم.

الوضع المثالي ان تتم المقابلة مع الزوجين معا، ولكن قد يكون ذلك أمرا متعذرا في كثير من الحالات في حالة إحساس الاثنتين بان كليهما مجروح. وهناك من يعتبر طلب المساعدة اعترافا بالفشل. وفي الغالب ما يلقي كل طرف بمسؤولية التعاسة الزوجية على الطرف الأخر. ولكن حتى إذا أصر احد الأطراف على عدم البحث عن المساعدة، فان الطرف الثاني قد يقدم عليها ويقاوم رفض الطرف الآخر.

وللعلاج الأمري حساسية خاصة، ذلك لانه إذا نجح في إحداث تغيير ما في سلوك طرف من الأطراف، فان ذلك قد يؤدي الى انهيار حالة التوازن التي كانت قائمة بين الطرفين. وقد يؤدي ذلك الى الإسراع في الانهيار الزوجي بدلا من إصلاحه.

وعلى ذلك، فان العلاج الزوجي *Marriage therapy* ينبغي ان تقدم معالجة كلية شمولية اجمالية بمعنى ان تكون معالجة او مساعدة اجتماعية وطبية ونفسية وزوجية وعقلية وشخصية بحيث تحقق التكامل *Integration* .

وفي المملكة البريطانية المتحدة يمكن الحصول على المساعدات الاسرية او العلاج والارشاد الزوجي من المؤسسات الآتية:

١-ضباط المراقبة *Probation officers* وقد يقدم الأزواج اليها بارادتهم الحرة او عن طريق تحويلهم عن طريق المحاكم.

٢- المجلس القومي للتوجيه الزوجي *The National Marriage Guidance Counsel* وله اكثر من ١٢٠ فرعا للارشاد ويعمل به اكثر من الف مرشد متطوع.

٣- المجلس الكاثولوكي لنصائح الزواج *The Catholic Marriage Advisory Counsel*

العوامل النفسية في تجربة الطلاق

تعريف الطلاق:

يعرف الطلاق بأنه فسخ رابطة الزواج لسبب منصوص عليه قانوناً، وتختلف الأعراف التي تبيح الطلاق، باختلاف المجتمعات، ومن أهم الأسباب التي تجيز طلب الطلاق أو الأوس التي يبني عليها: *Grounds of Divorce* الزنا والهجران عدة سنوات، والقسوة، والجنون الذي لا يرجى شفاؤه.. الخ وحق المرأة في طلب الطلاق أقل نطاقاً من حق الرجل.

وهناك فرق بين الانفصال والطلاق *Separation and divorce* ففي الطلاق يكون الطرفان أحراراً في إقامة علاقات زواجية جديدة، بينما في الانفصال يقتصر الأمر على الانفصال الجسماني، وعدم الاتصال الجسماني، واستقلال كل طرف من المآكل والمخدع^(١) مع بقاء الرابطة الزوجية كما هي.

ويمكن النظر للطلاق على أنه ترتيب نظامي لإنهاء علاقة الزواج والسماح لكل طرف بحق الزواج مرة أخرى، وقد يساعده ذلك على إعادة تكيفه. كذلك من معاني الطلاق انتهاء رابطة الزواج، أو إصدار إعلان قانوني ببطان هذه الرابطة، وقد يشير هذا المصطلح إلى حدوث انفصال بين الزوجين، بحيث لا يغير هذا النظام من العلاقات القانونية بينهما، التي نجمت عن الزواج. ويعد علم الاجتماع المقارن صعوبة في تعريف معنى الزواج في الثقافات المختلفة، وهذه الصعوبة هي التي تجعل من العسير تكوين فكرة محدودة وواضحة عن الطلاق في كل المجتمعات.

وإنك هناك صعوبة أيضاً في تحديد معدلات الطلاق في المجتمعات المختلفة^(٢)، ولكن لا بد من التفرقة بين مجرد الانفصال والطلاق، ففي الطلاق يصبح كل طرف من الأطراف حراً في إقامة زواج جديد. ولا يصلح هذا التمييز في

١- أحمد زكي بدي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦، ص ١١٦.

٢- محمد علي محمد، وآخرون، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية،

١٩٨٥، ص ٦٣٩.

المجتمعات التي تتعدد فيها الزوجات، إذ الزوج حر في أن يجمع في عصمته أربع زوجات. والطلاق عبارة عن انفصام علاقة الزواج بسبب منصوص عليه شرعاً أو قانوناً.

ومن أخطر أسباب الطلاق الزنا، والهجران، والقسوة، والجنون الميؤوس من شفائه. والطلاق معناه رفع القيد كأن يتم إطلاق سراح الأسير أو السجين أي رفع قيد الزواج أو رفع قيد النكاح.

العوامل المسؤولة عن حدوث الطلاق:

وهناك عوامل كثيرة من أهمها العوامل النفسية أو انعكاساتها التي تؤدي إلى حدوث الطلاق، تعد مسؤولة عن حدوث الطلاق. من ذلك صغر سن الزوجين، فكلما كان سنهما عند الزواج صغيراً كلما زادت احتمالات الطلاق، ومرجع ذلك قلة الخبرة، وقلة النضوج *Lack of maturity and experience*، فلقد وجد أن الذين يتزوجون قبل بلوغ سن العشرين تبلغ نسبة الطلاق بينهم ضعف الذين يتزوجون بعد سن العشرين. وبالتالي يقصر عمر الزواج في هذه الزيجات، حيث وجد أن نصف حالات الطلاق تحدث في السنوات السبع الأولى من عمر الزواج.

وقد يسبق الطلاق خطوات كثيرة من الانفصال الجزئي أو الهجر ومحاولات إصلاح ذات البين ومعنى ذلك أن خطوات الطلاق تبدأ قبل ذلك بكثير، منذ أن يتسرب التصدع إلى الكيان الزوجي. ومن العوامل السببية كذلك طلاق الوالدين، حيث وجد أن الأزواج الذين ينحدرون من آباء وأمهات مطلقين أميل إلى أن يطلقوا هم أنفسهم.

وليس معنى وجود مشكلات في الحياة الزوجية أن ينتهي الزواج حتماً وضرورة بالطلاق، فقد يظل الطلاق، إلا عندما يصل الطرف الذي يطلبه إلى القناعة بأن الطلاق أفضل من الحياة الزوجية التعيسة.

ومما يدل على أن حياة الزواج مفضلة عن حياة العزلة أو الوحدة هناك زوجة من كل أربع زوجات مطلقات يتم زواجها مرة ثانية والعودة إلى حياة الزواج وذلك في المجتمع الأمريكي.

ومن العوامل المرتبطة بحدوث الطلاق انخفاض مستوى المعيشة للزوجين أو ضعف المستوى الاقتصادي والاجتماعي، فالطلاق بين الفقراء اكثر منه بين الأغنياء لان عدم الراحة الناجمة من قلة الدخل تؤثر في الزواج وقد تدفع الى الطلاق وكذلك فعدم استقرار الدخل قد يؤدي الى الطلاق. وإذا كان الدخل المنخفض جدا وغير المستقر من أسباب الطلاق، فإن الثراء الفاحش أيضا قد يدفع الى الطلاق، كما يلاحظ في أوساط المهن الفنية.

والغريب ان هذه العوامل ليست مطلقة سواء أكانت صغر السن أو قلة الدخل أو زيادته، لان هناك ملايين الحالات من هذه الفئات التي لا تنفصل، ومؤدى ذلك ان الإحساس النفسي بهذا العامل السببي أو ذاك هو المسئول عن الطلاق وليس العامل من ذاته، والحقيقة ان الشعور النفسي هو الذي يكمن وراء الرغبة في الطلاق، حينما يتصور الزوج أو الزوجة انه لم يعد جذابا بالنسبة لشريكة حياته، وان حياته قد تغيرت بهذا الزواج عما كان يرغب فيه أو عما كانت قبل ذلك. فالطلاق قد يرجع لعوامل حقيقية أو عوامل " وهمية متخيلة" فقد يتوهم احد الاطراف بان الطرف الآخر اصبح لا تربطه به علاقة حب وعاطفة، فيفكر في الانفصال عنه.

وهناك من يرجع الطلاق الى حالة نفسية أخرى حين يوازن الفرد بين مزايا بقاء الزواج وعيوبه، ومزايا الانفصال، فاذا شعر ان للانفصال مزايا اكثر، فانه قد ينزع الى الطلاق. وسواء كانت حسابات الخسائر والأرباح هذه حقيقية أم " وهمية"، فإنها قد تدفع الى الطلاق.

وقد يقبل الزوج على الطلاق بتأثير ما يلقاه من عوامل جذب من خارج نطاق الزواج، كالصحبة أو الصداقة أو الزملاء أي البديل عن حياة الزواج الفاشل. فاذا فازت كفة الزواج في عقد المقارنات بقي، واذا قلت انفصم الزواج. وقد لا تكون هذه الموازنة عادلة أو موضوعية، فقد يتحيز الفرد فيقلل من مزايا الزواج في نظره، ويضخم من عيوبه، أو من مزايا الانفصال.

وهناك عوامل نفسية تقاوم الطلاق، من ذلك الخوف على مستقبل الاولاد أو نسيان علاقات الحب والتعاطف والمشاركة الوجدانية التي سبق ان قامت بين الزوجين،

والخوف من المجهول بعد الطلاق. وكذلك مقاومة الاهل والخوف على إفساد علاقة الود بين الاسرتين، وخاصة في حالة القربة.

تشابك وتعقد العوامل المسؤولة عن الطلاق:

والطلاق عملية معقدة ومتشابكة، وليست بسيطة، ولا يحتمل ان يقف وراءها سبب واحد دون سواه، ولكن تتشابك وتتفاعل في حدوثه العوامل الموضوعية المحددة والواضحة والعوامل الغامضة أو اللاشعورية، فقد يدخل فيه زيادة أعباء العمل، ووجود مشكلات مع الأهل، والأقارب، أو وفاة أحد أفراد العائلة، وتغير الوظيفة أو الانتقال لمكان بعيد أو وجود طرف ثالث. وقد يعزوها البعض الى القضاء والقدر ويصعب تحديد المسؤول عن الطلاق، فإذا سئل الزوج قال: إن الزوجة هي المسؤولة وإن سألنا الزوجة قالت إنه الزوج.

عدم النضوج وقلة الخبرة :

وفي بعض الدراسات كان عدم النضوج من بين الأسباب المؤدية للطلاق، وفقدان الشعور بالثقة من الطرف الآخر، وزيادة المطالب الجنسية الزوجية من جانب الزوج، وانشغال الأم أكثر من اللازم مع الأولاد، وإدمان الخمر والمخدرات، والمشكلات المالية والوظيفية والمشاكل العاطفية والشخصية.

وفي دراسة أمريكية جاء في مقدمة الأسباب فقدان عنصر التفاهم، والنزاع حول الأدوار التي يقوم بها كل من الرجل والمرأة، وتعاطي الخمر وعدم الانسجام، وتغيير الاهتمامات والقيم، والانهماك في العمل، وقلة الحياة الاجتماعية، وعدم الإحساس بالحياة العائلية. وإذا كان لكل من الزوج والزوجة أسبابه، فإن هناك أسبابا مشتركة عند الطرفين مثل تعاطي الخمر أو انعدام الثقة أو قلة التفاهم^(١).

ويعتقد كثير من الناس أن طلاق الأم يؤثر تأثيرا سلبا على نفسية أبنائها، ولذلك يتعين تحاشي الطلاق بقدر المستطاع حماية لصحة الأبناء.

^١ - ثروت محمد علي، الطلاق والتغير الاجتماعي في المجتمع السعودي، دار النجم العلمي، جدة، ١٩٨٨ ص

والطلاق، من الناحية الشرعية، مباح لرفع الضرر عن أحد الزوجين، أو كلاهما لقوله تعالى ﴿الطلاق مرتان فإمساكهن بمعروفهن أو ترميكن بإحسان﴾ سورة البقرة، وقوله تعالى ﴿يا أيها النبي إذا طلقته النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ سورة الطلاق، ويجب الطلاق إذا كان ما لحق أحد الزوجين من الضرر لا يرفع (إلا به)، كما أنه قد يحرم إذا كان يلحق بأحد الزوجين ضررا، ولم يحقق منفعة تفوق ذلك الضرر أو تساويه، وذلك لقول النبي ﷺ لذي شكا إليه بذاء امرأته: "طلقها" وقوله "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة" (١).

ولا يقع الطلاق إلا من الزوج المكلف، فليس لغير الزوج أن يوقع طلاقا، ويجب أن يكون: عاقلًا بالغًا مختارًا غير مكروه لقول النبي ﷺ "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان". وما استكرهوا عليه "ولا يقع الطلاق لامرأة ليست للمطلق، ولا على امرأة بانة: نه بالطلاق الثلاث، أو بالفسخ أو بطلاق قبل الدخول بها. فالطلاق لا يقع إلا على الزوجة التي تربطها بالزوج المطلق رابطة زواج حقيقية، بأن تكون في عصمته، لم تخرج عنه بفسخ أو طلاق أو حكما، كالمعتدة من طلاق رجعي أو بائن بينونة صغرى ولا بد لحدوث الطلاق شرعا أن يتوفر اللفظ الدال على الطلاق صريحا كان أو كناية فالنيسة وحدها بدون تلفظ بالطلاق لا تكفي ولا تطلق بها الزوجة لقول النبي ﷺ "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به" متفق عليه (٢).

وجوب محاولات الصلح وحل النزاع :

والحقيقة أنه على المسلم واجب الصلح بين الزوجين قبل أن يصل الأمر إلى حد الطلاق، فهناك دعوة عامة من إسلامنا الحنيف لاصلاح ذات البين، واعتبار الصلح خيرا، والنظر للمسلمين أو المؤمنين على أنهم أخوة جميعا. فقد جاء الهدى الإسلامي فقال تعالى: ﴿ لا خير فيمن يفتير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروفه أو إصلاح بين الناس ﴾ النساء ١١٤، وقوله تعالى: ﴿ والصلح خير ﴾ النساء ١٢٨، وقوله تعالى:

١ - ابو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، مكتبة الدعوة الإسلامية وشباب الأزهر، قطر، ١٩٦٤م.

٢ - ابو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، مكتبة الدعوة الإسلامية وشباب الأزهر، القاهرة، ١٩٦٤م.

﴿ مَا تَقُوا اللَّهَ وَأَحْلَمُوا خَلْقَهُ بَيْنَهُمْ ﴾ الانفال ١، وقوله عز وجل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَحْلَمُوا بَيْنَ أَخْوَيْهُمْ ﴾ الحجرات ١٠، ولقول الرسول ﷺ " كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله او ترفع له عليها مناعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة " متفق عليه^(١).

وعلى المجتمع الحديث ان يتصدى لظاهرة الطلاق لتقليل انتشارها بقدر المستطاع، ذلك لان الدراسات الأوروبية الحديثة تدل على ان الطلاق احد عوامل الجريمة والجنوح *Divorce is a factor in crime and delinquency* . بل انه يرتبط بالمرض، وبعض حالات القرح *Cancer* والانتحار *Suicide* .

فلقد وجد ان الطلاق يحتل المكانة الثانية مباشرة بعد مسوت شريك الحياة *Death of Spouse* من قائمة احداث الحياة الضاغطة التي تتطلب اعادة التكيف *Readjustment* ^(٢) فالطلاق وجد انه منتشر اكثر بين المترددين على دخول المستشفيات، ولقد وجد ان المطلقين صحتهم اقل من صحة المتزوجين *Poorer health* .

فهناك علاقة بين الضغط والقرح *Stress and Cancer* وتظهر هذه العلاقة في الرجال ايضا.

كذلك تؤكد الدراسات، وقوع تأثير سيئ على الاطفال من جراء الطلاق او مصاحبة للطلاق، فالاطفال الذين انحدروا من آباء وأمهات مطلقات، وكذلك الذين كانوا يعانون من النبذ والطرود وعدم القبول والهجر والمعاملة الوحشية، كل هذه الخلفيات تظهر لدى الاطفال اصحاب السلوك السيئ ويجب منع، بقدر المستطاع، الأسباب التي قد تؤدي الى الطلاق، ومن ذلك صغر السن. وحتى بقاء الزواج قائما لا يدل على السعادة الزوجية، فهناك زيجات منفصلات عاطفيا او انتقاليا، وان كانت تعيش تحت

^١ - الامام عبيد بن ابي ذر، يحيى بن شرف النووي الشافعي - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، وكالة المطبوعات - الكويت - دار القلم - بيروت - لبنان.

^٢ - Gallatin.

سقف واحد. وكذلك من العوامل السببية الإسراع في الاختيار، والاحباط الذي لم ينتظره احد او الزواج الذي يتم بالقوة كالزواج بين ارباب المدارس.

وإذا كنا نسعى لمنع انتشار ظاهرة الطلاق، فعلى ان نتعرف على الاسباب المؤدية اليها للوقاية منها، ومن ذلك سوء الاختيار لشريك الحياة او التوقعات الخيالية او غير الواقعية من وراء الزواج.

تتطلب الحياة الحديثة، وما تفرضه من ضغوط، تخصيص أخصائي نفسي لبحث مشاكل المقبلين على الزواج، ومساعدة الحالات التي تعاني من المنازعات والخسومات الزوجية، وللمعمل على التخفيف من وطأتها قبل ان يصل الامر الى حد الطلاق.

هل من مصلحة الأسرة المصرية الحديثة تعقيد روابطها؟

يثور في هذه الأيام جدال حول اقتراح إدخال عدد من القيود والشروط على عقود الزواج. سواء أكانت هذه القيود والالتزامات تنصب على الرجل ام على المرأة، فإنها ليست في صالح تكوين الأسرة، والتشجيع على إقامتها وحث الشباب من الجنسين على الإقبال على الزواج، وتكوين الأسرة، وتحقيق الإشباع الحلال، والاستقرار الاجتماعي والنفسي والأخلاقي والاقتصادي للشباب والشابة على حد سواء لذلك يتطلب التيسير لا التعسير والترغيب لا التثفير.

العلاقات الزوجية وان كانت تقوم تأسيساً على تعاهد رسمي، الا ان هذا التعاهد تباركه الأديان وتحترمه وتشجعه المجتمعات وتضع ما يلزم لصيانته وحمايته وكفالة استمراره.

ولذلك فليست العبرة بتكبير أطراف العلاقة بسلاسل من القيود والاشترطات والالتزامات والجزاء والعقوبات، ذلك لان مثل هذه القيود تدفع الشباب للخوف من الإقبال على الزواج والى العزوف عنه كلية. فهل لنا ان نترك الأسرة وحالتها وقد تأخر سن الزواج في السنوات الأخيرة بسبب صعوباته واعبائه الثقيلة التي أصبحت

تفوق قدرات معظم الشباب، ولذلك زادت نسبة العنوسة بين بناتنا وهو أمر بالغ الخطورة ولا يرضى الرجال ولا النساء. والمفروض أن يسود بين شقي المجتمع الوئام والانسجام والتواد والتعاطف والتماسك والتعاون والإخاء والمودة.

كفى الأسرة ما تعانيه من الغلاء الفاحش ومن صعوبات في إيجاد السكن وتأمينه، وفي تعليم أبنائها وما تنكبه من الأعباء الناجمة عن غول الدروس الخصوصية تلك الدروس التي أصبحت تمتص إمكانات الأسرة وتجهدها وترهق كاهلها. وكفى ما تواجهه من صعوبات إذا ما اضطرت إلى العلاج، وقد بلغت تكاليف العلاج بالمستشفيات الاستثمارية أرقاما خيالية وفلكية باهظة .. المطلوب ان تعود الأسرة إلى المحبة والتكاتف وان نعيد إليها جو الرومانسية المفقودة والتي ضاعت في خضم المادية البغيضة.

عقد الزواج ليس شبيها بعقود انشاء الشركات الاقتصادية.. وإنما هو عقد له خصوصيته وله طابعه الإنساني الصرف. فهو ينظم علاقة مقدسة قوامها، كما تذهب إلى ذلك الثقافة الإسلامية، المودة والرحمة والسكينة والتعاون والأخذ والعطاء والتضحية إذا ما لزم الأمر..

﴿ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتصبحوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ الروم ٢١، وقوله تعالى: ﴿وجعل منكم أزواجا ليمتنعوا بها﴾ الاعراف ١٨٩. لا نريد للشباب المقبل على الزواج ان يجد نفسه تطارده الشروط والشروط المضادة وإنما نريد له ان يسكن في رحاب الأسرة.

الزواج علاقة انسانية في المحل الأول، لا بد وان نترك لاطرافها دون وضع قيود تحد من الاقبال على الزواج أو تسبب صراعات حول تنفيذ بنود الاتفاق تكون مئارا للجدل. اما العلاقة الزوجية علاقة انسانية ديناميكية نامية ومتطورة وتخضع لكثير من الظروف والمتغيرات الطارئة. ويجيب ان نتركها لسلايرادة الخيرة في الطرفين.. هب ان زوجا او زوجة مرضت مرضا عضالا.. فهل تنفع الشروط والبنود والقيود؟ وليس معنى ذلك الوقوف ضد مصالح المرأة، فالمرأة هي الام والأخت والإبنة

والزوجة ورفيقة مشوار الحياة، ولا بد من الاحتفاظ بقدر من التوازن في هذه العلاقة من الناحية الرسمية. اما الذي نشجعه في عصر طغيان المادية فهو العودة الى الرومانسية داخل الأسرة. وتوقيع ظلم على احد اطرافها ليس في صالح هذه العلاقة في شيء. فأبسط ما يمكن ان يحدث ان يعزف الشباب عن الزواج وحينئذ تعاني المرأة من العنوسة ويعاني منها اهلها وكل المجتمع. في الزواج غض للبصر وحفظ للعرض وصون للخلق والتعفف وليس من مصلحة الزواج توسيع قاعدة الطلاق واطلاق يد المرأة لتطلق نفسها الى جانب حق الرجل في هذا. مثل هذا الاتساع سوف يزيد من معدلات الطلاق، وليس ذلك في صالح اطراف العلاقة الزوجية.. واذا كنا نفهم ان المنظمات النسائية تطالب بالحد من انتشار ظاهرة الطلاق فالأولى ان تطالب بالانقلاب من فرصها لا ان تزيد قاعدتها ومنحها لاطراف كثيرة. وان كان ذلك لا يلغي حقا مقررا للمرأة لتطلب الطلاق اذا ما وقع عليها ضرر تستحيل معه المعاشرة.

نحن امام دعوة متناقضة الحد من الطلاق وفي نفس الوقت توسيع قاعدته. هذه العلاقة الانسانية في جوهرها الديناميكية في طبيعتها، لا يمكن وضع قيود مسبقة على ما سيحدث من ظروف في المستقبل القريب او البعيد. فقد يرفض زوج ما الآن ان تعمل امراته، ولكنه قد يوافق على ذلك اذا تغيرت الظروف بعد فترة من الزمن. وليس من مصلحة العلاقات الزوجية ان تسافر المرأة للخارج تاركة زوجها على الرغم من إرادته فاضعف الاحتمالات ان تعود من رحلتها او اعارتها لتجده وقد تزوج من غيرها. ومسألة استكمال دراستها العليا مسألة ايجابية حقا. ولكن ماذا لو ان ميزانية الزوج او الزوجة لا تفي باعباء الدراسة، او ماذا اذا كانت الدراسة العليا تؤدي الى اهمال الام لابنائها الصغار وماذا اذا كانت دراستها العليا تعرضها لخطر السفر وما الى ذلك..

المسألة يجب ان تترك للظروف وللحالات الفردية ولمشاعر الثقة المتبادلة بين الزوجين والتي تنمو باستمرار المعاشرة الطيبة.. ثم اين طاعة الزوجة لزوجها بالطبع في غير معصية...؟ ثم اين قوامة الرجال على النساء...؟ ثم لماذا يلزم القانون الرجل بالإنفاق على زوجته اذا كانت تسافر للخارج في اعادة رغبته.. هذه العلاقة قوامها

الظروف الفردية. ولا يمكن تعميم أحكامها، وفيما عدا ما نص عليه الشرع من شروط صحة النكاح السليم من الرضا والعلانية والمهر ومؤخر الصداق وشهادة الشهود. فأمر لا داعي له ولا فائدة منه لا للرجل ولا للمرأة على حد سواء.. لا ينبغي ان نقلد الغرب فيما يذهب إليه لانه نظام فاشل في هذه الأمور.

كنا نتوقع ان تصدر التشريعات حائثة على التشجيع على الزواج وتكوين الأسرة وعلى تمكين المرأة ومساعدتها على التوفيق بين عملها وواجباتها داخل أسرتها وذلك بدعم الأسرة ماليا واجتماعيا وثقافيا وروحيا وحل مشاكلها وحماية أبنائها من أخطار بانثت تهدد كيان الأسرة كالإدمان والعنف والجروح والتطرف والإرهاب والبطالة والفقر والغلاء..

المرأة المسلمة في إعدادها الروحي

الجانب الروحي في الإنسان هو أساس وجوده، وبه تتحقق إنسانيته وتزكو أعماله، ويقدر ما تسمو الروح يكون استعلاء الإنسان على غرائزه، وارتقائه على نفسه الأمانة بالسوء وتحكمه في نزعاته.

فالروح للجسد بمنزلة الشمس للأرض، فكما ان الشمس يصفو إشعاعها وتمدد الأرض بالحياة، حين لا يحجبها غمام فكذلك الروح حين تزكو، تشرق على النفس الفضائل وتملأ كيان المؤمن ووجدانه بمعاني الخير، فيصفو معننه، ويلطف جوهره، ويرقى حسه، ويفيض بركة على من حوله.

والعناية بأمر الروح في الإنسان هدف الإسلام الأسمى، ومقصده الأعلى من الرجل والمرأة.

ولكن العناية بذلك ينبغي ان تكون اكثر من حق المرأة، لان المرأة تمتلك قلبا جياشا بالعواطف، وتستهويها مظاهر الحياة، ويشدها ما في الكون من مغريات، كما ان عليها عبئا ثقيلا في تكوين النشء، وكلما رق وجدانها، وشفقت روحها انعكس ذلك بالأثر العظيم على أبنائها. والقرآن الكريم يقص علينا من خبر مريم ابنة عمران التي أنصرت للتربية الالهية فيها العبادة الصادقة والنفس القائنة، والروح المشرقة، ولكن القرآن يلفت كل أم الى صدق النية، واخلاص الوجهة، حتى يكون الله عوناً للأمهات والأباء في انبياتهم نياباً حسناً، وتقبلهم بقبول حسن.

فامرأة عمران كان قلبها معلقا بالمسجد الاقصى، وكانت نفسها تهفو الى ان يخرج من بطنها من يقوم على بيت الله بالخدمة، وما ان حملت حتى نذرت ما في بطنها خالفاً لله، وتطلب من الله ان يتقبل منها.

﴿إذ قالت امرأة عمران ربى انى نظرت لك ما فى بطني محررا فتقبل منى انك انض السميع العليم﴾ . ولكن تواجها الأقدار عند وضعها بأنثى وكان لا يصلح لهذه المهمة إلا الذكور، فانتابها الألم، وراحت تبث حزنها وشكواها الى الله. ثم تسمى ابنتها باسم يحمل العبادة، والطاعة، والتقوى.

يقول القرآن مصورا لحالة أم مريم عند ولادتها ﴿ فلما وضعهما قائمته ربه إنسي
وضعتما أنثى وإنه علم بما وضعته وليس الذكر إلا الذكر ﴾ وإني سميتما مريم ﴿ ومريم
في اللغة العبرية هي القانتة.

وفي هذا ابلغ الدلالة على أن أم مريم كانت شغوفة بأن تكون ابنتها من
الصالحات، لهذا تقبل الله منها.

ويبين القرآن دور الأسرة في التربية الصالحة، فقد شاء الله أن تنشأ في كنفه
نبي الله زكريا لتقتبس من نور النبوة ما يغمر روحها بهدي الله، ويعطر نفسها بنفحات
السماء، إذ إن مجالسة الصالحين ومعايشتهم يخلع على النفس الصلاح والتقوى، ولا
تتكرر التربية أثر القدوة الصالحة في تزكية القلب وتطهير السلوك.

يقول تعالى: ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وتحملها زكريا لحاملا
حامل عليها زكريا المعزوب وجد محسنا رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند
الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

فقد بلغت مريم في صلاحها واتصالها بربها حدا أجرى الله عليها رزقها بغير
حساب، وظهرت على يديها الكرامات وحقتها البركات، فقد روى ابن كثير عن مجاهد
أن زكريا كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف حتى أن
زكريا عليه السلام غبطها، وتمنى أن يكون له غلام يشبهها في صلاحها، وجعل يدعو
ربه أن يرزقه الذرية الطيبة ﴿ هنالك حملا زكريا ربه قال ربه سبحانه لي من عندك خويصة
طيبة أنك مهيأ الدعاء ﴾ .

والإسلام إذ يعرض شخصية السيدة مريم إنما يشير إلى عدة أمور .

الأمر الأول: مهمة الأسرة في رعاية أبنائها وتزويدهم بالفضائل.

الأمر الثاني: اللجوء إلى الله والاستعانة به في تحقيق ما يرجوه الآباء من
صلاح الأبناء، فإنه لا يعين على هذا الأمر الشاق ولا يهدي إلى الحسن السبيل إلا هو .

الأمر الثالث: أن المرأة كالرجل عند الله إذا استقرت معه في الخير والإيمان
والطهارة، وكما اتصلت السماء بالسيدة مريم فإن الله أوحى إلى أم موسى. وهذا يدفع
ما زعمه الزاعمون من كون المرأة أقل رتبة من الرجل وأنها شيطان، وليس هذا

صحيحاً فالإنسان بعمله الصالح سواء اكان ذكراً ام انثى، يكون حرياً بالقرب من الله، وقد مدح الله المؤمنات القانتات في اكثر من آية.

ففي سورة الأحزاب يقول تعالى: ﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصابرات والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصابرين والصابرات والذاهبين والذاهبات والذاهبين الله محبها والذاهبات الله لهن مغفرة وأجرها عظيماً﴾ .

وقد بين القرآن ان المرأة التي تستأهل ان تكون زوجة خيرة في اشرف مكانة ولأعظم رسول هي الزوجة المسلمة القانتة للتأية.

يقول تعالى بصدد الحديث عما حدث للنبي ﷺ من جراء الغيرة عند بعض زوجاته ﴿عسى ربه ان يطلقن ان يبطلن ازاواً خيراً ممنعن مسلمات مؤمنات قانتات تاتيناهن عابحات ما نحدثنهن وبأبصاراً﴾

ويشير الحق في آية اخرى الى الترغيب في القنوت لله فيقول مخاطباً للنساء النبي ﴿ومن يقننن منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتمن اجرها مرتين واعطينا لها رزقاً كحريمها﴾ .

ثم يبين القرآن صفات الزوجة التي يريد الله فيقول تعالى: ﴿فالمحبات قانتات حافظات للغير بما حفظ الله﴾

ومن هذا العرض ندرك ان المرأة لا بد وان تغد اعداداً روحياً لتنهض برسالتها بل ان الإسلام جعل تلك امراً واجباً وتكليفاً لازماً على المؤمنين يقول تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا قوما أنفسكم وامليكم نارا﴾ .

يقول قتادة عند تفسير هذه الآية ان تأمر اهلك بطاعة الله وتنهام عن معصيته، وان تقوم عليهم بأمر الله وتساعدهم عليه، فإذا رأيت الله معصية زجرتهم عنها^(١).

١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ٣٩١ ج ٤ .

وسائل الإعداد الروحي:

ويجدد بنا ونحن نتحدث عن التربية الروحية ان نوجه الآباء والمربين الى امور هامة لا بد من مراعاتها في بناء النفس وإصلاح الروح.
الأمر الاول:

القدوة الصالحة: بأن يكون المربي مثلاً اعلى في قوله وفعله، وحركاته وسكناته وليعلم انه محل نظر ابنائه، بأفعاله يقتدون ولأعماله يحاكون، فلا يأمر بفضيلة وهو لا يأتئها، ولا ينهي عن رذيلة وهو يخالف ما ينهي عنه.
ومن ثم نعى الله على من يناقض فعله بقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لو تقولون ما لا تفعلون محروم مما عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ﴾.

وثمة أمر هام نلت الآباء والمربين اليه وهو الصدق في مراعاة القدوة، فلا يظهر المربي من اب او ام او مدرس بمظهر ديني ويتقمص شخصية خلقية امام ابنائه وهو في الحقيقة على غير ذلك.

نقول ان هذا امر خطير لان الايام كفيلا بكشف النوايا، ونشر السرائر، وفضيحة ما هو مخبوء ولنتذكر قول الشاعر:
ومهما يكن عند امرئ من خلقية

وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وحيث تسقط الأقنعة الزائفة، وتزول الحجب، ويرى الأبناء ان ما رأوه على غير حقيقته فان ثقتهم تتزعزع لا في من خدعهم، بل في كل قيمة دينية وفي كل امر عظيم.

وكيف يتقون على فضائل لا ظل لها من الواقع؟
ويتقون بأشخاص يتحلون بالفضائل ليتخذوا منها وجهاً حسناً يستر عيوبهم، ليصلوا الى مآربهم الشخصية.

فلنلق الله في أبنائنا ولنعلم انهم في أيدينا أمانة، وإننا مسؤولون عنهم أمام الله، فلا نزيهم من أنفسنا الا ما هو خير وحق، حتى لا تهتز المبادئ الإسلامية في اعينهم وتتعمد ثقهم في القيم والمثل العليا.

الأمر الثاني:

التوجيه الراشد: ولا يكفي ان يكون دور المربين في محيط الأسرة والمدرسة قاصراً على الظهور بمظهر الصلاح والتقوى. بل عليهم ان يراقبوا الابناء ويوجهوهم الى القول السديد والفعل الرشيد في رفق وتلطف وان يبصروهم بكل ما هو نافع، ويفتحوا أعينهم على ما به صلاحهم، وان يعملوا على ترسيخ الايمان، وان يعرفوهم بان خالق هذا الكون ومدبر شئونه هو الله بل عليهم ان يهيئوا الطفل لحب الخير واستتباح الشر، وذلك بكبار الفضائل والتشجيع على الخير، والتفكير من الرذائل، وتبغيضها الى الطفل بحيث تنقبض نفسه عند سماعها.

وهذا لا يتحقق الا اذا راقب الآباء الأبناء ووضعوهم تحت سمعهم وبصرهم، فاذا رأوا منهم فضيلة حمدوها واجزلوا عليها الثواب المادي وعرفوا الطفل بان الله يرضى عنه، وان صدر منه شيء مخالف اظهروا غضبهم وإنكارهم، وتوعده اذا تكرر منه ذلك فسوف يعاقب بالضرب والحرمان مما يحب.

واذا كنا نهتم بغذاء الطفل ليصح جسده فعلينا ان نهتم بقافته فنختار له الكتاب النافع ولقصة المفيدة، ولنعطه المعلومات التي تراكب سنه في كل مرحلة. ولشرح له بالعبرة المبسطة واللغة التي يفهمها حتى نخذي عقله وروحه بالغذاء النافع.

وفي هذا الصدد نهيب بالآباء ان ينتقوا لابنائهم ما ينبغي ان يشاهدوه ويسمعوه، لينموا استعداد الخير عندهم، ويجدي فيهم النصح وتلقفهم الموعظة.

وأخيراً يجب على الآباء ان يختاروا لابنائهم الصالح السدي ينتفعون بمجالسته ويقبسون من أخلاقه، ويتأثرون بأفعاله.

وعلى النقيض من ذلك يكون الحذر من صديق السوء، ومجالسة الاشرار فانها باب للشر، وعن طريقهم تكون العدوى بأفئك الامراض، وجراثيم الضلال.

وقد لفت النبي ﷺ الى قيمة مجالسة الصالحين وحذر من مخالطة جلساء السوء، وضرب لذلك الأمثال لتكون العبرة اشد ويكون الدرس النافع عن ابي موسى الأشعري ان النبي ﷺ قال: انما مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ

الكبير، فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه، واما ان تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكبير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا منتنة".

الأمر الثالث:

الاهتمام بالعبادات: ومن الأمور التي يجب على الآباء والمربين تكريس الجهد لها والعناية بشأنها تنشئة الأطفال منذ نعومة أظفارهم على ممارسة العبادات من الصلاة والصيام، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: " مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع". والذكور والإناث في هذا سواء فيجب ان تعود الفتاة الصلاة وتأخذ بما يأخذ به الذكر من الامر بها والضرب عليها، فكما امر الله المؤمنين بإقامة الصلاة أمرت المرأة بذلك.

وقد جاء هذا في امر نساء النبي حيث قال الله تعالى لهن: ﴿واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾.

وطلب من الرسول ان يأمر أهله بالصلاة وان يصبر عليهم قال تعالى:

﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوي﴾ .

وفي قصة مريم السالفة الذكر ما فيه قدوة للمرأة المسلمة فان مريم انقطععت للعبادة فكانت أهلاً للاصطفاء ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفىك وطهرتك واصطفاناك على نساء العالمين﴾. آل عمران/ ٤٢.

إعدادها الخلقى:

ان مجد الأمة رهن بأخلاقها، وقد اثبت التاريخ ان الأمم التي دالت كان السبب في اضمحلالها انهيار الأخلاق فيها، كما اثبت التاريخ أيضاً ان المرأة هي السبيل لحفظ الأخلاق او انهيارها، وقد بين ابو الاعلى المودودي في كتابه "الحجاب" ان اليونان حين اتخذوا من المرأة ماخورا يعج بالشهوات، تشاركين الأديباء والشعراء يصورون المرأة بصورة الجمال بما يغري الرجل، ويأتي على مذاتهن ويمد له في شهواته، ويشعل فيه أوار الغريزة، وحين تبوأَت المرأة العاهر مكانها فسي المجتمع، وصار المجتمع يفض الطرف عن المرأة العفيفة، كان مصيره الفناء او على الأقل

لازمه هذا الطغيان، وذلك الإسفاف، حتى زال عن الوجود، وكذلك الحال في الدولة الرومانية، لقد ظلت قوية بقوة الأخلاق فيها، ومحافظة الرجال على عفة النساء.

وحدث ذات مرة ان عضوا في مجلس الشيوخ قبل زوجه امام ابنته، فغضب عليه القوم، وحكموا على صنيعه بأنه غض من كرامة الخلق القومي.

ولكن ما لبثت الدولة الرومانية ان تهاونت في الاخلاق، واصبحت العلاقة الزوجية تبعة يتخفف منها الرجال، وبرزت النساء العاهرات في المجتمع وقد بلغ بهم التهاون، الى ان اباح علماءهم مباشرة الفجور، فهذا "كانو" الذي اسندت اليه الحسبة الخلقية سنة ٨٤ قبل الميلاد، يجهر بجوارز اقتراف الفحشاء في عصر الشباب، ثم يأتي "شيشرون" المصلح الشهير، فيرى عدم تقيد الشباب بأغلال الاخلاق المقتلة.

وتفتح الدولة الرومانية الباب على مصراعيه للعرى والانغماس في الشهوات وقد أصبحت المسارح مظاهر للخلاعة والتبرج الممقوت، وزينت البيوت بصور ورسوم كلها دعوة مسافرة الى الفجور والدعارة والفحشاء، وانتشر استحمام الرجال والنساء في مكان واحد بمرأى من الناس، ولم يكن الأدب الخليع والقصص الماجنة بمعزل عن هذا التيار الجارف، بل كان هو الأدب الذي يحظى بالقبول، وقد مهد كل هذا الى ان اصبح الفجور والدعارة ليس قاصرا على نسوة خاصة، بل انغمس فيه نساء الدولة الرومانية، مما جعل القوم يضطرون الى وضع قانون خاص في عصر القيصر، "تائي بيريس" لمنع نساء البيوت من احتراف مهنة المومسات وصناعاتهن النافقة، وبات صعبا كبح جماح الشهوات في الدولة الرومانية الى ان دالت، واصبحت في خبر كان.

هذه الإشارة الموجزة تضع ايدنا على قيمة الاخلاق، والعمل بكل سبيل لتصان المرأة، وتربى منذ نعومة أظفارها على الاخلاق، واي تهاون في هذا يجلب للامة الخراب والدمار، ويقودها الى سوء المصير.

ان المرأة تحتاج الى تقويم طبيعتها، وتهذيب نفسها بصفة خاصة، لانها المحض لتربية الاولاد، وفي كنفها ومن أخلاقها وسلوكها يتعلمون، فهي قدوتهم، وهي السبيل لعاداتهم وتقاليدهم وانطباعهم بالطابع الحسن او السيئ، وهي اكثر ملازمة

لأولادها فتسليحها بالخلق الكريم تحصين للأسرة من الفساد، وسبيل إلى خلق جيل صالح.

طبيعة المرأة ان ترضي الرجل، وتلتفت نظره إليها، وفي الواقع أنها ترضي غرورها، وتثبت شخصيتها، شأن الضعفاء الذين يخضعون لسيطرة الغير فيحاولون استرضاء من له الغلبة عليهم، والمرأة في سبيل تحقيق هدفها وإشباع رغبتها تلجأ إلى الإغراء بكل وسائله، فهناك فتنة الصوت، وفتنة الزينة، وفتنة الطيب، وفتنة العري، وليس هناك حدود تقف عندها المرأة لإغواء الرجل والسيطرة على قلبه، والمرأة اذ تصنع هذه المغريات لا تثق بالرجل ولا تلتزم حياله بعهد، وكما يقول " العقاد":

" ان المرأة وفيه صداقة، وفيه للحياة لا لهذا الرجل او لذلك، وصداقة في الحب لا في إرضاء أهواء من تحب، ولو أنعمنا النظر لعرفنا ان المرأة تخون نفسها كما تخون الرجال في سبيل الأمانة للحياة، وتكذب على نفسها كما تكذب على محبيها في صيانة عهد الحب، فهي وفيه بالفطرة، رضيت لم لم ترض، وهي صداقة بالإلهام حيث أرادت وحيث لا تريد^(١).

ان الإسلام يقدر ما انطوت عليه طبيعة المرأة وما عساه ان ينجم عنها من فتنة، ولو تركت المرأة وشأنها دون تهذيب او تقويم لأفسدت الحرث والنسل، وضلّت وأضلت، وأورثت المجتمع الهلاك، وانت معي ان الوقاية خير من العلاج، وان العلة اذا استحكمت بات ضربا من المحال استئصالها، ومعالجتها بما يأتي عليها، وقد رأينا المجتمع الروماني حين استيقظ لخطر المرأة وفسادها، وراح يعالجها بالقوانين لم يقلح العلاج، وكما يقولون: ان المارد اذا خرج من القمم لا يمكن رده، ومن ثم فإن الاسلام يأخذ الامر عنده، فيأمر الأبناء والمربين ان ينهضوا بتربية ابنائهم على الفضيلة، وان يقوموا بتأديبهم وتربيتهم، ليستأهلوا الجزاء العظيم.

يقول عليه الصلاة والسلام: " من كانت له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها، وربهاها فأحسن تربيتها، وغذاها فأحسن غذاها، كانت له وقاية من النار".

^١ - المرأة في القرآن للاستاذ عباس عمرد العقاد ص ٣٩.

مظاهر عناية الإسلام بأخلاق المرأة:

وتتجلى عناية الإسلام بحفظ المرأة من اللبس، وصيانتها من كل سوء وذلك

فيما يلي:

خلق الحياء:

الحياء من أبرز الصفات التي تتأى بالمرء عن الرذائل، وتحجزه عن السقوط الى سفاسف الأخلاق وحماة للذنوب، كما ان الحياء من أقوى البواصت على الفضائل وارتباد معالي الأمور، وكما يقول النبي ﷺ " الحياء لا يأتي الا بخير".¹

ولعظيم أثره جعله الإسلام في طليعة الأخلاق، يقول عليه الصلاة والسلام: " ان لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء".²

ومن حكمة الله وعنايته بالمرأة ان فطرها على الحياء، وما على المرابين والمصلحين الا ان يزكوا فيها هذا الخلق، لتنشأ عليه ويواكب نموها. والمرأة لا تقسد الا اذا أفسدها رجل وخذش حياءها.

ولا تقل أهمية الأخلاق في الحرب عنها في السلم وحسبنا في ذلك ما أتلى به المارشال "مونتجمري" لاذ يقول: " ان قضية الجيش الثامن تتطوي على مغاز روحية عظيمة الى جانب مغزاها العسكري، فقد دلت تلك القضية على ان اهم عوامل الانتصار في الحرب هو العامل الاخلاقي، فلا يمكن لقائد ما ان يدفع رجاله الى بذل أقصى جهودهم في العمل الا اذا كانت ضمائرهم مرتاحة الى ما سيقومون به. ويقتني ان الجيش اذا سار بدون مرضاة الله فقد سار الى غير هدى. والأناية تخالف تعاليم الدين والجنديّة، وان الكنيسة، والجيش معا لا يقرانها في الإنسان فتقضي التعاليم المدنية، وتؤازرها في ذلك التعاليم العسكرية، بأن يؤدي كل رجل ولجبه بإخلاص وإمانة مهما كان نوعه، وان الانحطاط الخلفي في صفوف الجيش اشد خطرا عليه من اعدائه، فعلى الجيش ان يشن حربا داخلية لتنظيم صفوفه قبل ان يفكر في شن حرب

¹ - رواه البخاري ومسلم.

² - رواه مالك في الموطأ.

خارجية ضد أعدائه، لذلك لا نستطيع ان ننتصر في أي معركة الا اذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء*.

فعلى التربية ان تعود الناس الى الطريق الصحيح حيث يشع من وراء السحب ذلك القبس العلوي المنير ممثلاً كل ما هو حق، وكل ما هو عدل ، وكل ما هو جميل. ومن هنا تتجلى حاجة التربية الملحة الى الدعامة الخلقية لتشييد صرح المدنية الشامخ، ووقف نيار البربرية المتدفق الذي يكاد يطوح بالممثل العليا، والمبادئ الاخلاقية السامية. ولتتخذ التربية ان من الاخلاق صخرة قوية توقف هذا التيار العاشم، وتسهي للنشء حياة لحفل بالسعادة، وللانسانية المعذبة الطمأنينة، والاستقرار.

معنى الأخلاق:

هذا وقد انقسم العلماء شيعاً، وأحزاباً من حيث طريقة تناول موضوع الأخلاق، فقد خلطوه بالشخصية حيناً، وبالوجدان حيناً أنا، وبالذكاء أحياناً، وزعم البعض انه يستطيع دراسة الأخلاق عن طريق الكيمياء، وتحليل عناصر الجسم مدعياً ان لبعض المواد الكيميائية التي يتركب منها الجسم أثراً واضحاً في أخلاق الفرد. كما رأى الآخرون إمكان دراسة الأخلاق عن طريق دراسة تقاطيع الوجه او شكل الجمجمة. كما لم يحجم أنصار علوم التشريح والأحياء، والوراثة عن الإلقاء بدلوهم في هذا الموضوع زاعمين ان لهذه العلوم القدح المعلى في اكتشاف حقيقة الاخلاق . ولكن عندما بزغ علم النفس، وسطح، نجمه، واصبح مستقلاً بنفسه قائماً بذاته أسدى يدا بيضاء الى قضية الأخلاق وذلك بمعونة علم الاجتماع.

وقد قامت مدارس تتنازع هذا الموضوع، فذهبت مدرسة الوجدان او العاطفة الى ان الأخلاق مستمدة منها، كما ذهبت مدرسة الإرادة الى ان الأخلاق منتج من نتائجها، وزعت مدرسة العقل او الذكاء ان الأخلاق نتيجة للتفكير، والعقل، ولكل مدرسة من هذه المدارس انصار، فكثرت المؤلفات الحديثة في ألمانيا- وفسى امريكا بذلت محاولات جبارة لقياس الصفات الخلقية قياساً علمياً وقد انفتحت معظم هذه المؤلفات على ان الاخلاق جزء هام من الشخصية، وانها تشمل تنظيم النواحي الوجدانية، والنزوعية منها واليك بعض التعاريف:

أولاً - تعريف الاستاذ ماكوجان⁽¹⁾

" *Well-developed character, is an integrated system of sentiments, a system that is a hierarchy dominated by a single master- sentiment and integrated by that dominance.*"

الخلق القسوم : هو نظام تصاعدي متكامل من العواطف تسيطر عليه سيدة العواطف، وتكامله نتيجة لتلك السيطرة. فالخلق في نظر " ماكوجان " وجهة خاصة في الشخصية النامية تؤدي بالشخص الى:

١- التماسك - *Consistency* :

فالخلق يجب ان يكون سجية للنفس يصدر عنها السلوك عنوا في جميع المواقف، والحالات المتماثلة او المتشابهة فليس بخلق ان يعد الرجل كريما اذا بذل او اذق في موطن ثم بذل وامسك في موقف مماثل او مشابه، وليس بحقيق ان يوصف المرء بالشجاعة اذا استقبل الهول، واستعذب الموت لطارئ من الطوارئ ثم احجم في موطن آخر يتطلب الاقدام والتضحية.

٢- العزيمة، الصلابة - *Firmness* :

وليس معنى هذا انتفاع المرء في نوع من السلوك في ضلالة وغيباء. فإن فضائل المرء قد تستحيل بهذا الى رذائل، ولكن معناه أن يتدبر الإنسان الموقف ثم يعتزم العمل وفق ما تقتضيه الحال. فمثلا إذا أردت نجاحا آخر العام فلا بد من العزيمة الصادقة للاستنكار والمثابرة.

٣- ضبط النفس - *Self-Control* :

فإذا حدثتني نفسي أن أحميد عن طريق القضية، والشرف. كي أصبح من الأغنياء فيجب أن يكون لدي من القدرة ما يكفي لضبط النفس. ويعادها عن هذه الرغبة التي لا تتفق ومبادئ الأخلاق.

٤- التوجيه - *Self-Direction* :

¹ - McDougall : Social Psychology, p. 343 .

وقدرة الإنسان على توجيه نفسه. وعلى الاستقلال في الشخصية وعدم الاعتماد على الغير أمر لازم في تكوين الملوك الخلقى فالفرد يجب أن يكون قادرا على أن يوجه نفسه الوجهة التي يرى أنها تتفق مع المبادئ القويمه فالسجايا لا بد منها، ولكن يجب أن توجه كلها الى الخير العام، وصالح الجماعة. والفضائل لازمة، وألزم منها التوجيه الى نفع الناس وخير المجتمع.

ثانيا : تعريف باجلي *Bagley* :

يرى " باجلي " أن الخلق عبارة عن كثير من العادات الصالحة النافعة، فأساس الخلق في نظره هو العادات النافعة وهذه إما أن تكون :

- ١- عادات نافعة ، ومفيدة، كالمشي باعتدال، وتكظيف الأسنان.. الخ.
- ٢- منع النفس، وضبطها عن الإتيان بعمل أو إظهار رغبة لا تسمح بها الحيازة المتحضرة.

ومن تحليل تعريف " باجلي " ^(١) نرى أنه يتخذ نفع العادات للمجتمع كأساس للسلوك الخلقى، ومن استخدامه كلمة " عادة " كأساس للسلوك نفهم انه يقصد وصف هذا السلوك بالتشابه، والتماسك، وأن هذا السلوك لا بد وأن يكون نتيجة لرغبة أو لتحقيق مبدأ. على أن هذا التعريف يوحي إلينا بأن الخلق شئ آلي طالما يتخذ من العادة أساسا له. كما أن هذا التعريف قد أهمل أهمية العواطف في تكوين السلوك الخلقى.

ثالثا - تعريف رويك :

إن الخلق حالة أو ميل نفسي يتحكم في الغرائز، ويمنعها من تحقيق أهدافها، وذلك بمقتضى مبدأ منظم لتلك الغرائز. وهذا التعريف يوقفنا على تحكم الخلق في الغرائز ويفعل أهمية العادات، والعواطف، والمثل العليا كعناصر أساسية في تكوين الخلق.

رابعا - رأي هاندليد :

الخلق هو قيمة للنفس المتزنة، والنفس المتزنة هي تلك النفس التي تنسقت فيها الميول الطبيعية، والعواطف، وتضافرت هذه الميول، وتلك للعواطف على غاية واحدة،

^١ - *Bagley : The Educative Process, p. 120*

فالخلق صفة النفس، والإرادة سلاحها. وهذا تعريف يتصف بالشمول، والاتزان.

خامساً - رأي جون ديوي :

الخلق هو كل ما ينطوي عليه العمل من عمليات الامعان أي للموازنة والستروي والرغبة، أو الدافع سواء أكانت هذه العمليات قريبة أم بعيدة.

ومن تحليل هذا التعريف نرى أن " جون ديوي " راعى أن يذكر في تعريفه " الدوافع " التي تدفع الشخص الى العمل، وهذه تكون ناتجة عن مبادئ الشخص كما راعى أيضاً أن العمل الذي سيصدر عن الشخص لن يصدر اعتباطاً، ولكن عن روية، وإمعان وتحليل، واختيار فهو أبلغ في إظهار الناحية الخلقية. زد على ذلك أن هذا التعريف يتضمن سجايبا الشخص النفسية التي تنفعه في النهاية الى العزم والعمل وأخيراً لو أننا تأملنا جيداً هذا التعريف لوجدنا أنه يتضمن تكوين عواطف إذ أن للرغبة في شئ تؤدي الى تكوين عاطفة نحوه.

سائساً - تعريف كلباتريك :

يرى كلباتريك أن هناك ثلاثة أشياء هامة في كل عمل خلقي هي :

١- الحساسية : لما يحتمل أن يتضمنه موقف ما.

٢- الروية : والإمعان فيما يجب عمله.

٣- الرغبة : الملحة في تنفيذ العمل.

فالحساسية نحو موقف من المواقف تتضمن إدراك الموقف، ورؤية العوامل التي يتضمنها والعواقب الممكنة أن تنتج عنها ثم اتخاذ قرار معين وهذا القرار يتوقف على معلومات الشخص، وتجاربه، ومعرفته، كما يتوقف على نوع تفكيره، وذكائه، وأما التروي فيتطلب من الفرد أن يكون لديه هدف معين، وأن يكون قادراً على التبصر في الأمور، وأن يكون لديه مقياس مكون من المبادئ، والمستويات التي كونها لنفسه لثناء حياته عن طريق تجاربه الشخصية، ومعلوماته، وتجارب المجتمع.

ومن التعاريف السابقة نلاحظ أولاً أن الكتاب حينما يتكلمون عن الخلق لا يجيدون بيان ماهيته بقدر ما يجيدون التكلم عن وظيفة في الحياة البشرية ويمكن أن نستبطن أن معظم الكتاب يتفقون على أن الخلق يؤدي الى الوظائف الآتية :

(أ) يجعل سلوك الإنسان متصفاً بالثبات، والتماسك، والتوافق والاضطراد فمثلاً :
عواطف الإنسان نحو أسرته لا تتصادم مع عواطفه نحو وطنه بل إن عواطفه جميعاً
تعمل بشكل منسجم ومتوافق.

(ب) يمكن التنبؤ بتصرف الشخص، وسلوكه في المواقف المختلفة، فإذا عرفت خلق
فرد من الأفراد يمكنك أن أنتبأ بما سيعمله في وقت معين.

(ج) إن الخلق يؤدي بالشخص إلى أن يتجه بانتظام، وباستمرار نحو غاياته العظمى
فهو يبذل جهده لكي يصل إليها، ويضع نصب عينيه المثابرة سبيل تحقيقها سواء
كانت هذه الغايات في العمل أم في اللعب.

(د) الخلق يعطي قوة في الإرادة، وفي العزيمة، فهو يمكن الشخص من أن يحدد
اختياره للمسلك المستقيم في أي موقف من المواقف مهما يكن الاختيار قاسياً، والمسلك
صعباً، كما أن الخلق يزود الفرد بالقدرة على الثبات والتمسك بالعزيمة.

(هـ) أن الخلق نظام معقد للغاية ينمو ببطء، ويتألف من تأكيد عوامل كثيرة في
الحياة، وتتخلل فيه مركبات متعددة هي :

- ١- للفرائض، وهذه يجب أن تخضع لمبدأ يسيرها ويتحكم فيها.
- ٢- العادات، ويجب أن يراعى في تكوينها منفعتها للصالح العام.
- ٣- للعواطف وهذه يجب أن تكون في أساسها عواطف حب لكل ما هو حق، وكل ما
هو خير، وكل ما هو جميل. كما يجب أن تكون في أساسها عواطف كراهية لكل
ما هو قبيح، وكل ما هو شر، وكل ما هو باطل.
- ٤- انتظام العواطف نفسها في نظام وهيئة عليا بحيث لا تتصادم - وبحيث تندمج
كلها في عاطفة اعتبار الذات.

هذا ويجب أن نزيد القارئ علماً بأن تعريفنا للأخلاق تعريفاً علمياً أو سيكولوجياً يفقدها
حيويتها وتأثيرها وتلك الحيوية، وهذا التأثير هو ما يهمننا من الأخلاق، فوق كل شيء
آخر وهنا نجد أننا مضطرون إلى النزوع بالأخلاق منزحاً اجتماعياً، وفي هذا المنزع
سنعثر على قوتها، وفعاليتها التي ضاعت عندما عهدنا بها إلى العلوم البحتة، ولما كان
الإنسان اجتماعياً بطبعه كانت أخلاقه لا تظهر إلا في الوسط الاجتماعي.

أسس السعادة الزوجية

- الأسرة المثالية في ضوء الهمدي الإسلامي والتراث العلمي الحديث.
- الأسس السيكولوجية للسعادة الزوجية.
- سيكولوجية الزواج المتكيف.
- سيكولوجية الأسرة العصرية.



الأسرة المثالية في ضوء الهدى الإسلامي والتراث العلمي

أهمية الأسرة :

الأسرة هي النواة التي يتكون منها المجتمع فإذا صلحت صلح المجتمع كله، وهي الحضنة التي يتربى ويتزعرع في أحضانها الأبناء، الذين هم رجال الغد، وحملة الوراثة، وعدة المستقبل وعتاده، وأمل الغد المشرق، والذين تؤول إليهم، لا محالة، المسؤولية الاجتماعية والسياسية والأسرية في حراسة المكاسب التي حققتها إرادة الشعب ونضاله وتقدمه ورقبه وتراثه وتقدمه الحضاري.

فالأسرة هي " صانعة " الأجيال وهي التي تتولى شخصية الطفل، منذ نعومة أظفاره، بالرعاية والعتاية والإشراف والتوجيه والتربية، وهي التي يتوفر فيها إشباع حاجات الطفل المادية والاجتماعية والنفسية والروحية والأخلاقية، فيشعر فسي ظلها بالانتماء *Feeling of blongingness* فهي للمأوى والمسكن والملاذ، وهي مصدر الدفاء والحب والحنان والعطف وفيها^(١)، إما أن يشعر الطفل بالعطف والترحام والمودة والسكينة، فيشب مؤمنا بربه وبوطنه وبعروبته، خالياً من الأمراض والاضطراب وإما أن يتربى على القسوة والإهمال والحرمان والنخب والطرود والعنف، فيشب غير متكيف مع نفسه أو مع المجتمع الذي يعيش فيه، فيصاب بالمرض النفسي أو تجرّفه الجريمة.

والأسرة هي التي تقدم لنا المثال الأعلى الذي يفندى به، والنموذج الذي نحذو حذوه ونقتفى أثره، ونسير على هذاه، وهي مصدر القدوة الحسنة، ولذلك تهتم بدراستها علوم كثيرة من أظهرها علم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا وعلوم الطب والتربية والقانون والخدمة الاجتماعية، وتقام من أجلها المؤسسات التي تراعها وتعمل على تنظيمها والتخطيط لها وحمايتها من المشكلات والازمات التي تبدد طاقاتها

^١ - عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية النشأة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

وتعترضها عن أداء رسالتها الإنسانية الرفيعة وفوق كل شيء أهم بتأميسها وبقائها وسلامتها ديننا الإسلامي العظيم بما كفله لها من سلامة التكوين وصحة الاختيار، ورسم لها مبادئ المودة والسكينة والترحام والألفة والمحبة والتعاون والتسامح والتعاطف والأمانة والصدق والولاء والوفاء والإخلاص..

والأسرة صاحبة الدور الأول في عملية تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية وإسلامية وسياسية وأخلاقية ومن خلال الأسرة يتم الإنباع الحلال لكثير من العواطف والدوافع والفراتز كالأمومة والأبوة والجنس والاجتماع.

تعريف الأسرة :

يمكن النظر للأسرة على أنها الوحدة الاجتماعية الأولى التي تستهدف المحافظة على بقاء النوع الإنساني واستمراره عن طريق الإنجاب والرعاية، وهي التي تقوم على الشكل الذي يقبله المجتمع، والقواعد التي يضعها لها. وهي نواة المجتمع وأساس كافة النظم الأخرى، وفيها يتعلم الطفل الوطنية التي تنشأ على شكل ولاء للأسرة أولاً، ثم سرعان ما ينتقل ليصبح ولاءً للوطن كله فإذا تربي الفرد على الجود لأسرته، فلما يدين بالولاء لوطنه. ولذلك نشأت علوم حديثة تختص بدراسة الأسرة منها علم النفس الأسري⁽¹⁾ وعلم الاجتماع الأسري والتوجيه الأسري والإرشاد الأسري والتخطيط الأسري واقتصاديات الأسرة والتدبير المنزلي.

وتختلف الأسرية باختلاف المجتمع الذي توجد في كنفه، فالأسرة الإسلامية تختلف عن الأسرة في مجتمعات أخرى، ويختلف حجم الأسرة اتساعاً ليشمل كل أفراد العشيرة كما هو الحال في الأسرة الحديثة، وتعرف هذه الأسرة الصغيرة باسم الأسرة النوية *Nuclear Family* وهناك الأسرة الأموية *Maternal Family* وفيها ينتسب الأولاد للأم، وهناك الأسرة الأبوية *Paternal Family* حيث ينسب الأطفال إلى الأب وحده، وفيها تتركز السلطة في يد الرجل. وعندما نزلت المرأة لميدان العمل حديثاً

¹ - عبد الرحمن العسوي، علم النفس الأسري، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1993م.

ظهرت الأسرة الثنائية *Biarchal Family* وفيها يتقاسم الرجل والمرأة مسؤولية الأسرة وتربية الأبناء^(١).

الخدمات الأسرية :

وتستهدف خدمة الأسرة *Family Casework* دراسة أحوال الأسرة، وتعمل على تقوية أواصر الصلة بين أعضائها، وذلك عن طريق تنمية قواهم الكامنة وقدراتهم الشخصية، وذلك تمكينا لهم على مواجهة الصعاب التي تعترض سير حياتهم، وللتغلب على المشكلات التي تقف في سبيل سعادة الأسرة، ومن هذه المشاكل من العصر الحديث كثرة عدد الأبناء، وضعف صحة الأم، وغلاء المعيشة في بعض المجتمعات، وبطالة بعض أفراد الأسرة، وجنوح بعض أفرادها وتأثرهم بتيارات العنف والتطرف والإرهاب والوقوع في برائن الجريمة والجنوح والانحراف، والإدمان ومسا إلى ذلك، علاوة على التفكك الأسري وتصدع الأسرة وانهيار كيانه وحرمان أبنائها من الرعاية والإشراف والعطف والحب والحنان والتوجيه الصائب والإرشاد الوالدي السليم.

وإذا زادت مشاكل الأطفال القصر عرضت مشاكلهم على المجلس الأسري *Family Council* أو المجلس الحسبي ويرأسه أحد القضاة، وذلك لحماية حقوق الأطفال القصر. وتسعى المجتمعات لحماية أسرها من خطر التصدع والانتهيار أو التحلل أو الانحلال الأسري *Family Disorganization* في هذه الحالة تعجز الأسرة عن أداء رسالتها ووظائفها، مما يتطلب معه توجيه الإرشاد الأسري *Family Guidance* بقصد حماية الأسرة من التصدع والتفكك، ويقوم به الأخصائي النفسي في المجال الأسري، ولحل المنازعات التي تنشأ بين الزوجين، والتي تسهد بحدوث الطلاق والانفصال *Divorce*، أو حل مشاكل الهجر والإهمال.

وتقدم مؤسسات رعاية الأسرة *Family Welfare Agencies* المساعدات المالية، وخاصة للأرامل والمطلقات أو الأسر المهجورة، وذلك في حالة مرض

^١ - أحمد زكي بدوي ، معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.

الزوج أو هجرته أو غيابه. هذا وتخضع الأسر في المجتمعات الحديثة للتخطيط
Family Planning لتنظيم الأسرة وتحديد عملية الإنجاب^(١).

للإسلام فضل السبق في رعاية الأسرة ووضع قواعد الأسرة المثالية :

لقد كان لاسلامنا الحنيف فضل سبق في رعاية الأسرة والحفاظ عليها
وصيانتها، وضمان سعادتها واستقرارها، ومساعدتها على القيام بوظائفها المهمة. ولقد
اهتم الإسلام الحنيف بسلامة الأسرة منذ اللحظة الأولى لتكوينها، فتراه ينصح الرجل
الراغب في الزواج على لسان سيدنا ونبينا رسول الله بقوله ﷺ : " تتكح المرأة لأربع:
لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فأظفر بذات الدين تربت يداك " (رواه البخاري)
وذلك للإرشاد نحو اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين، الذي هو أسمى ما يوجد في
الكون، وفي الشخصية، وهو أعظم ما يقوّمها ويربّيها ويهذبها، ويصلح من شأنها.
فالأساس الأول الذي وضعه الإسلام هو دين الزوجة والزوج أيضاً، فإن كان الدين قوياً
لدى المرأة أو الرجل، فقد صلح الأساس الذي يقوم عليه الزواج للصالح، وبقي النظر
في أموال المال والحسب والجمال^(٢). وإذا صلح الدين صلح الفرد بل والمجتمع بأسوه،
بل العالم كله، ومن هنا كانت الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية.

ويضع الإسلام قواعد أخلاقية ودينية لقبول طلب الزوج يد زوجته، فلقد
روي أن رجلاً قال للحسن بن علي رضي الله عنهما " إن لي بنتاً، فمن ترى أن
أزوجها؟ قال زوجها لمن يتقى الله، فإن أحبها أكرمها، وإن ابغضها لم يظلمها"^(٣).

وفي الهدى النبوي الشريف قال رسول الله ﷺ : " من زوج كريمته من فاسق
فقد قطع رحمها ". ومؤدى ذلك أن أساس الاختيار السليم هو القيم الإنسانية والروحية
والأخلاقية النبيلة والمبادئ الدينية الأصيلة لتكوين الأسرة المسلمة، بصرف النظر
عن الغايات الدنيا كالمال والحسب والنسب والجمال وإن كانت تؤخذ في الحسبان. فلقد

^١ - احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦م.

^٢ - عكاشة عبد المنان الطي، الزوج المثالي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣م.

^٣ - أورده عكاشة عبد المنان، من مرجعه السابق.

جاء في الهدي النبوي " إياكم وخضراء الدمن : قبل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء ."

وحرصاً من الإسلام على سلامة الأسرة وإنجاب الأطفال قال رسول الله ﷺ " تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأم يوم القيامة ."

لقد وضع الإسلام الحنيف نبراساً يضيئ الطريق أمام تكوين الأسرة المسلمة للصالحة نبراساً يضيئ الطريق، ويوضح الرؤية، وللسير على هداية منذ بداية الزواج.

تأثير العوامل الوراثية وزواج الأقارب :

وكان لإسلامنا فضل السبق على العلم الحديث في التحذير من زواج الأقارب نظراً لتأثير العوامل الوراثية والولادية السلبية على النرية *Congenital and Hereditary Factors* التي دل البحث على أن اتحاد الجينات الوراثية *Genes* للضعيفة لدى الزوجين اللذين تربط بينهما علاقة دم وقرابة، هذا الاتحاد يزداد أثره السلبى في النرية، ولذلك يتعرض الطفل الوليد للإصابة بالصمم أو العمى *Blinders and Deafness* او التخلف العقلي *Mental Retardation* او ضعف السمع او الأبصار والتقلبات او التشوهات الجسمية والعماهات والإعاقات الجسمية *Physical handicaps* .

ويرشدنا الإسلام الى دقة الاختيار للنطف ذلك لأن العرق دساس، والبعيد عن زواج الأقارب. فعلى المسلم ان يقترب حتى لا تضمحل نريته، وتصاب بالنقم . والعلم الحديث يؤكد، على سبيل المثال، خطر زواج الأقارب، وسبقه في ذلك الإسلام الحنيف، فالعلم الحديث يرى ان مريض السكر مثلاً ليس ممنوعاً من الزواج، وهو قادر على ممارسة الحياة الزوجية كاملة، ولكنه ممنوع من زواج الأقارب أكثر من غيره، وخاصة من الدرجة الثانية، حتى الدرجة الرابعة، ذلك لأنه من المعروف ان جينات مرض السكر التي تحمل الكروموزومات تورث في العائلات، فإذا تزوج مريض السكر بأحد أقربائه من الدرجة الثالثة او الرابعة، فيكون الاحتمال كبيراً فسي إنجاب

أطفال مصابين بمرض السكر^(١)، وتكون إصابة الأطفال بمرض السكر شديدة ويصابون بغيوبة السكر بصفة مستمرة، لانهم لا يعرفون نظام التغذية المفروض لمرضى السكر، كذلك يصابون بقصر القامة ذلك لان زيادة نسبة السكر في الدم تمنع افراز هرمون النمو. والمرأة المصابة بالسكر قد يصاب حملها بالتسمم والاستسقاء بالمائل الموجود داخل الرحم، وعلى الرغم من ان مرض السكر *Diabetes* ليس من الأمراض المعدية الا انه ينبغي ان ينبغى ان ينبعد عن زواج الأقارب . وفي هذا الصدد يقول الهدي النبوي المبارك " اغتربوا حتى لا تضعفوا " أي يضعف نسلكم او يضرر .

وبعد الزواج وتكوين الأسرة الصالحة وإنجاب الأطفال، يوصى الإسلام بالتوسعة على العيال من فضل الله اشباعا لحاجاتهم، بصورة معقولة ومعتمدة، حتى لا يعانون من الحرمان او البخل او للعوز، كما يدعو الى العدل في الأولاد فلا نفرق في المعاملة بين طفل وآخر، حتى لا تتأثر نفسية المظلوم منهم، ويشب على الحقد. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ان اباه اتى به رسول الله ﷺ فقال اني نحلته ابني هذا غلاما كان لي. فقال رسول الله ﷺ اكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ فارجمه. وفي رواية فقال رسول الله ﷺ أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا. قال: اتقوا الله واعملوا في أولادكم. فرجع ابي، فرد تلك الصدقة. وفي رواية فقال رسول الله ﷺ يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ فقال: نعم. قال: أكلهم وهبت له مثل هذا قال: لا قال: فلا تشهدني اذا فاني لا اشهد على جور". فالمسلم يسره ان يكون أبناؤه في البر سواء والبراء سواء، ويتمشى ذلك مع الطبيعة الإنسانية.

ويوصينا الإسلام بالنساء خيرا كما في قول النبي ﷺ: " استوصوا بالنساء خيرا، فان المرأة خلقت من ضلع، وان اعوج ما في الضلع اعلاه، فان ذهب تقويمه كسرتة، وان تركته لم يزل اعوج، فاستوصوا بالنساء" ويدعو الإسلام للنظرة الشمولية الإجمالية لخصال المرأة الإيجابية والسلبية في الحكم عليها والتعامل وإياها لقول النبي ﷺ " لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضي منها آخر" فما لرجل ان بغض صفة في زوجته ، لا بد وان فيها كثيرا من الصفات الطيبة، فيحدث الشعور بالتعادل

١ - د. مغازي علي محبوب في عكاشة المنان، مرجع سابق.

والرضا. ويدعو الإسلام للاستمتاع بالمرأة، لقول الرسول ﷺ: " ان الدنيا متاع وخسير متاعها المرأة الصالحة"^(١).

ومن المبادئ الإسلامية الرفيعة في العلاقات الأسرية الحفاظ على صلة الارحام و بر الوالدين والاحسان إليهما وإلى الأقارب واليتامى لقوله تعالى ﴿وَابْعَدُوا اللَّهَ وَلَا تَخْرَعُوا بِهِ شِبْهًا وَلَا بِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَيَحْيَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارَ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارَ الْجَنَبِيَّ وَالصَّاحِبِ الْجَنَبِيِّ وَأَيْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَكُمْ إِيْمَانُكُمْ﴾ ولقول الرسول ﷺ: " من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له من أثره فليصل رحمه". بمعنى أن يؤخر له من أجله ويطول عمره. وروى الشيخان عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رجلاً قال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ؟ فقال النبي ﷺ : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم " وقوله ﷺ كذلك " الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله "^٢. هذا اشعاع من نور الإسلام لمن أراد أن يستضي وأن يحيا حياة أسرية سعيدة موفقه قوامها المودة والسكينة.

الأمس السيكولوجية للسعادة الزوجية :

للحياة الأسرية أهمية بالغة في الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية والروحية، وحتى الأبعاد الجسمية من شخصية جميع أعضاء الأسرة، السى الحد الذي قد يصل بأحد أفرادها الى هاوية الانتحار أو السقوط في مستنقع الإدمان أو في برائن الجريمة والجنوح والاحتراف. ومن أمثلة ذلك : على وجه الخصوص، جرائم الرشوة، الاختلاس، والسرقه والمقامرة والاتجار في المخدرات. والنجاح في إقامة الأسرة السعيدة واستمرارها كالتنجاح في شتى مجالات الحياة الأخرى، لا يتأتى عفويا أو من تلقاء نفسه، وإنما لابد له من الجهد العمدي والتخطيط والاصرار والتضحية لتيسير سفينة الزواج الى بر الأمان ترفرف عليها أجنحة السعادة والهناء

^١ - يحيى بن شرف الدين النووي، مختصر رياض الصالحين، دار القلم، بيروت، لبنان.

^٢ - المصدر نفسه.

وتقاوم ما يواجهها من الأتواء والأعاصير والعواصف، وتتعم بما يرزقها الله به من العطايا والخيرات والطيبات والنعم وبذلك يتمتع جميع اطراف العلاقة الزوجية بالصحة النفسية والعقلية والجسمية. الامر الذي يرتد أثره على مزيد من النجاح في حياة الأسرة وبالتالي انتاجها الفردي والقومي. ولا يخفى ما للأسرة من آثار فاعلة في الصحة النفسية للابناء. ذلك لانها الواحة او الرحم أو الحضنة التي يتربى فيها النشئ ويتزرع.

ومع تحسن المستوى المعيشي لمعظم الاسر الا أن هذا الارتفاع في مستوى المعيشة لا يواكبه تحسن في مستوى سعادة الأسرة وتكيفها وتحررها من المنازعات والمنغصات والتنافر والخصام والشجار والجدال والنقد اللاذع واللوم المستمر من قبل طرف من الأطراف او من كليهما. وفي مجال البحث العلمي في السعادة الزوجية يتخذ بعض العلماء من مدة بقاء الزواج قائماً معياراً للسعادة الزوجية، ولكن الأمر قد يكون على خلاف ذلك، فقد يتعاش الزوجان، مع وجود القلائل والمنغصات، بحيث لا يمنع بقاء الزواج قائماً من الناحية الرسمية، وجود الطلاق أو الانفصام أو الفصام العاطفي والوجداني بين اطراف العلاقة الزوجية. فالعبرة إذن بالعمق السيكولوجي ووجود السعادة الفعلية المفروض توفرها في محيط الأسرة. وهناك كثير من العوامل التي تسهم في تحقيق السعادة الزوجية أو في فرض التعاسة والبؤس وفرض جو من الغم والسهم والحزن والنكد والكمد والضيق والضجر والتبرم والسخط والكراهية والنفور، لتقال من صفاء الجو الأسري ونقائه. من ذلك خضوع المرأة أو الرجل للتحريض من قبل الزملاء أو الأصدقاء أو الأكارب، وخاصة من الزميلات اللاتي يحركهن الحقد على سعادة الأخريات، فتجدهن في مجال العمل أو المنزل، يوغرن صدر الزوجة على زوجها أو الزوج على زوجته وبيثن فيه سموم التبرم من حياته الأسرية.

ومن الأمور السالبة في الحياة الاجتماعية، ما يلاحظ من عدم قيام الزواج أو الزوجات اللاتي يتمتعن بالسعادة الزوجية والتوافق والتكيف الأسري بالحديث عن ذلك على ما فيه من نفع ونشر وتدعيم لمعاني المحبة والمودة والسكينة والتراحم والتعاطف بين الأزواج والزوجات. الحديث عن ذلك موقف تربوي هادف وتقديم لنموذج طيب

ونجاح الامر الذي يؤدي الى سيادته وانتشاره ودعوه في عقول واذهان الغير. ثم هو تعبير عن الشكر والامتنان والعرفان، وللأسف اننا نلاحظ، بدلا من ذلك، نقشي حديث الشكرى والتوجه والخلاف والخصام والشجار والنقار سواء لاسباب حقيقية او لاسباب وهمية. ولهذا المنهج أضرار، وفيه خداع للمرأة المستمعة، وفيه تشجيع وحفز لها، بطريقة شعورية او لاشعورية على التبرم والضجر من حياتها الخاصة سيما واذا علمنا ان السلوك السليبي تنتقل عدواه وتنقشى بدرجة قد تصل الى الصورة الوبائية التي تنتقل بها الأوبئة والأمراض المعدية والجراثيم.. وتديما قيل: سوء الخلق يعدي والمرء على دين خليله.

واذا أردنا التأمل في القيم والمعايير السيكولوجية العميقة التي تؤدي الى مزيد من السعادة الزوجية والى حسن التوافق والتكيف الأسري، لوجدنا ان هناك كثيرا من العوامل، من بينها انه يتعين على الرجل والمرأة ان يعكف كل منهما منفردا وان يصفو الى نفسه ويحلل سلوكه اليومي، ويتأمل فيه ليرى ماذا فعل من اجل الطرف الاخر، وماذا قدم له من العون او التعاون او التعضيد او المودة او المحبة او الوفاء او التضحية او الراحة. ويتعين على كل طرف ان يسعى، في كل يوم، سعيا جادا ليوصل لمزيد من التعرف الأعرق لرفيق الحياة ولشخصيته ونمط تفكيره وميوله واتجاهاته ومسامته وخصائصه، وماذا يحب وماذا يكره. ومع ان الحياة الأسرية مشاركة وجدانية وواقعية، الا انه لا بد وان يترك كل طرف للطرف الاخر جزءا من الحياة الخاصة به، كالحفاظ ببعض الأسرار والأوضاع العائلية، بمعنى عدم إصرار كل طرف على ان يعري الطرف الاخر ويكشف خباياه أو يغزو شخصيته، مع ضرورة توفر الثقة المتبادلة بين الطرفين، ويتطلب ذلك التمسك بقيم الصدق والأمانة والإخلاص والوفاء والطهارة والعفة والشرف. ويتعين عدم جرح كرامة او كبرياء احد الطرفين، مع اتسام الجو الأسري بالصدافة والتفاهم والتعاون والأخذ والعطاء والمشورة.

وفوق كل ذلك المشاركة الوجدانية العاطفية في السراء وفي الضراء، وتحمل اعباء الحياة بحلوها ومرها لتسير سفينة الزواج الى بر الأمان. ويتطلب ذلك تفاني كل طرف في العمل على إسعاد الطرف الآخر. ومن الناحية النفسية ضرورة التلاحم

والتوصل والتوحد الفكري بين الزوج والزوجة، مع الإيمان بأنه إذا بدأ احد الأطراف في إسعاد رفيقه، فإن الطرف الثاني سوف يبدأ بعد ذلك كرد فعل طبيعي للعمل الطيب. والمفروض ان يؤمن للزوجان بان المال وحده لا يصنع السعادة، والمفروض ان يبعد كل طرف عن رفيقه، بكل الطرق، مشاعر الملل والرتابة والغم والهم والنكد والحزن والكمد والضيق والغضب والثورة والانتكاب والفشل والإحباط. ويتطلب ذلك تغيير الروتين اليومي واستفثار او استدعاء كل طرف كل ما يملك من طاقات الخير والعطاء والحب في الطرف الاخر، بمعنى إثارة الجوانب الخيرة في شخصية الطرف الاخر.

ومن هنا يقال للزوجة (وللزوج) الا تكون زوجة، وحسب، وانما هي الزوجة والصديقة والزميلة والأخت والام عند اللزوم. ويتطلب الوفاق الأسري تربية الابناء على احترام شخصية الاب واحترام وجوده في المنزل بحيث يتعلمون البعد عن الشغب والضوضاء والشجار حتى لا يصبح المنزل جحيماً مقيماً تعمه الفوضى والانزعاج وهو اصالة مخصص للراحة. ومن الخصال التي يتعين تحاشيها البعد عن اقامة المعسكرات او التكتلات او التحزب والتشردم، حيث تعتمد بعض الأمهات إلى خلق حالة من تكتل الأبناء في معسكرها ضد الأب وهي في سبيل ذلك العمل المشين تقدم لهم الرشاوى والعطايا وتركع امام طلباتهم. ومن الإنصاف ان نقول ان الأب قد يفعل ذلك في الام مع ضرورة تحاشي توجيه اللوم والعتاب والنقد والتجريح المستمر والشكوى والتوجع بسبب او بدون سبب، مع الايمان بأنه لا يكلف الله نفساً الا وسعها فلا يرهق طرف من اطراف العلاقة الأسرية زميله بما لا تقوى عليه قدراته وامكانياته، مع ضرورة العفو والتغاضي عن الهفوات الصغيرة. فالإنسان ليس ملاكاً على طول الخط، مع عدم مقابلة الثورة بالثورة لان ذلك يشعل ناراً. بل التدريب على ضبط النفس وكبح الجماع والتحكم في الانفعالات الغاضبة والغائها او تأجيلها، بحيث يتوافر المنزل الهادئ النظيف الساكن المملوء بالحب والنفاء. ومن الناحية النفسية يحتاج الزوج الى زوجة تعوض له ما ينقصه وتشبع لديه حاجات تمنى تحقيقها، وهنا تقوم الزوجة بدور " المعالجة النفسية لمشاكل الأسرة وهمومها".

في ضوء أهمية الحياة الأسرية، باعتبارها نواة المجتمع الصالح ووسيلة خلق المواطنين الصالح البعيد عن التطرف والعنف والارهاب والامان، يدعو كاتبات هذه السطور الى انشاء مدرسة لتعليم اصول الحياة الأسرية واصول السعادة الزوجية ونقل الخبرات الإيجابية والتواصل الفكري بين الاجيال مع ضرورة اهتمام اجهزة الاعلام بتدعيم السلوك المؤدي الى تحقيق السعادة الزوجية وضرورة الدعوة لتعيين اخصائي نفسي مؤهل في كل المجتمعات البشرية وخاصة منظمات رعاية الامومة والطفولة مع تدريس مادة علم النفس الأسري في جميع اقسام علم النفس والتربية تحقيقا لمزيد من السعادة في الحياة الأسرية.. فالأسرة هي صانعة الاجيال الصاعدة وهي ايضا الامن والامان ضد اصابة الزوج والزوجة بالأمراض النفسية والعقلية وفيها حماية للشباب من خطر الجنوح والانحراف والجريمة والتطرف والارهاب وهي المدرسة التي يتعلم الفرد فيها اصول الطاعة والالتزام ذلك التعلم الذي يمتد اثره بعد ذلك ليعم حياته في مرحلة الشباب والرجولة والمواطنة الصالحة وكذلك فان ما يتفق على الأسرة من جهد ومال ليس من قبيل الخدمات الإنسانية وحسب وانما هو ايضا من قبيل الاستثمار الوطني الجيد.

سيكولوجية الزواج المتكيف:

هناك كثير من العوامل النفسية والسمات الشخصية التي تلعب دورا حيويا في حياة الزواج ابتداء من اولى خطواته وهو الخطبة وتستمر هذه العوامل مؤثرة طوال رحلة الحياة.

فاختيار شريك الحياة يتوقف على كثير من العوامل النفسية الدلخية وتلعب فيه العوامل الآتية:

- ١- نزعة الانطواء او الانبساط لدى الفرد.
- ٢- الميل للاعتماد على الذات او الاعتماد على الغير.
- ٣- العوامل المالية او الاقتصادية واتجاه القبول او الرفض حيالها.
- ٤- المستوى الاجتماعي والثقافي للطرفين ومدى تقاربه او تباعده.
- ٥- المستوى التعليمي لشريك الحياة.

٦- نزعات العدوان او التسلط او السيطرة:

٧- حب الشهرة والطموح.

٨- عامل السن.

٩- الظروف الأسرية التي يعيشها الفرد قبل الزواج.

١٠- الاضطرابات والمتاعب والأمراض النفسية.

١١- مستوى الذكاء والطموح.

كيف ينمو الشعور بالحب بين الزوجين:

يقول بعض علماء النفس ان نمو الحب في الحياة يمر بأربعة مراحل:

١- حب الذات ويحدث في مرحلة الرضاعة.

٢- حب الوالدين ويحدث في مرحلة الطفولة.

٣- حب الأصدقاء في مرحلة الشباب المبكرة.

٤- حب الشريك في مرحلة الرشد.

إذا استمر حب الإنسان في مرحلته الأولى، فإن الحب هنا يصبح احد مظاهر

النرجسية.

وإذا وقف عند المرحلة الثانية او عند المستوى الثاني، فإننا نكون امام عقدة

لوديب او عقدة الكترا.

وإذا جمد الحب عند المرحلة الثالثة لاذ يتوجه الحب نحو افراد من نفس الجنس

أصبحنا امام مظهر من مظاهر الجنسية المثلية

وسواء كانت هذه الكلمة- أي الجنسية المثلية او نقيضها- أي الجنسية

الغيرية، فإنها لا تعني بالضرورة وجود علاقة جنسية شاذة. وللشخص السوي يصل

الى مرحلة خاصة هي الحب للخلاق، حيث يستغرق الطرفان في تربية الأبناء واقامة

حياة منزلية سعيدة، ويمارسان نجاحاً في حياتهما المهنية.

المؤثرات الاجتماعية الحديثة على الأسرة:

لا شك ان التغيرات التي تحدث في المجتمع العام تنعكس على حياة الأسرة.

فالتغيرات الأسرية تسير جنباً الى جنب مع التغيرات التي تحدث في المجتمع، من ذلك

حركة التحضير او التحضر الكبيرة التي طرأت على المجتمع بمعنى زيادة عدد الاسر التي أصبحت تعيش في المدن الكبرى وفي المناطق المجاورة لهذه المدن. الى جانب ذلك، فان الأسرة الريفية قد انتهجت النهج الحضري في حياتها. وعلى ذلك تتعرض الأسرة لعدم الثبات كما يعبر الطلاق عن ذلك، حيث يلاحظ زيادة نسبة الطلاق في المجتمع الأمريكي مثلاً. ويصاحب هذه الاضطرابات او عدم الثبات هذا زيادة الاتجاه نحو الصداقة والاهتمامات العامة او المشتركة والتأكيد على العلاقات الديمقراطية.

وكما عبرت عن هذا التغيير واحدة من مجالات الخدمة النسائية بالقول: ان مناخ الأسرة يصبح اكثر صحة مع جو دافئ مشمس ذلك الذي يتأتى من الاهتمامات المشتركة، مع ما يمكن ان نسميه المعية او الصحبة او الرفقة

منذ عدة عقود مضت كان الاب في المجتمع الأمريكي هو رأس الأسرة بلا منازع. وكانت طلباته تلقى الاعتبار الاول، والان حل محل هذه الأسرة اسرة اخرى اكثر ديمقراطية تمارس الشورى بين اعضائها وتسود الصداقة اكثر من السلطة بينهم، ولكنها في مرحلة انتقالية، ومرحلة الانتقال من المراحل الصعبة في حياة الافراد والجماعات.

الوعي بالخدمات المتاحة لرعاية الأسرة:

يجب ان يسلم افراد الأسرة بما يوفره المجتمع من الرعاية والخدمات لمواجهة ما قد يعترض سير الأسرة. فهناك مكاتب لرعاية الأسرة، وهناك عيادات للزواج، وهناك الأطباء النفسيون والعقليون . فمقابلة إنسان مؤهل ومدرب، ربما تؤدي الى رؤية للمشكلة رؤية موضوعية وخاصة المرشد النفسي في مجال الزواج الذي يرى كل طرف كشخص له خصائصه وصفاته وقدراته ومواهبه وميوله ورغباته واتجاهاته ودوافعه وأهدافه. بعد عدة جلسات معه سوف يتضح ان الشكوى الرئيسة للطرفين هي لهما يشعران بالوحدة.

وان الواحد منهما يشعر انه منعزل عن رفيقه، لقد فقد الاهتمامات والميول المشتركة السابقة، واصبحا يواجهان صعوبة في الاتصال مع بعضهما البعض. لا

يستطيع الواحد منهما ان يشرح مشاعره للآخر. ويضيف هذا الى مشاعرهما بالاحباط. واذا حاولا الشرح، فكثيرا ما ينتهي هذا الشرح بالشجار حول امور بالغة البساطة. ويتعين على مرشد الزواج ان يساعد الفرد لاعادة اكتساب حسه بقيمته، وان يتأكد ان كل مشكلة يعاني منها هو الآن قابلت غيره من قبل عشرات المرات، وان خبراته مع المشكلات السابقة سوف تساعده في حل المشكلات المقبلة. واهم من ذلك ان يتأكد الطرفان انهما سبق وان حلا مشاكل اصعب مما يواجهانه الان في الماضي، وانهما مستعدان لعمل ذلك ثانية، اذا اخذا مشاكليهما مرة واحدة وتعدها بالحل.

دور الإرشاد النفسي الجسيمي في تحقيق التكيف الأسري:

الإرشاد الجماعي:

هو احد المناهج التي تساعد في اعطاء الأطراف الاستبصار الكافي لحل مشاكليهما. أي الفهم الموضوعي الدقيق لها.

ويمكن استخدام الإرشاد الجماعي في علاج مشاكل الزواج في إعطاء الأزواج بصيرة او استبصارا وفهما لمشاكل الزواج وكيفية حلها.

ففي احد التجارب تقابل عدد من الأزواج والزوجات الذين عاشوا حياة زوجية سعيدة من الظاهر فقط مع المرشد لمناقشة مشاكل زواجهم، وكانت لهم خلفية مختلفة. وتبين لهم انهم واجهوا جميعا نفس المشاكل وهي التي تدور حول المسائل الجنسية والاتجاه نحوها، والاختلافات حول نظم تربية الابناء، والاختلاف حول رعاية ابويهم الكبار في السن والمشاركة في ذلك والخلاف حول عدد الأطفال الذين يخططون لإنتاجهم. ولم يكن هؤلاء الأزواج والزوجات قد سبق ان فكروا في هذه المشاكل مع بعضهم البعض. ولقد ساعد جو الاسترخاء الذي ساد في المناقشات الجماعية على إتاحة الفرصة لكل فرد ان يناقش مشكلته بحرية، وان يحلها واطهار وجوه النقص الشخصية. كل ذما ساعدهم في رؤية زواجهم بصورة اكثر موضوعية ودقة.

من بين النتائج الهامة في إحدى دراسات فشل الزواج ونجاحه تبين أن العلاقات الجنسية للاباء ليست مؤشرا صادقا للصحة الانفعالية ومستوى التكامل للأسرة

كوحدة. لقد وجد الباحثون أسراراً سعيدة على الرغم من عدم التكيف الجنسي، وعلى العكس من ذلك وجدوا ان الأشخاص أصحاب الصحة الجسمية القوية لا يتمتعون بزواج سعيد وتزيد مثل هذه النتائج حقيقة عامة معروفة منذ القدم بان الزواج لا يقوم على اساس الرواية البيولوجية او الجنسية. وانما على أساس الروابط الروحية والاجتماعية.

ضرورة التوسع في إنشاء عيادات نفسية:

ولأسف الشديد لا يوجد حتى في مجتمع كالمجتمع الأمريكي الا عدد قليل من عيادات الزواج . ولكن هناك نحو ثلاثمائة وكالة مرتبطة بتنظيم خدمات للأسرة تابعة لرابطة الخدمات الأسرية الأمريكية.

ولذلك هناك دعوة لتدعيم الإرشاد الأسري وزيادته لتعليم الناس اصول الحياة الأسرية وللوقاية من تحطيم الزواج وتصدعه.

لقد أسست اول جمعية أسرية في أمريكا منذ أكثر من ٧٠ عاماً، وذلك لعلاج مصاعب الأسرة دون الاهتمام بالجانب الوقائي. وفي أمريكا يوجد المعهد الأمريكي للعلاقات الأسرية ونشر الوعي، ويصدر مجلة شهرية هو مجلة الحياة الأسرية. والآن هل يمكن وضع مبادئ تساعد على تحقيق مزيد من السعادة؟

وصايا الزواج:

وهناك مع بضع بعض الوصايا ويطلق عليها الوصايا العشر للزواج:

من ذلك ما يلي:

١- ضرورة الإيمان بان البيوت السعيدة لا تحدث عفوا او بالصدفة البحتة، انها تتكون عن طريق التفاهم والتعاون وعن طريق تحمس الناس الذين يعيشون في هذه البيوت.

٢- ان الجنس ان هو الالهة من الله تعالى شأنه في ذلك شأن نعمة البصر والسمع والكلام ، ولذلك يتعين ان يستخدم بنكاه لاثراء الحياة ويستخدم بطريقة فنية

- وليس آلية أو ميكانيكية أو عشوائية أو حيوانية أو بهيمية أو شهوانية.
- ٣- في الزواج تتجمع وتتراكم جميع الأشياء والأحداث، الانسجام الجنسي، الاهتمامات المشتركة، المساعدة العملية أو الفعلية والعبادة والصدق والمعادنات المنسجمة أو المتجانسة وتترك بصماتها في المستقبل.
- ٤- ممارسة الحب بصدق وقوة، ولكن لا تتطلبه في كل وقت، لأنه نتاج السروح المتحررة، أو لا تطلب التعبير عنه طوال الوقت، لأنه لا يوجد شخص ما يحب شخصا آخر ١٠٠% كل الوقت.
- ٥- لا تتخيل ان الزوجين متجانسان متطابقان كحبة الفول عند انقسامها، فيجب ان تكون هناك اهتمامات مشتركة بينكما وهناك اهتمامات فردية لأي منكما وحده.
- ٦- فليحترم كل منكما فردية زميله تمام الاحترام.
- ٧- عش اليوم تماما، وان كان ذلك لا يمنع من التفكير في الغد، ولكن دون ان يكون هذا للتفكير سببا في إزعاجك.
- ٨- حاول ان تقبل شريك حياتك بكل صفاته الإيجابية والسلبية لان السلبي منها قد يختفي او تعوضه الإيجابيات.
- ٩- اظهر إحصاسك بفضائل شريكك وامتدح خصاله الحميدة لاننا ننفر من النقد او الشجار الدائم.
- ١٠- يجب ان تمتص بعض مظاهر العدوان التي قد تظهر من جانب رفيقك او حدثه او انفعالاته وحاول ان تستحب بلطف وعطف لمثل هذه المواقف المعارضة.
- ١١- عبر عن مشاعرك بصدق وبحرية وبأصالة.
- ونظرا لأهمية الزواج كخطوة حاسمة في حياة الإنسان فلقد ابتكر بعض علماء النفس أداة للتعرف على مدى استعداد الفرد او تهيؤة لتكوين الزواج السعيد. من ذلك الاختبار الآتي:

اختبار الاستعداد أو التهيؤ للزواج: مقياس الاتزان أو التوازن الجيد :
يجيب الفرد على هذه الأسئلة بوضوح، وسوف تعطيه الإجابة فكرة عن مدى
توازنه الشخصي ومن ثم استعداده لكي يكون صالحا للزواج السعيد.

لا	نعم	السؤال
()	()	١- هل تكره الناس المتسلطين جدا أو محبي المراسمة؟
()	()	٢- هل تحب ان تكتب خطابات شخصية؟
()	()	٣- هل تحب الناس الذين هم اكثر مهارة منك؟
()	()	٤- هل يصعب عليك ان تحب الناس الميالين الى قول "نعم" دائما؟
()	()	٥- هل تحب ان تسلي الناس في المنزل؟
()	()	٦- هل تميل الى تخطيط عملك بالتفصيل؟
()	()	٧- هل لديك ثقة عظيمة في نفسك؟
()	()	٨- هل تؤم دور العبادة كثيرا؟
()	()	٩- غالبا هل تستطيع ان تضحك شخصا مكتئبا؟
()	()	١٠- هل يحدث انك تعيد كتابة الخطابات قبل قرائتها في صندوق البريد؟
()	()	١١- هل تحارب لتحقيق أغراضك؟
()	()	١٢- هل يؤثر فيك المديح أو اللوم كثيرا جدا؟
()	()	١٣- هل حدث ان شخصا ما أهانك وجرح شعورك جدا؟
()	()	١٤- هل يعتقد أصدقاؤك انك شخص مغرور او معجب بنفسك؟
()	()	١٥- هل يزعجك ان تخسر في مجادلة ما او جدال ما؟
()	()	١٦- غالبا هل يتحدث أصدقاؤك عنك من وراءك؟
()	()	١٧- هل يصعب عليك الاحتفاظ بأعصابك باردة؟

()	()	١٨- هل تكره الناس المحافظين والذين يأخذون حذرهم أو يأخذون الحيطة؟
()	()	١٩- هل تعتقد ان المعايير الأخلاقية الحالية صارمة أزيد من اللازم؟
()	()	٢٠- هل تشعر دائما بالتعاسة أو التكبر والتذمر أو الضيق أو الشكوى؟

لقد وضع هذا الاختبار كليفور آدمز ١٩٤٧ أورده هيرنر ص ٢٧٥ واسماه اختبار ما قبل الزواج.

إجابة الأسئلة العشرة الأول يجب ان يكون " بنعم" والعشرة الاخيرة " بلا". اذا حصل المفحوص على ١٥ درجة فاكثُر فمؤدى ذلك انه متزن انفعاليا. ومن هذه الناحية يتوقع له ان يكون سعيدا في الزواج. اما الدرجة ١٠ فأقل فتدل على عدم الاستعداد او التهيؤ الآن لاستئناف مسؤوليات الزواج.

الى جانب نضوج الشخصية، فان الزواج يتوقف على مقدار حاجة الفرد اليه وشعوره بالرضا عن شريك الحياة والاتجاه الإيجابي نحو الحياة العائلية والشعور بالواجب والاحترام المتبادل والثقة المتبادلة والأمانة والصدق والوفاء والولاء والإخلاص والعفة والشرف والإيثار والتضحية والحيوية والنشاط والتعاون والأخذ والعطاء والمودة والرحمة والمشاركة الوجدانية والتسامح والعفو والصفح والصبر وقوة الاحتمال والجد والاجتهاد.

سيكولوجية الأسرة العصرية

- الآثار المترتبة على الظروف الوالدية.
- كيف يمكن وقاية الطفل من إساءة استعماله او التعامل معه؟.
- إساءة معاملة شريك الحياة.
- كيفية الوقاية من إساءة معاملة شريك الحياة.

مقدمة:

للأسرة أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع، ذلك لانها التربة الاولى التي ينشأ فيها الفرد ويتربى، وهي التي تستقبل الطفل وهو مازال عجيبة لينة قابلة للتكوين والتشكيل والصقل والتنمية. وفيها تتم لولى خطوات اهم عملية تربية في حياة الإنسان وهي عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية والنفسية والاخلاقية والروحية والعلمية. تلك العملية التي تحيل الطفل من مجرد كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي انساني. فالتنشئة الاجتماعية هي التي تكسب الإنسان انسانيته.

وتزداد أهمية الأسرة حين يمتص الطفل من رحيقها الطيب سمات للمواطنة الصالحة والقطرة للسوية. وتلعب الخبرات التي يلقاها الطفل في سني حياته الاولى قسي لحضان الأسرة دوراً رئيساً وبقايا في حياته المقبلة لانه ما زال قليل الخيرة سهل التشكيل طبع العود. وتمتد الأسرة للمجتمع بالأفراد الأسياء الصالحين. ولذلك من الأهمية بمكان رعاية الأسرة والتعرف على العوامل النفسية المؤثرة في اعضائها والعمل على تحسين هذه العوامل.

وتكمن أهمية الآباء والامهات في تكوين الأسرة وبقائها وسعادتها وحمايتها وتمداد المجتمع بالعناصر الصالحة ولا تكمن اهميتهم فقط في توفير الجينات *Genes* اللازمة للوراثة الجيدة .

بل يوفرن البيئة او التربة او المناخ الصالح لتربية ابناءهم. وتبدأ هذه البيئة، في واقع الحال، في رحم المرأة *Uterus* خلال شهور الحمل للتسع أي قبل ميلاد الطفل. وهناك كثير من العوامل التي تؤثر في حياة الجنين فيما بعد من ذلك إيمان الام للخمر او المخدرات او التدخين او التعرض للحوادث والانتفاعات الحادة وتناول الأدوية والعقاقير دون الاستشارة الطبية والإصابة ببعض الأمراض مثل الحصبة الألمانية. ولذلك يلزم تحسين ظروف المرأة في مرحلة ما قبل الميلاد *Prenatal Case* ولذلك نقل من احتمال ولادة الطفل المبسر *Premature* وغير ذلك من المشكلات التي يمكن التنبؤ بها من ذلك لخفض معدلات للذكاء.

ويدخل في نطاق الاجراءات الوقائية كذلك الحرص على سلامة عملية الولادة وحماية الطفل الوليد من صعوبات الولادة المتعثرة كالاختناق او نقصان إمدادات الأوكسجين .

للأسرة أهمية كبيرة في مجال الوقاية لان خبرات الطفولة المبكرة وما يتعلمه الطفل في سني حياته الأولى يحصل عليه في نطاق الأسرة وفي دأترتها، كذلك فان مظاهر النمو الاولية تحدث في نطاق الأسرة. فالأسرة هي التربة التي ينشأ فيها الطفل ويتربح ويشب اما سويا واما مريضاً. كذلك فان خبرات الطفولة تسترك بصماتها وتظل باقية طوال حياة الفرد وتصاحبه في مرحلة الرشد والكبر، ذلك لان حياة الفرد عبارة عن وحدة متصلة الحلقات.

ومن بين الحقائق العلمية الواضحة في مجال رعاية الأسرة، ان علاج الطفل وحده لا يكفي، ذلك لان الآباء دائماً جزء من المشكلة ولذلك هناك ما يعرف باسم العلاج الأسري *Family* .

ومن الآثار المترتبة على الظروف الوالدية:

لقد وجد ان أطفال الآباء المصابين بالذهان العقلي *Psychotic Parents* اكثر بطأ في نمو القدرة الكلامية وأبطأ أيضاً في التحكم في المثانة *Bladder control* ويعانون اكثر من مشكلات تناول الطعام والنوم واكثر عرضة لكي يكونوا جانحين. كذلك وجد ان هناك نسبة اكبر من الأطفال مفرطي الحركة ينحدرون من آباء يدمنون تعاطي الخمر والمخدرات.

كذلك فان ابناء الامهات مدمنات الخمر تزداد نسبتهم في قلة الوزن عند الميلاد وضعف نسبة الذكاء. كذلك فهناك علاقة بين النزعة الاجرامية في الآباء والميل الى جنوح الاحداث في الابناء.

كذلك فان الأطفال الذين أساء استعمالهم فيزيقيا والذين عانوا من نقص التغذية *Mainourished* والذين اهلهم الآباء كانوا اكثر عرضة للمعاناة من سوء التوافق من غيرهم من الأطفال.

وليس هذا وحسب، بل، ان الابهاء الاسوياء، في بعض الحالات قد يمارسون تأثيرا سلبا على أطفالهم وعلى نموهم. من ذلك الحالات التي تعمل فيها الام خارج المنزل كل وقتها او التي تعمل في الانشطة السياسية والاجتماعية العامة وتترك شؤون أطفالها للخدم وغيرهم او التسلط الوالدي او الامل او الاقراط في الحب والعطف.

كيف يمكن وقاية الطفل من إساءة استعماله او للتعامل معه؟

Child Abuse

يبدو فشل الابهاء في تربية ابنائهم بصورة واضحة عندما يلجأ الابهاء الى ابداء الطفل جسديا او فيزيقيا.

هناك حالات كثيرة تسجل من هذا النوع في المجتمع الأمريكي، ولكن يصعب الحصول على احصاء دقيق في هذا الصدد، ذلك لان اساءة للتعامل مع الطفل يختلف من حيث النوع والدرجة او الشدة اختلافا كبيرا. ودائما يخفي الابهاء هذه الاساءة من منطلق الخجل والحياء والحرص الذي يصاحبه اساءة معاملة الأبناء للابناء. ومع ذلك هناك حالات كثيرة وخاصة في الأطفال الذين هم دون سن الثالثة من العمر. ولذا اخذنا في الاعتبار اساءة التعامل لا الفيزيقي وحده وانما ايضا اساءة للتعامل الانفعالي او العاطفي، فان هذا العدد بتضاعف بل ان هناك اعتداءات جسمية بين هذه الحالات

. Sexual Assault

ولقد تبين ان الابهاء الذين يسيئون للتعامل *Mistreat* مع ابنائهم اكثر عنوانا واقل نكاه، واكثر اندفاعا واقل نضجا واكثر انانية واكثر توترا او اكثر ميلا لنقد ذاته عن غيرهم من الابهاء الذين لا يسيئون معاملة ابنائهم. والاكثر احتمالا انهم هم انفسهم قد سبق ان أساء معاملة في سني طفولتهم ولذلك يكررون المعاناة القاسية التي ذاقوا مرارتها.

فإساءة معاملة الطفل يمثل دائرة مفرغة، ومن الغريب ان هناك حالات من هؤلاء الأطفال يظلون مرتبطين بأبائهم رغم خيرة سوء المعاملة، ويرفضون الانتقال من بيوتهم.

وينقل لنا التراث صوراً بشعة لهذه الإساءة تصل إلى حد كي الطفل بالنار أو بالسجارة في جسمه أو الضرب الذي قد يصل إلى الإصابة بالفرغريضة والصدمة الدماغية المستمرة. لدرجة عجز فيها طفل مصاب عن تحريك أصبعه والعجز عن عمل الاتعمكات العصبية الطبيعية.

ووصلت العقوبات في بعض الحالات في المجتمع الأمريكي إلى القصاص بسجن الأب ٢٠ سنة. وتسجل المحاكم كثيراً من هذه القصص الدامية والدرامية وتسجل بعض الحالات للعبث الجنسي بالطفل أو إصابة الطفل بالعنوى.

وان كانت الإساءة النفسية أقل ظهوراً، ولكنها أكثر بقاءً وصموداً في شخصية

الفرد حتى سن الكبر. (Sarson, p.499)

ولذلك ينبغي ان يخضع هؤلاء الآباء لبرامج لعلاجهم وتدريبهم على حسن معاملة أطفالهم ويتطلب ذلك القراءة والاطلاع على دور الآباء ومشاهدة نماذج استعراضية من معالجة مشاكل تربية الأطفال وتعلم الام والاب الاسترخاء.

ويقوم الاخصائيون بزيارات منزلية اسبوعية لمنزل هؤلاء للتحقق من مدى تطبيق محتوى هذه البرامج. لقد كشفت مقارنة هؤلاء الآباء لغيرهم عن وجود تحسن نتيجة لحضور هذه البرامج في فن الابوة ومهاراته.

وهناك منظمات سرية تهتم بعلاج الآباء الذين يسيئون التعامل مع ابنائهم تعرف باسم *Parents Anonymous*.

إساءة معاملة شريك الحياة *The Spouse Abuse*

ما هو الاتجاه العقلي الذي يحمله الناس نحو الزواج؟

بالنسبة لكثير من الناس الزواج يعني الحب والتماسك والاعزاز والاحتفاظ بالذكورية. وفي التراث الإسلامي الخالد الزواج معناه النفسي مودة وسكينة واستقرار واشباع حلال ورحمة وتعاطف وتواد وشفقة وتعاون واخذ وعطاء وطاعة واحترام ومسئولية وصدق. انطلاقاً من الهدي القرآني الكريم: ﴿وجعل لكم من انفسكم ازواجاً لتكنوا بها﴾

ولكن للامسك الشديد لا يمتنون بهذا الاتجاه الإنساني وللتسامحي فسي الوقت الحاضر اناس كثيرون من هؤلاء الذين يسيئون معاملة المرأة *Abused Woman* تلك الحالات التي كشفتها وفتت الأناظر اليها الحركات النسائية فهناك حالات تهان نفسها وأخرى تعذب جسديا. وهناك المرأة التي تحبس في غرفة النوم وفي المطبخ. بل هناك حالات تتعرض فيها المرأة للضرب والقتل او الطعن حتى الموت في داخل بيت الزوجية.

ما الذي يتركه تعذيب المرأة لفترة طويلة؟

مثل هذه المعاملة السيئة تزرع فيها الشعور بالخوف. فالشعور بالخوف وجد انه الشعور السائد الاول والمباشر بعد تعرضها للضرب او في اثناء الاعتداء عليها. ولكنها قد تعاني منه كمشاعر سالبة اخرى عندما لا تكون عرضة للذى الفيزيقي او للخطر الجسدي. فقد تشعر بمشاعر للشك حول نفسها وقد تتردد في مشروعية شعورها بالخوف على حياتها وانها فعلا يساء استعمالها. وقد يعترها الشعور بالذنب حتى دون ان تكون قد فعلت شيئا خاطئا. فقد تشعر بانها مستولة عن عنف زوجها هي التي اثارته بطريقة او باخرى أي انها هي التي اوصلته الى حالة الاعتداء عليها بتحديه او سبه او اهانتة او عصيانه او ما الى ذلك من الاسباب مما يجعلها تلوم نفسها بدلا من لوم من اساء التعامل معها. وقد تشعر بالفشل والاحباط كامرأة وكزوج وقد تشعر انه تم استرجاعها لهذا الزواج وانها اصبحت لا حول لها ولا قوة.

اما الرجل الذي يسئ معاملة زوجته، فلقد وجد انه يمتاز بسمات خاصة منسها انه مملوء بالغضب والسخط والتبرم والضرر والشك والريبة والتوتر والقلق. وعلى الرغم من سلوكه العدواني فانه يشعر بعنم الامان ويشعر كما لو كان هو الخاسر. وقد يستخدم العنف كمنفذ لمشاعره السيئة حول ذاته وحظه الضئيل في هذه الحياة. وينظر للمنزل على انه ذلك المكان الذي يستطيع ان يمارس فيه هذه للمشاعر دون ان يلقي ردا عقابيا. فاذا نهره رئيسه في العمل عاد ليثار من زوجته التي لا ترد عليه انه اقل توكيد لذاته في المجالات الاجتماعية عن زوجته. واغلب الظن انه قد أسئ استعماله وهو طفل واغلب الظن كذلك انه شاهد اساءة المعاملة بين والديه.

كيفية الوقاية من إساءة معاملة شريك الحياة :

هناك جهود مكثفة لمساعدة الشركاء الذين يساء معاملتهم ليس فقط الرعاية العاجلة وتوفير الحماية والأمن والمأوى ولكن أيضا تتضمن هذه الجهود برامجًا وخططًا طويلة المدى ولا شك انهم يحتاجون الى تحسين صورتهم عن ذاتهم *Self-Images* فيلزم تقوية المعرفة العقلية المرتبطة بذواتهم. ولذلك يقوم بهذه المهمة المرشد النفسي حيث يشجعهم على ان يرددوا العبارات الذاتية الآتية:

١. انه لا يمكن ان يوجه إلي اللوم على ما اصابني من ضرب و اساءة.
٢. انني لست سببا في عنف الطرف الاخر.
٣. انني لا اتحمل ذلك.
٤. انني جدير بان أعامل بكل احترام.
٥. ان لدي القوة لكي امارسها على حياتي الخاصة.
٦. استطيع ان استخدم قوتي لرعاية نفسي والمحافظة عليها.
٧. انني تقادر على عمل التعديلات المطلوبة في شخصي اذا رغبت في ذلك.
٨. انني لست وحدي انني استطيع ان اطلب العون من الغير.
٩. انني استحق ان اجعل حياتي آمنة وسعيدة.

ولنا نحن المسلمين في رسولنا الكريم اسوة حسنة وقُدوة طيبة نقتدي به صلوات الله وسلامه عليه حين اوصانا بالنساء فلقد جاء الهدي النبوي الشريف في التوصية بالنساء والاحسان اليهن والعطف عليهن وتذكر محاسنهن.

أسس التربية السوية

- مبدأ الثواب والعقاب وأثاره التربوية.
- دور المؤسسات التربوية في مكافحة الجريمة والجنوح.
- التنمية النفسية للفرد.
- التربية النفسية في الإسلام.
- سنوات التعليم الأساس ومستوى نضج الاطفال.
- كيف يصبح سلوك الطفل سلوكاً سويماً ؟
- هل يبحث أطفالنا عن القدوة الحسنة؟



مبدأ الثواب والعقاب وأثاره التربوية

يشبّ المسلم، في ضوء الثقافة الإسلامية، على تحمل المسؤولية وتوقع الثواب والعقاب والردع والمحاسبة والمحاكمة، وذلك يجعله هذا المبدأ يتحمل مسؤولية أعماله ونتائجها، ويؤكد له ما يقرره القانون الوضعي من أن مسؤولية الجريمة مسئولية شخصية تقع على فاعلها وحده ودون سواه. ولذلك يشعر المسلم، على المستوى الشخصي، بتحمل مسؤولية أعماله، ولذلك يتجنب الأعمال الخاطئة أو المعاصي والنوب والآثام مما بعد ركيزة قوية في التربية الاخلاقية.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَكَلَّ اللَّهُ إِنسَانَ أَلْمَنِةً مَّا نَرَهُ بِيَدَيْهِ فَيُدْرِجُهُ لَه يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْهُورًا. اقْرَأْ كِتَابَكَ تَحْفَايَ بِفَعْسِكَ الْيَوْمَ لِمَلِكٍ حَسْبًا ﴾ [سورة الاسراء ١٣-١٤].

ويشرك الإسلام الإنسان في الحكم على نفسه بالادانة ويقنعه بالخطأ الذي ارتكبه. وهذا مبدأ تربوي هام في الحياة الدنيا عندما يقتنع المذنب بذنبه، فإنه يتقبل العقوبة، وتؤثر فيه كوسيلة من وسائل التقويم والاصلاح والتهذيب، واعادة التأهيل الاخلاقي للعودة لحظيرة السواء والامتثال للقيم الصالحة وقرار التوبة للنصوح وعدم معاودة ارتكاب المعاصي.

يقول الله تعالى: ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ الْمَلِئِكَةُ الْمُتَوَكِّلُونَ كُلُّ شَيْءٍ آتٍ بِهِ خَبِيرٌ مَّا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة النمل (٨٨)].

ويؤكد هذا الهدي القرآني الكريم ان جميع ما يأتيه الإنسان او يفعله فانه تعالى عليم خبير به. فالإنسان يقع تحت الرقابة الالهية المقدسة، وليست المسألة كما تذهب للفلسفات اللادينية عماء أو فوضى أو عشوائية، فانما يعلم الله تعالى ما يقوم به العباد. وهذا الشعور يدفع الإنسان للحرص على مرضاة الله.

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْعَتِيقِ ﴾ [سورة الذاريات (٥٨)] والهدي القرآني يجعل المسلم يشعر بالأمن والامان والاطمئنان، فان الله تعالى هو الذي يرزق كل من وما في الكون، وان الله تعالى قوي متين، يستند اليه الإنسان وهو

ضعيف بطبيعته، الى قوة عظيمة حامية وحارسة تعطف عليه وتحميه وتبلي نداءه فهو اقرب اليه من حبل الوريد.

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسهم اياتا لتسرون ﴾ سورة الذاريات (٢٠-٢١) ، ويدعو الإسلام ابناءه للتفكير والتأمل والتبصر والادراك والفهم والاستيعاب. التفكير في مخلوقات الله تعالى. فلقد قيل بحق فكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذاته، حتى يصل الإنسان من خلال التأمل في معجزات الخلق الى الايمان بالخالق العلي العظيم.

ومخلوقات الله آيات وعلامات ودلائل قوية على عظمة الخالق، بل ان الإنسان نفسه يجب ان يكون موضوعا للتفكير والتأمل في هذا الصنع البديع، ولا بد ان ينتهي الى ان هناك خالقا عظيما لهذا الإنسان بالغ التعقيد، فيه تتجلى عظمة الخالق.

فهم الإسلام للطبيعة الإنسانية وأثره في الصحة النفسية:

يفهم الإسلام الطبيعة البشرية فهماً يفرق كل علوم الدنيا الحديثة لان خالق الشيء أقدر على فهمه من غيره. ومن ذلك ان نفس الإنسان توسوس له قال تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان وتعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد إذ يلقى الصلغيان من اليمين ومن الشمال بعيدا يلفظ من قول الألدية رقيب بعيد وجاءته سورة الموت بالموت حالك ما حذرت منه بعيد ودفخ في السور حالك يوم الوعيد وجاءته حل نفس معما مائتة وخصيد لقد حذرت في غفلة من سدا فحذرتنا منك انطاعك فبسررك اليوم حديد ﴾ [سورة ق ١٦-١٢].

والوسوسة، في اطار علم النفس الحديث، احدى وضائف النفس حين تملأ الوسواس والأوهام والخيالات والافكار الزائفة نفس الإنسان، فيعتريه الشك والريبة في كل ما يقوم به من اعمال، وتخرضه هذه الوسواس على القيام بأعمال ضارة او مؤذية، فالنفس تكون أمارة بالسوء، وقد تكون طيبة مستقيمة مطمئنة سالحة. وهنا اشارة اخرى الى فكرة الحساب والردع والعقاب والمحاسبة والمحاسبة، ليشعر الإنسان انه

مسئول عما يأتيه من أفعال، وأن يوم الحساب آت لا ريب فيه، وفي ذلك أطيب الأكر
التربوي في تقويم النفوس وتهذيب السلوك.

يقول تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويغصد الله على ما
في قلبه وهو الدخاء﴾ البقرة (٢٠٤)

ويشير القرآن الكريم هنا الى حالة نفسية وهي للنفاق والرياء والمداهنة
والغش، واطهار الفرد خلافا لما يبطن، وهي حالة يعرفها علم النفس الحديث بأنها
حالة العكسية حيث يظهر الإنسان خلافا لما يبطن، فالشخص البخيل يتظاهر بالكرم،
والموظف المرثي يتظاهر بالأمانة، والأم المهملة تتظاهر بانها أم مثالية، وفي ذلك
تنبية من القرآن للكريم لمن قد يغش الإنسان ويتظاهر بصدافته، وهو من ألد أعدائه
وخصومه، فالعبرة بما في القلوب، ولا تؤخذ الأمور بظواهرها الخارجية، وفي ذلك
لحتراس من خطر المنافقين والمرائين، والذين يكثرون في هذه الايام وخاصة من يحيط
برجال الإدارة العليا من بطانة فاسدة.

قال تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ الاحزاب (٤)، ويرشد
الإسلام سلوك الإنسان وفكره واتجاهاته وميوله نحو هدف او غاية واحدة حتى لا
يتعرض للتشتت والفوضى والصياح والخلط، وفي ذلك قمة التنظيم والترتيب. وحتى لا
يتناقض في افكاره المتضاربة او المتناقضة لوضوح الرؤية وتحديد الهدف، والفلسفة
التي يؤمن بها الإنسان، وتلك من علامات الصحة العقلية الجيدة التي تستبعد للتناقض
في الشخصية او التضارب في السلوك، وحتى لا يحدث انقسام في الشخصية او فصام
او يشتت ذهن الفرد ونشاطه نحو اكثر من غاية.

قال تعالى: ﴿ما حسب الذين في قلوبهم مرض ان يخرج الله أضغانهم ولو
نفا لأرينهم فلنعرفهم بسيماهم﴾ سورة محمد. (٢٩) (٣٠)

الذين في قلوبهم مرض إشارة الى اصابة الإنسان في ايمانه وتقواه وشعوره
نحو خالقه. فالقلوب وما يعبر عنه اليوم، في إطار علم النفس الحديث، بالعقول قد
تصاب بالمرض، من ذلك الغش والخداع والرياء والمداهنة والشك والريبة والخيل
والخلط والتشويش.

قال تعالى: ﴿ لا أقسم ببوء المقامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ سورة القيامة (١-٢) يشير القرآن الكريم الى واحدة من المفاهيم والتصورات التي يهتم بها علم النفس التحليلي، وهي ﴿ النفس اللوامة ﴾ وتقابل الضمير الاخلاقي، الذي يحاسب صاحبه على كل كبيرة وصغيرة ويردعه في شكل لوم الذات ويقابل هنا فكرة الذات العليا عند سيجمند فرويد.

قال تعالى: ﴿ وأما من خانده مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ سورة النازعات (٤٠، ٤١)

من وظائف النفس البشرية، في التصور الإسلامي، الهوى والأنايية، واللوم والطمع والجشع ولها وظائف ايجابية كالحب والرحمة والشفقة، واخرى سلبية كاتباع الهوى. ومن هنا كانت ضرورة الرسالة والدعوة والتربية والتعليم لتغلب الجانب الخير السامي في الذات الإنسانية على جوانب الهوى والشطحات، والخوف من الله تعالى أقوى الروادع والزجر والالتزام بالطاعة.

قال تعالى: ﴿ قد جاءكم بحائر من ربكم فمن أسر بانيه ﴾ سورة الانعام (١٠٤) والإسلام دائما يهتم بالجانب التأملی العقلاني، حيث يحض أبناءه على التبصر والتأمل والتفكير والتدبر في امور الكون وفي مخلوقات الله، وصولا الى الغاية العظمى، وهي الاعتراف بوجود الخالق العظيم، وهنا توكيد لدعوة التبصر والنظر والتأمل وصولا للايمان الراسخ.

قال تعالى: ﴿ ومن يؤق خغ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ سورة الحشر (٩) وقد تدفع الإنسان نزعات نحو الشح والبخل والتقتير الى ان يؤدي نفسه، فالإسلام يدعو الى الكرم والسخاء والوسعة على العيال والى الجود، ويدعو الى تهذيب النفس اذا جنحت الى الشح والبخل، ولكن يلاحظ ان الإسلام دعوة وسطية في تنشئته الاجتماعية والنفسية للفرد، فلا شح وبخل وتقتير، ولا إسراف وبذخ وتبذير، وانما توسط واعتدال.

هل الإنسان خير بطبعه أم شرير بطبعه؟

تذهب الفلسفات المتشائمة الغربية الى تصور الإنسان على انه شر محض بطبيعته، ولكن التصور الإسلامي يذهب الى ان الخير والشر في الإنسان، قال تعالى:

﴿ ونفس وما سواها فالمعصاة تنجورها وتقومها قد أفلح من دخلها وقد خاب من حساها ﴾ سورة الشمس (٧-١٠) وعلى الإنسان الاختيار وتحديد سلوكه ومن هنا تنشأ فكرة المسؤولية والثواب والعقاب. ومن هنا أيضا تظهر وظائف الأنبياء والرسل ورجال الوعظ والارشاد والتربية ودعاة الإصلاح كي يغتوا الجوانب الخيرة في الذات الإنسانية. وعلم النفس واحد من هذه العلوم التي تسعى لعلاج ما قد يصيب النفس من اعوجاج. قال تعالى : ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ سورة يوسف (٥٣)

ونفس الإنسان قد توسوس له بعمل الأفعال المؤثمة او المجرمة او المحرمة او المكروهة، وتدفعه لارتكاب الآثام والمعاصي والذنوب والخطايا، ولذلك على الإنسان ان يحترس من ذاته والا يتبع هوى نفسه وشطحاتها وهواها، وانما عليه دائما ان يتحكم في عواطفه وان يسيطر عليها وان يوجهها نحو الخير.

قال تعالى: ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه ﴾ سورة محمد (٣٨)

ويعتبر الإسلام البخل من الصفات الذميمة في الإنسان، ولذلك على الإنسان أن يحارب تلك السمات السالبة في ذاته، من ذلك البخل والغل والأنانية والفردية والغيرة والانتقام، وأن يزكي وينمي في نفسه السمات الحميدة والخصال الجيدة والمحبوبة، كالرضا والزهد والقناعة والتوكل على الله والرحمة والشفقة والمودة والاخاء والتعاون والمحبة والمعاملة والمشاركة الوجدانية والاتحاد والتعاون.

تتمية الإيجابية في الشخصية الإسلامية:

قال تعالى : ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف ونه عن المنكر واحبر على ما أحابك إن حذك من عزم الأمور ولا تصع حذك للناس ولا تمش في الأرض مريا إن الله لا يعبد من سواه ولا يعبد من سواه ولا يعبد من سواه من سواه إن أنظر الأسواته لسواته العمير ﴾ سورة لقمان (١٧ - ١٩) .

يربي الإسلام أبناءه على الإيجابية، ونبذ السلبية، فالعالم مأمور أن يأمر بالمعروف وأن ينه عن المنكر، وفي ذلك بيان للدور الاجتماعي والإنساني للمسلم، فهو مسؤول عن توجيه غيره من الناس نحو الخير والمعروف والمروءة والمودة والرحمة، ونحو طاعة الله تعالى ورسوله وولاية الأمور، وذلك الإيجابية يخلقها الإسلام في

الشخصية وتؤدي الى الإصلاح الاجتماعي، كذلك يدعو الإسلام للتخلي بالصبر، كما يدعو للتوسط بين التواضع والخضوع للناس بلا داع والكبرياء والفخر والغرور والمباهاة، والاعتدال في المشي وفي الصوت وتلك من أرقى الآداب.

وذلك حتى يتحاشى المسلم الشعور بالخيلاء والغرور والعظمة الزائفة التي في الواقع هي أحد الامراض العقلية المعروف اليوم باسم " البارانويا " أي جنون العظمة والغرور والمباهاة.

ويوضح الإسلام للإنسان انه كائن صغير بالنسبة للجبال الشواقق، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَأَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ حُلُولًا لَوْلَا أَنْ تَحُلِكَ كُفَّانَ سِيبَةً مَحْدُوبَةً ﴾ (سورة الاسراء ٣٧ - ٣٨).

والغرور من السمات السيئة في الشخصية والبعيدة عن خلق الإسلام. وهكذا يحرص الإسلام على أن يظهر ابناؤه بالمظهر الاجتماعي والاخلاقي اللائق او السوي ويؤكد الإسلام على الاعتدال والبعيد عن التطرف والمغالاة بين الخضوع والمباهاة وفي ذلك قمة السواء النفسي في ضوء علم النفس الحديث. ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَعْرَجْكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ (سورة لقمان ١٨) .

مبدأ التوسط والاعتدال في الإسلام وأثره النفسي والتربوي :

الإسلام بعيد عن التطرف والتزمت والتعصب التي غرقت فيها المذاهب الغربية، فهي هو القرآن الكريم يؤكد أن أمة الإسلام أمة وسط تمتاز بالاعتدال والتوسط في كل شيء فلا إفراط وزيادة عن الحد ولا تفريط وإهمال أو إغفال الشيء مطلقا.

ومبدأ التوسط هذا من المبادئ ذات الانعكاسات النفسية والتربوية الجيدة، لذلك يقول تعالى: ﴿ وَحَذِّكْهُمْ لَعَلَّهُمْ أَتَمَّةٌ ﴾ (سورة البقرة ١٤٣).

فالطفل إذا تربى على القسوة والعنف والشدة الزائدة والجزر والصد والحرمان، شب طفلاً مريضاً، وإن تربى على أساس من التكليل المفرط واللع وتترك

الحبل على الغارب والحرية المطلقة والاشباع الكامل لكل طلباته شب مريضاً أيضاً عاجزاً عن تحمل صعوبات الحياة وشدائدھا وما تفرضه علينا من حرمان في بعض المواقف.

ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ مَن يَكْفُرُ وَلَا تَبْسُطْ لِحُكْمِكَ يَدَ الْمُعَدِّينَ مَلُومًا مَّعْصُومًا ﴾ (سورة الإسراء: ٢٩).

وفي ذلك ابلغ الأثر النفسي والتربوي والاجتماعي، فلا اسراف زائد حتى لا يصاب الإنسان بالإفلاس وضياع ثروته، والتعرض لخطر غوائل الدهر، ولا يبخل فيحصل الى حد الحرمان من متاع الدنيا وطيباتها الحلال. والتوسط والاعتدال في معاملة الاطفال وفي معاملة الناس عامة سبيل الى التمتع بالصحة النفسية والعقلية الجيدة والى حسن العلاقات الاجتماعية، وفيه بعد عن الغلو والشطط والشذوذ، فالإسلام نستورنا الجامع المانع منذ الأزل والى الابد والى قيام الساعة. نستور صالح لكل زمان ومكان وسبيل للصالح والتقوى والورع، وسلامة المجتمع من التصدع والانهيار والانقسام والتمزق.

دور المؤسسات التربوية في مكافحة الجريمة والجنوح

أحمد بن محمد

في هذا البحث المتواضع استعرض نقدي لظاهرة الجريمة وأنواعها وأسبابها والنظريات التي وضعت لتفسيرها وكيف أنها لا ترجع الى عامل واحد بعينه وراثياً كان ام بيئياً وإنما ترجع الى تضافر مجموعة من العوامل الامر الذي يجعل لمؤسساتنا الاجتماعية دوراً في الوقاية منها ومكافحتها على اعتبار ان الجريمة ليست سلوكاً حتمياً او محتوماً ويهتم البحث بإبراز الدور الذي يتعين على مؤسساتنا التربوية في عالمنا العربي للقيام به وقايةً وعلاجاً للجريمة والجنوح.

مفهوم الجريمة :

الجريمة من الناحية القانونية مصطلح قانوني لأنها كل عمل يعاقب عليه القانون او يجرمه أي يعتبره جرماً وموجباً للعقوبة المرتكبه والجريمة أو الجرم *Crime* من الناحية الاجتماعية كل فعل يعود بالضرر على الأفراد او المجتمع، ويعاقب عليه القانون. والجريمة ظاهرة اجتماعية بسبب كثرة انتشارها وبسبب وجودها في وسط جماعة وتنشأ الجريمة عن اسباب متعددة جسمية وعقلية وعصبية ونفسية واجتماعية واقتصادية، فمن العوامل النفسية الاتجاهات والميول والعقد والأمراض النفسية والضعف العقلي. وقد ترجع الجريمة لعوامل وراثية أو داخلية في داخل الفرد، وقد ترتد الى التأثير بالبيئة الفاسدة او غير الصالحة، أي ترتد الى التعلم والاكتمساب والاحتكاك والتفاعل مع عناصر البيئة الاجتماعية والمادية التي يعيش الفرد في كنفها. وقد تنشأ الجريمة من نقص جسمي او ضعف عقلي او اضطراب انفعالي.

هذا وتختلف الأعمال التي تنال التجريم من مجتمع الى آخر وفي ذات المجتمع من حقبة الى اخرى. فالجريمة ليست مطلقة وقد تغلظ العقوبة على فعل ما في فترة ما

وقد تخفف في حقبة زمنية أخرى كما هو الحال حين غلظت عقوبة الاتجار في المخدرات في التشريع المصري ووصلت إلى حد الإعدام.

أنواع الجرائم :

ويمكن تصنيف الجرائم وفقاً لقانون العقوبات إلى فئات ثلاث هي :

١- المخالفات *Contravention's* وهي أخف ألوان الجرائم كالمخالفات التي توقع على من يخرج عن قواعد المرور في قيادة السيارات أو كمنع الأب طفله الملزم من التعليم الابتدائي.

٢- الجنح *Misdemeanors* وهي جرائم أشد من المخالفات كالضرب الذي لا يفضي إلى عاهة مستديمة.

٣- الجنايات *Felonies* وهي أشدها جميعاً ومنها القتل.

وتتفاوت العقوبات تبعاً لجسامه الجرم فتبدأ بالغرامات المالية *Fines*

وتنتهي بعقوبة الإعدام *Capital Punishment* .

في الشريعة الإسلامية يوجد التعويض والجلد والرجم وقطع العنق.

ويميل التعريف الاجتماعي للجريمة إلى اعتبارها سلوك ينتهك مرتكبه القواعد الأخلاقية، التي وضعت لها الجماعة جزاءات أو عقوبات ذات طابع رسمي. وتحدد الدولة، في أية حقبة من حقبة الزمن مجموعة الأفعال التي تعتبرها جرائم موجبة لتوقيع العقوبة على من يرتكبها فالجريمة فعل يحرمه القانون ويمنع ممارسته، ويعاقب عليه.

السلوك المضاد للمجتمع غير الجريمة :

ولا يشمل القانون الجنائي - في معظم الجنايات - جميع الأفعال أو الأتمساط السلوكية المضادة للمجتمع وللقيم والمثل العليا والمعايير الخلقية، ومن ثم لا تدخل ضمن قائمة الجرائم أو الأفعال المؤثمة قانوناً. على الرغم مما لها من آثار ضارة بحياة المجتمع وأفراده فالتقانون الوضعي لا يعاقب على الرياء أو النفاق أو المداينة أو الكذب أو عدم الوفاء أو الولاء أو الانتماء أو الإخلاص أو الصدق.. الخ.

جرائم أرباب اللياقات البيضاء :

ولقد اشار سذرلاند *Suthorland. E* في كتابه جرائم ارباب اللياقات البيضاء الى بعض الأعمال التي يمارسها كبار رجال الصناعة والتجارة واعتبرها صورا من صور الانحراف الاجتماعي ولذلك بلجا بعض علماء الاجرلم *Criminology* الى توسيع مفهوم الجريمة لتشمل السلوك المضاد للأخلاق وللمجتمع، وإن كانت لا تدخل ضمن الجرائم المعاقب عليها وفقاً لقانون العقوبات.

الجريمة بمعناها الواسع :

وإذا كان لعلماء الاجرلم هذا الاتجاه الشمولي في تحديد مفهوم الجريمة، فإن رجال التربية لابد وأن يكون لهم مفهوم أكثر شمولاً لمعنى الجريمة والجنوح والانحراف ليشمل كل ما يخالف القيم الروحية والخلقية، وأنماط السلوك المرعية والعادات الإيجابية والتقاليد والمثل والاعراف والمعايير المتمثلة في التمسك بأداب الفضيلة والعفة والصدق والولاء والوفاء والعرفان والانتماء والتضحية والإيثار والوفاء والوطنية الصالحة والأمانة والجد والاجتهاد واحترام الغير وحقوقه وحب الملم والسلام والتعاون والاحياء والبر والإحسان وللتواضع.. الخ ذلك لأن التربية هي صانعة الإنسان ولا بد أن يكون نتائجها صالحاً ومثالياً وإيجابياً .. الخ.

الجريمة والشذوذ النفسي :

ولكن الانحراف بالمعنى النفسي *Deviation* لا يتضمن بالضرورة النزعة الإجرامية، ذلك لأن الإجرام والجريمة مصطلحان قانونيان من الناحية السيكولوجية. فالخوف من الظلام أو من المياه الجارية، أو من رؤية الدم، أو الحشرات.. انحراف عن السواء فيما يتعلق بالأشياء التي تثير بطبيعتها الخوف في الأسوياء من الناس، ولكن هذه الانحرافات لا تشكل جريمة وإن كان هذا لا يمنع من وجود أناس لديهم نزعات قوية *Strong Tendencies* نحو ارتكاب الجريمة أو السلوك المضاد

للمجتمع *Antisocial Behavior* ولكننا نشك مع كثير من العلماء في ارجاع الجريمة الى العوامل الوراثية او النزعات الموروثة وحدها او في أن هناك نمطاً مسن للناس يمكن وصفه بالنمط الإجرامي *Criminal type* او النمط المنحط *Degenerate type* ذلك لأن هناك تفاعلاً قوياً جداً يحدث بين ما يرثه الفرد من استعدادات عامة وبين عوامل البيئة الاجتماعية والمادية ومتغيراتها، ولما يحصل سلوك معين نتيجة لعوامل واحد بعينه.

فالجريمة تتضمن تعدياً على الحقوق العامة او خرقاً للواجبات نحو الدولة أو نحو المجتمع. وهذا ما لا يوجد في المرض النفسي ومعروف ان أقصى العقوبات هي عقوبة الاعدام التي يخلف الان حولها العلماء من مؤيد ومعارض .

ويمكن تمييز العديد من الجرائم منها الجرائم ضد النفس او ضد الممتلكات او ضد الدولة وسيادتها. وهناك الجريمة المستمرة التي يستمر او يدوم وقوعها كجريمة حمل السلاح دون ترخيص. وهناك ما يعرف باسم الجرائم التقريبية او أشباه الجرائم *Guasi Crimes* وتشمل الأفعال التي تقع بين الجرح والجنايات، فتكون اخطر من الجرح وأقل من الجنايات، من ذلك إهمال الواجب العام أو التقصير فيه أو مخالفة الواجب العام، ومن ذلك أيضاً الأفعال التي يسأل عنها أناس غير أولئك الذين ارتكبوها كما يحدث اذا تناول طفل صغير بندقية والده وأطلق منها عياراً نارياً فأصاب زميلاً له وهنا تقع المسؤولية على الوالد بسبب تركه السلاح سهل التناول بالنسبة لابنه وهو محشو بالرصاص. ولذلك يقال ان مسؤولية التابع تقع على المتبوع. وهناك ما يعرف باسم جرائم مخالفة الطبيعة كالجماع على خلاف الطبيعة السوية كاللواط والسحاق والاتصال الجنسي بين إنسان وحيوان وما الى ذلك من الجرائم الأخلاقية الشاذة. وهناك العديد من الجرائم كالمسقة والغش والتدليس والنصب والاحتيال والسرور والتزوير والسطو على المنازل وحرق المنازل المأهولة بالسكان والاعتداء على العرض والجرائم المنافية للاحتشام والقتل والزنا وتسميم المواشي والإنسان. وهناك جريمة الخيانة العظمى.

ويمكن التمييز بين الجريمة والفعل المدني الخطأ وان كانت الجريمة تتضمن ايضا فعلا خاطئا وخطيرا على حياة الناس او ممتلكاتهم. الجريمة خطأ ضد المجتمع يستوجب ايقاع العقوبة. الخطأ المدني ضد شخص او اشخاص يتطلب علاجه دفع المخطئ تعويضا عما آتاه من اضرار مادية او معنوية للشخص الذي وقع عليه فعل الضرر. ولكن هناك بعض الافعال التي تعتبر اجرامية وفي نفس الوقت تعتبر خطأ مدنيا. من ذلك اصابة شخص ما او اتلاف سيارته *Civil Wrong*.

لأثبات الذنب او الجرم *Guilt* يجب ان تستوثق سلطات التحقيق لا من ان المتهم قد اتى الفعل المنسوب اليه فعلا وحسب، ولكن ايضا قد آتاه بعقلية اجرامية او مؤثمة *a guilty mind* بمعنى وجود القصد او النية لعمل هذا الفعل *Intention* مما يعبر عنه بلغة اركان الجريمة المادية والمعنوية او سبق الاصرار والترصد. وتتدخل العوامل النفسية لا في ارتكاب الجريمة وحسب ولكن ايضا في مدى تقدير المسؤولية الجنائية على مرتكبي الجريمة *Criminal Responsibility* ففي حالة ثبوت جنون المتهم *Insanity*، فانه يعفى من العقوبة.

وجهة النظر الحديثة للمجرم:

تتجه المدارس الحديثة في علم الاجرام وكذا في علم النفس الجنائي الى اعتبار المجرم مريضا ومعاملته ومعالجته على هذا النحو، مع التركيز على وظيفة المؤسسات العقابية كالسجون والاصلاحيات *Prisons and Reformatories* في الاصلاح والتأهيل والتأهيل واعادة التأهيل والتدريب لامكان اعادة المجرم الى حظيرة السواء والانتخراط الايجابي في المجتمع مرة ثانية لتأدية دوره فيه ولاتقاء شره.

وهناك من ينظر للسلوك المضاد للمجتمع *Antisocial Behavior* على انه اضطراب عقلي يستوجب المعالجة الطبيعية والنفسية. ولكن الحقيقة ان هناك كثيرا من المجرمين الذين لا يعانون من اية اضطرابات او اعراض المرض العقلي كالخطأ في ادراك الزمان او المكان او غير ذلك من مظاهر السلوك المرضي *Pathological*

behavior فليس جميع المجرمين مرضى عقليين، وان كان هذا لا يمنع من ضرورة توفر عامل نفسي في كل جريمة يكمن بين دوافعها المختلفة.

الشخصية المضادة للمجتمع:

ولقد كان يطلق في الماضي على الشخصية المضادة للمجتمع او الشخصية السيكوباتية العته الخلقي *Moral Insanity* على اعتبار ان العطب لا يصيب- في هذا الاضطراب- الوظائف او القوى العقلية والادراكية، وانما ينصب على الجانب الخلقي او على ضمير الفرد. وذلك يمتاز الشخص السيكوباتي بانعدام الضمير، وعدم الشعور بالذنب او اللوم او الخجل، وبالبلادة العاطفية او الجمود العاطفي، وبالرغبة في الاستغلال والابتزاز والاستحواذ والانتقام. ويميل السى للكنب، والاذى، والعنوان، والمراوغة... الخ.

ويتجه بعض الباحثين في الوقت الحاضر الى استخدام اصطلاح الشخصية السيكوباتية *Sociopathy* بدلا من مصطلح الشخصية السيكوباتية *Psychopathy* اشارة الى ان الاضطراب في جوهره اضطراب اجتماعي اكثر من كونه نفسيا.

سمات الشخصية المضادة للمجتمع:

في معرض السعي وراء علاج هذه الشخصية او الوقاية من الاصابة بها، لا بد وان نحس سماتها ونتعرف على خصائصها، بغية التعرف عليها في وقت مبكر يسمح بعلاجها، او الوقاية من الاصابة بهذا الاضطرابات. صاحب هذه الشخصية لا يفهم القوانين الأخلاقية ولا يعيها، *Ethical Codes* وكأنها وضعت لغيره من الناس، فلا تنطبق عليه، ومع ذلك نراه يتظاهر بتمتعه بالأخلاق الرفيعة. ولكنه في الحقيقة مجرد ممثل يمثل الادوار دون عاطفة صادقة. كذلك يفتقر الى الشعور بالقلق او الشعور بالذنب *Anxiety and guilt* فهو لا يشعر بالاحترام لمشاعر الآخرين او راحتهم او سعادتهم او حقوقهم. وفي الغالب ما يخرق القانون دون النظر الى ما يترتب على ذلك من نتائج *Consequences* ويهتم بالذلة الآتية العاجلة، وليس له اهداف

طويلة الامد، فهو يعيش للحظته وتوه ولا يستطيع ان يتحمل المسؤولية ولا يركز طويلا على الاعمال، ولذلك نراه يغير عمله بين الحين والآخر.

ومع ذلك يبدو ظاهريا، بانه انسان جذاب ومحب للفكاهة. يفهم مواطن القسوة والضعف في الآخرين، كما يفهم حاجاتهم ويستغل كل ذلك لمصلحته الذاتية، فهو أناني، او متمركز حول ذاته. فإذا كان تاجرا لجأ الى الغش وغيره من الوسائل غير المشروعة لتحقيق الكسب السريع. وإذا كان موظفا لجأ الى الرشوة والاختلاس والاهمال.

ويبدأ السوياتي بالصراع مع السلطة منذ طفولته الاولى، ذلك الصدام الذي يبدأ بالتمرد على السلطة الوالدية والمدرسية او التعليمية. ولذلك فالمؤسسات التعليمية تعاني كثيرا من هذه النوعية من الطلاب في خرق النظام والاعتداء على الغير، والهروب، والكذب، والغش، والتمرد والمصيان، واهمال الواجبات المدرسية. وقد يصل الامر الى تكوين العصابات. وإذا لم يجد السوياتي العلاج الناجح شب على الاجرام في مرحلة الشباب والرشد. ولذلك تكثر حالات التأخر الدراسي بين هؤلاء الاطفال والمراهقين. ليس لهذا النوع صداقات حميمة فهو يقيم الصداقة بسرعة ويقطعها بسرعة ايضا. ولا يتعامل مع احد بتعاطف او تواجد او تواصل حقيقي، ولكنه سطحي الانفعال والعولطف مادي النزعة.

معايير ومحكات الشخصية المضادة للمجتمع:

- ولقد وضع كايكلي *Cleckly'H* معيارا لتحديد الشخصية المضادة جاء فيه:
١. يتمتع السوياتي بالجانزية السطحية، ويزيد مستوى ذكاته عن المتوسط.
 ٢. لا توجد لديه اعراض الذهانات العقلية أي الأمراض العقلية كالفصام مثلا، وكذلك لا يعاني من القلق المرضي، بل انه يبدو مستريحا في المواقف التي تثير قلق الأسوياء من الناس.
 ٣. لا يوجد لديه شعور بالمسؤولية تجاه الاشياء البسيطة او الخطيرة على حد سواء.

٤. لا يعاني من الشعور بالعار او الخجل.
 ٥. لا يقول الصدق ولا يهتم عند اكتشاف كذبه، بل انه يفضل الكذب حتى عندما يكون قول الصدق في صالحه.
 ٦. ممارسة السلوك المضاد للمجتمع دون الشعور بالأسى أو الأسف أو الندم.
 ٧. فقر في أحكامه العقلية، وعجز تام عن الاستفادة من خبراته السابقة بما في ذلك العقاب.
 ٨. قفر في الاستبصار او الفهم الاصيل.
 ٩. حب الأشياء التافهة، وعدم الولاء او الإخلاص، وفقر في اعطاء او استقبال الحب.
 ١٠. لا يستجيب كثيرا للاعتبار والعطف تجاه الآخرين.
 ١١. لا يوجد في تاريخه محاولات جادة للتآحر.
 ١٢. فشل في الحياة المنظمة والمخططة.
 ١٣. تظهر هذه السمات فيما قبل من العشرين وقد تزول بعد الثلاثين من العمر.
- ويستطيع المعلم ان يجري دراسة بسيطة يستخدم فيها مقياسا يتضمن هذه المواد للتعرف على الاطفال المصابين في فصله.
- اذا كانت هذه هي بعض سمات الشخص المضاد للمجتمع فمن الأهمية بمكان ان نتعرف على العوامل السببية المؤدية الى تكوين مثل هذه الشخصية. وذلك بغية تحاشي هذه العوامل كإجراء وقائي من الإصابة بهذا الاضطراب. وسوف نتناول، فيما بعد، الدور الذي يمكن ان تقوم به مؤسساتنا التربوية في الوقاية والعلاج من هذا النمط الشاذ من السلوك.

أسباب السلوك المضاد للمجتمع:

هناك بعض النظريات التي ترجع السلوك المضاد للمجتمع او الاجرام الى عوامل متعددة يمكن حصرها في العوامل النفسية والعقلية والعصبية والحيوية الكيميائية والغدية والعوامل الاجتماعية والاقتصادية. وتصنف هذه العوامل بارجاع

بعضها الى الوراثة *Heredity* والبعض الاخر الى البيئة التي يعيش الفرد في وسطها *Environment* .

العوامل السببية الوراثية:

معظم الدراسات التجريبية في هذا الميدان اجريت على المجرمين ولم تجر على السسيوباتيين أي المضادين للمجتمع الذين يوجد معظمهم خارج السجون. ومن الجدير بالذكر ان نؤكد ان الوراثة يقصد بها تلك السمات والخصائص او العوامل التي تنتقل من الآباء والاجداد عبر ناقلات الوراثة او الجينات *Genes* الى الذرية او الى الابناء. تلك العوامل التي تترك بصماتها واضحة في سمات او قددرات مثل الذكاء وطول القامة ولون العينين وشكل وتركيب او بناء الجسم حيث يغلب عليها الاثر الوراثي.

اما عن المنهج العلمي الذي درج العلماء في اتباعه لتحديد العوامل المسئولة عن الاجرام فيمكن في تحديد او تثبيت او ضبط عامل الوراثة، كما هو الحال في التوائم العينية *Identical Twins* أي اصحاب الوراثة الواحدة أي نقطة البداية الواحدة. وهي تلك التوائم التي تتكون من انشطار بويضة واحدة مخصبة في رحم المرأة، وتمتاز باتحادها في الجنس وفي كافة السمات والخصائص الوراثية. يتخذ العلماء هؤلاء الاطفال للتحقق من فرض تأثير العوامل البيئية، حيث يعزلون أو يفصلون احد التوائم عن شقيقه في سن مبكرة، ويتم ايداع احدهما مثلا في بيئة غنية ثقافيا ومشبعة، والآخر في بيئة فقيرة تعليميا وثقافيا وغير مشبعة، ثم يقاس سلوك الآخر، فإن وجد فيه اختلاف، كان ذلك دليلا على تأثير عامل البيئة واختلافها من طفل الى الطفل الآخر على اعتبار ان نقطة البداية كانت واحدة.

أما إذا أريد التعرف على تأثير الوراثة، فاننا نتحكم في أو نثبت أو نضبط عامل البيئة، ويتوفر هذا الشرط لدى الاطفال الذين يعيشون في الملاجئ والاصلاحيات والمدارس الداخلية، حيث تتشابه البيئة والمعاملة التي يلقاها الطفل الى حد كبير. فان دل القياس على وجود فروق جوهرية بين الاطفال الذين تربوا - على هذا

النحو- تربية واحدة، كان مرجع ذلك هو الاختلافات الوراثية أو الخلفيات الوراثية التي ينحدر منها الأطفال. وإذا صدق الفرض الوراثي لتشابه السمات، وزاد هذا التشابه، وكذلك السلوك وفقا لدرجة القرابة، حيث يلاحظ أكبر قدر من التشابه بين التوائم العينية، ثم التوائم الأخوية العادية، ثم الأخوة والأخوات ثم بقية الأقارب. من ذلك أيضا دراسة اطفال التبني *Adoptees* الذين تربوا في احضان آباء وأمهات غير الآباء والامهات البيولوجيين، وتمت مقارنة سلوك هؤلاء الاجرامي بسلوك الوالدين البيولوجيين فأيهما يكون السجل الاجرامي اقرب الى الأب البيولوجي أم الى الأم في التبني *Biological And Foster Parents* الأب البيولوجي يمثل التأثير الوراثي والوالد في التبني يمثل التأثيرات او المؤثرات البيئية المكتسبة او المتعلمة عن طريق التفاعل والاختلاط والانخراط والمحاكاة والتقليد، وتوفر النموذج الطيب أو النموذج الاجرامي. ولقد دلت دراسات التبني هذه على انتشار الاجرامية اكثر بين الاقارب البيولوجيين عنها بين الاقارب بالتبني *Biological Genetic Factor Relalines* ولذلك لا يمكن استبعاد العامل الوراثي من العوامل السببية في نشأة الجريمة والانحراف ومما يضيف تأييدا للاتجاه الوراثي في تفسير الجريمة ما وجدوه اخيرا من وجود كروموزوم ذكري إضافي أو أزيد عن العادي المألوف في أرباب جرائم العنف *Ymale Sex Chromosomes in men who men who commit violent Crimes*.

ويوجد هذا الوضع في الأشخاص طوال القامة ($XY Y$) وبعد التعرف على من يحملون هذه الخاصية البيولوجية، تم فحص السجلات الإجرامية لهم مقارنة بنظائرها لدى الأسوياء، فوجدت عندهم أكثر ارتفاعا. ولكن يلقي بظلال من الشك على هذا الافتراض انخفاض ذكاء هؤلاء الناس عن غيرهم من الأسوياء، الأمر الذي قد يدفع الى الافتراض بأن الذكاء عامل سببي وراء الجريمة أكثر من وجود هذا الكروموزوم الإضافي في حد ذاته.

ولكن مهما بلغ من تأكيد العوامل الوراثية، فإننا لا نستطيع ان نهمل او نغفل عوامل البيئة، ذلك لأن القول بالوراثة انما يغفل أيدينا عن مساعدة الناس وعلاجهم

ووقايتهم، ويضطرنا للوقوف مكتوفي الأيدي أمام اضطرابات الفرد، ولكننا لا بد وأن نؤكد، لأسباب علاجية وتربوية ووقائية على العوامل البيئية، لأنها هي العوامل التي نستطيع ان نتدخل فيها فنغيرها أو نبدلها أو نحسنها ونجعلها أكثر إيجابية وأكثر اشباعا وأكثر صحة وسواء. أما الوراثة فإن التدخل فيها ما زال صعبا.

وتلعب بعض العوامل الاجتماعية والنفسية دورا رئيسا في حدوث السلوك المضاد للمجتمع ومن ذلك الظروف الأسرية.

الظروف الأسرية :

تؤدي حالات الطلاق والانفصال ووفاة أحد الوالدين أو كليهما أو السهجر، وتصدع الحياة الأسرية، الى انتشار الجريمة والجنوح. فلقد درس جرير Greer, 15 أثر فقدان الوالدي على الاصابة بالمصائب النفسي أي المرض النفسي وعلى النزعات السيسويائية أي المضادة للمجتمع، ووجد ان هناك ٦٠% من السيسويائيين قد فقدوا أحد الوالدين في الطفولة المبكرة. بينما لم يجد هذه الفئة الا بين ٢٧% من المصابين أي المرضى النفسيين.

ولا شك أن فقدان الطفل لأحد والديه يؤدي الى حدوث اضطراب عاطفي، وصدمة عاطفية قوية، تؤثر تأثيرا سيئا على نموه وشخصيته، ما لم يجد العطف البديل، وليس من الضروري ان يفقد الطفل الوالدين أو أحدهما، وإنما يكفي حرمانه من الحب والعطف والحنان، ومعاناته من النبذ والطرْد، وعدم القبول، حتى في حياة الوالدين. ودير بالملاحظة ان هناك كثيرا من حالات التصدع الأسري الحقيقي دون وجود انفصال او طلاق على المستوى الرسمي. حيث يسود الشجار والنقار والعناد والخصام والعدوان وما الى ذلك. ولا شك ان الطفل الحساس لمثل هذا الجو منذ سنواته الأولى، وكذلك حالات الصراع على السلطة في الأسرة وغير ذلك مما يسبب حرمان الطفل من العطف الوالدي *Parental Affection* .

كذلك من الأخطاء التربوية الشائعة عدم الثبات على نظام تَأديبي واحد *Inconsistent Discipline* حيث يتعرض الطفل للتذبذب بين التسوية المفرطة

والتدليل المفرط. كذلك فقدان القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يحتذى به الطفل ويقلده *Proper model* ولقد وجد أن آباء السبويباتيين كانوا هم أصلاً أيضاً سبويباتيين أي ارباب السلوك المضاد للمجتمع وللقانون.

الحاجة الى إجراء دراسات عربية تتبعية على الجريمة :

والحقيقة اننا في مجتمعنا العربي في حاجة ماسة الى إجراء الدراسات الميدانية التتبعية *Follow-up Studies* لتتبع الأطفال الذين تظهر عليهم علامات الانحراف منذ الصغر، ومعرفة ماذا سوف يحدث لهم في مرحلتى الشباب والرشد. من ذلك دراسة الأطفال الذين يحالون الى عيادات الطب النفسى، وتتبعهم فيما بعد، وحفظ البيانات الضرورية عن كل طفل بما فى ذلك نشاطه المدرسى، وتاريخه المرضى، وتاريخ أسرته المرضى. فلقد لوحظ على السبويباتيين انهم كانوا في طفولتهم متشردين *Truants* وغير ذلك من مظاهر الانحراف كالتأخر الدراسى. ومع ذلك هناك أناس شبوا في أسر سيئة، ولم يظهر عليهم أية علامة من علامات الانحراف. الأمر الذي يقطع بعنم الاعتماد على عامل واحد بعينه.

العوامل الثقافية والاجتماعية :

علاوة على العوامل الوراثية او الاستعدادية او الجبلية *Constitutional Factors* وظروف الأسرة، هناك عوامل ثقافية واجتماعية *Socio-Cultural Factors* حيث لوحظ ان الأفراد الذين يعيشون في الاحياء الشعبية المتكدية المستوى *Slums* الاجتماعى والتعليمى والثقافى والاقتصادى يتعرضون لمعايير اجتماعية مختلفة، فلقد يوجد الفرد في بيئة تقبل السرقة من الموائى او من السفن مثلاً، على اعتبار ذلك من المال العام الذي يعتقد الحرامى انه شريك فيه، كما فسر للباحث ذلك احد الصببىة الذين ضبطوا في جرائم سرقة متكررة من أحد الموائى. وكذلك يتعرض مثل هؤلاء الأطفال لآقران السوء أو الرفقة السيئة بما لهم من معايير مختلفة

Peer models مثل هذه الظروف الثقافية السيئة قد تؤثر في أولئك الذين يوجد لديهم الاستعداد لصالة للانحراف.

تغير نظرة المجتمع للمجرم والجريمة :

هذه نظرة عابرة لأسباب الجريمة والجنوح فلقد تراوح تفسير الجريمة بين الأساطير والخرافات حين اعتقد الإنسان الأول ان المجرم قد مسه أو تلبست جسده الأرواح الشريرة *Possessed by evil spirits* .

ولذلك فرض المجتمع البدائي العقاب على المجرم لاجراج الأرواح الشريرة من جسده. ولقد تغيرت نظرة المجتمع للجريمة والمجرمين كان الاتجاه السائد في المجتمع قديما هو الانتقام من المجرم *Revengeful Attitude* والقصاص (العين بالعين والسن بالسن) *A tooth for a tooth and an eye for an eye* .

ثم اعتق المجتمع عقيدة مؤداها ان المجرم مولود وراثيا Born كما ذهب الى ذلك أنصار المدرسة الوضعية الإيطالية التي يمثلها الطبيب الإيطالي لامبروزو الذي ذهب الى القول بأن الإجرام صفة وراثية او انه موروث وأن للمجرمين صفات جسدية تميزهم عن غير المجرمين، وأن لهم صفات يثقل عليها البداوة والانحطاط. ولذلك لم يكن في المستطاع، وفقا لهذه النظرية الوضعية، عمل أي شئ في سبيل تاهيل المجرمين *Rehabilitation* او اعادة تأهيلهم وعودتهم الى حالة السواء ونتج عن ذلك عزل المجرمين بعيدا عن المجتمع والاحتفاظ بهم في السجون انقاء لشهرهم وحتى لا يحدثوا مزيدا من الدمار والضرر للمجتمع.

وفي السجون كان السجناء يعاملون معاملة أسوأ من معاملة الحيوانات، ولم يوجه المجتمع اليهم أي اهتمام. وكانت العقوبة هي المانع أو العائق *Deterrent* للجريمة. وكانت الفكرة ان العقاب لن يمنع المجرم من معاودة الإجرام مرة ثانية وحسب، وإنما يمنع غيره من التفكير في ارتكاب السلوك الإجرامي في المستقبل. وهنا تكمن الحكمة من توقيع عقوبات كالجلد والاعدام في العلن في الاماكن العامة وأمام حشد من الناس.

وما زانت الشريعة الإسلامية تمتاز بهذه الخاصية الرادعة والعنلية لوقف نشي
الجريمة في ربوع المجتمع الإسلامي.

ربحصول الحرب العالمية الثانية وظهور منظمات كهيئة الامم المتحدة، اعتنق
المجتمع العالمي اتجاها علميا حيال ما يرتكب فيه من جرائم. ولا شك اننا في عالمنا
العربي نعتنق هذه النظرة العلمية للجريمة وسبل مكافحتها، وتستخدم لجهزة الامن
وللبحث الجنائي ومؤسسات العقاب والاصلاح كثيرا من نظريات العلم وتوجهاته،
وان كنا ما زلنا في البدايه. كذلك اسهم علم النفس الحديث في الكشف عن كثير من
جوانب السلوك الإنساني، ومعرفة خصائصه وأنواعه ودوافعه الفطرية والمكتسبة،
والشعورية واللاشعورية، والشاذة والسوية. ووضع ايدينا على تأثير كثير من
العوامل كالجهاز الغدي والعصبي في الإنسان وما يترتب عن اختلالهما من آثار.

الدعوة لتطوير المنظمات العقابية والاصلاحية في المجتمع العربي :

والمأمول ان تحتوي السجون العربية على أخصائي نفسي وأخصائي في
الطب العقلي الى جانب الطبيب البشري والواعظ أو رجل الدين والاصحابي الاجتماعي
وأخصائي في التدريب المهني ومدرسة لمحو الامية، والحساق المزراع والمصانع
الصغيرة بالسجون. ولقد ظهر من يدعو الى استخدام السجون المفتوحة. ويمكن
استخدام العلاج الجماعي والتأمل الترنسندنثالي *Transcendental Meditation* وما
يعرف باسم العلاج السلوكي، ذلك العلاج الذي يعتمد على مبادئ عمليات التعلم
الشرطي، والذي يؤسس على الاعتقاد بأن الجريمة وكافة مظاهر المرض، ان هي الا
استجابات متعلمة او مكتسبة، ومن ثم يمكن إزالتها عن طريقة عملية اخرى هي محو
التعلم، وذلك باستخدام مبادئ تعليمية كالتعزيز السلبي او الايجابي، حيث تكف عن
تعزيز السلوك الخاطئ، وتدعم او تعزز او تكافئ الطفل على السلوك الإيجابي. وبذلك
يتكون عن طريق الاقتران او الارتباط الشرطي، رباط بين المثير الجديد والاستجابة
الجديدة المرغوبة.

هذه صورة عابرة عن الجريمة والجنوح، ومن خلالها، نرى ان السلوك الاجرامي متعدد الاسباب، وان من بين هذه الاسباب اسباب بيئية وان السلوك الاجرامي ليس سلوكا حتميا، ومن هنا يمكن ان تدخل مؤسساتنا التربوية لتكفي بدلوها في مكافحة الجريمة والانحراف.

دور المؤسسات التربوية في مكافحة الجريمة والانحراف :

نستطيع ان نوجز الدور الذي يمكن ان تقوم به مؤسساتنا التربوية في مكافحة الجريمة والانحراف، وخاصة جرائم العنف والتعصب والتطرف وبنوع خاص جرائم الصغار *Delinquents* والشباب بحكم احتكاكها وتعاملها مع هذه الفئات العمرية وان كنا لا ننكر إمكان انتقال تأثير المدرسة الايجابي الى المجتمع كله وللأسرة لأنها بمثابة المشعل الثقافي الذي يضيئ المنطقة المحلية برمتها

١ - لما كانت المدرسة مؤسسة علمية او تعليمية، فإننا نتوقع ان تنتهج المنهج العلمي عند تصديدها لعلاج حالات الانحراف او الاجرام التي تظهر بين طلابها، فتتعرف على طبيعة المشكلة او السلوك المشكل وتحدده تحديدا دقيقا، ثم تجرى بحثا حول ظروف الحدث الأسرية والاجتماعية والاقتصادية وتقيس ما لديه من ذكاء وقدرات وتتعرف عما اذا كان يعاني من الأمراض النفسية او العقلية باستخدام الاختبارات والمقاييس المقننة على امثاله من البيئسة العربية. وبعد التعرف على الاسباب تشرع في العلاج، عن طريق ما لديها من الأخصائيين الاجتماعيين او النفسيين ورجال الإدارة المدرسية والمعلمين.

٢ - وتتبنى العقيدة في قدرة المدرسة العربية الحديثة على الاسهام في مكافحة الجريمة والوقاية منها من الاعتقاد بأن المدرسة مؤسسة لاجتماعية في المحل الاول أسسها المجتمع لتحقيق اهدافه، والتي هي ولا شك أهداف مشروعة، وواجبية، وتحقيق رسالته في حقبة معينة من الزمن، وعلى ذلك فانها مطالبة بالتعرف على أهداف المجتمع وغاياته وعلى المشكلات والتحديات التي تواجهه، وسوف تجد ولا شك من بينها مشكلات تنال من عضد الشباب والأجيال الصاعدة

في مجتمعنا العربي. من ذلك العنف والجريمة والانحراف والتطرف والتعصب والمخدرات والإيمان والتأخر الدراسي وعدم الانتماء وما إلى ذلك. على المدرسة أو الجامعة أن تسهم في حل مشاكل المجتمع ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تعترض سبيله.

٣- ولا شك أن المؤسسة التربوية الحديثة تترك تمام الإدراك أن رسالتها هي الأعداد للحياة السوية والانخراط الإيجابي والفعال في معترك الحياة الاجتماعية وليست مهمتها قاصرة على تزويد طلابها بالحقائق والنظريات العلمية مجردة أو بعيدة عن تطبيقاتها الواقعية، وعن الاستخدام الأمثل للمعارف العلمية في حل مشاكل المجتمع والنهوض به قدما إلى الامام في معترك الحياة العصرية.

٤- للمدرسة دور فاعل في حياة الناس، لأنها صانعة الأجيال أو لأنها المؤسسة التي يعدد إليها المجتمع " بصناعة " المواطن الصالح وصقله وتشكيله وإبراز خصال الفطرة السوية فيه، وتحويله إلى قوة خلاقة ومبدعة ومنتجة وفاعلة، وإيجابية وقادرة على دفع عجلة التقدم إلى الامام باستمرار وعلى الدفاع عن الوطن كلما نادى أبناءه.

٥- تسعى المؤسسة التربوية العربية في الوقت الحاضر لتقليل نسبة الفشل الدراسي وترك المدرسة، لأن البديل لها، في معظم الأحيان، هو شلل العصابات أو أقران السوء. ويمكن لها معالجة حالات الفشل الدراسي بمزيد من الصبر والتأني وإعطاء دروس التقوية لضعاف التلاميذ.

٦- المؤسسة التعليمية، على اختلاف مستوياتها، بحكم كونها مركزا للاشعاع الثقافي والاستشارة الفكرية، يمكن أن تعقد بين جنباتها الندوات والمؤتمرات والمناظرات والمحاضرات التي تناقش فيها مشاكل الجريمة والانحراف بقصد التوعية الوطنية وتحاشي التورط في برائن الجريمة.

٧ - إذا كان الفرد قد يرتكب الجريمة في حالة احساسه بالظلم وعجزه عن دفعه عن نفسه، فان المؤسسة التربوية مطالبة بإحساس أبنائها بالمعاملة العادلة والمساواة والإنصاف والحق واعطاء كل ذي حق حقه.. الخ.

٨ - إذا كنا نشكو من ضعف الشعور بالانتماء الإسلامي والوطني في بعض الحالات، فان المؤسسة التربوية مطالبة بأن تغذي الشعور بالانتماء وتزكي روح الوطنية والتضحية والفداء في نفوس أبنائها، وغرس مشاعر الاعتزاز بالتاريخ الوطني والبطولات الإسلامية وسرد السير واستخلاص العبر من سفر تاريخنا الخالد وما فيه من انتصارات باهرة والإشارة الى واقعنا الحالي بصورة إيجابية تركز فيها على الإيجابيات وما تحرز به المجتمعات العربية، على امتدادها من الانتصار أو الاستقلال وبسط السيادة على أراضيها، وقيام النهضة العلمية والعمرائية والإصلاحية، ودخول عالم الصناعات الثقيلة، وتنقل التكنولوجيا واستيعابها وتقدم العقل العربي وانتصاره في مختلف المجالات.

٩ - نشر الوعي الأمني والقانوني بتدريس المبادئ العامة للقانون بغية فهم روح القانون واحترامه.

١٠ - توفير الأنشطة الإيجابية البديلة والنافعة والتي تمتص طاقة الطلاب عن طريق النشاط العلمي والثقافي والكشفي والجولة، وعقد المسابقات الثقافية والجمالية بين الطلاب وتوفير فرص الأنشطة التطوعية أمام الطلاب للقيام بالمشروعات المحلية كتطهير البيئة مثلا أو محور الامية وجمع التبرعات وغير ذلك من الأنشطة التي تمثل التسامي والاعلاء *Sublimation* بغرائز الإنسان ودوافعه البدائية وتحويل طاقته الى القنوات الشرعية التي تبني جسمه وتصلق عقله وتهذب وجدانه وتنمي روحه الوطنية وتزيد من الالتحام بينه وبين المجتمع.

١١ - استضافة كبار المتخصصين في المنطقة من رجال الامن للتحدث الى الطلاب عن دورهم في مكافحة الجريمة وعوائدها الوخيمة بالنسبة لمن يرتكبها، وكذلك دعوة رجال القضاء لالتقاء المحاضرات على الطلاب من مأل الجريمة وظروفها في المجتمع.

- ١٢ - التوسع في مشروعات نافذة مثل " اصدقاء الشرطة " واشراك اعداد كبيرة من الطلاب في اعمال رجال الشرطة لاكتساب روحهم في المحافظة على الامن.
- ١٣ - حرص المؤسسة التعليمية على تنمية ضمائرا الاطفال لعلم تكوين النزعات السيكوباتية.
- ١٤ - التوسع في زيارة السجون ووحدات رعاية الاحداث لاطلاع الطلاب على ما ينتهي اليه حيال المجرم في السجن لأخذ العظة والعبرة والاستفادة من ذلك فسي حياته المستقبلية.
- ١٥ - عمل اسبوع سنويا لمكافحة الجريمة والاحتراف أو اسبوع الشرطة تساهم فيه المؤسسات الطلابية برجالها وطلابها.
- ١٦ - حث الطلاب على تقديم التبرعات للسجناء واسرهم.
- ١٧ - التركيز على التربية الدينية واستمرارها حتى نهاية المراحل التعليمية لما لها من أثر طيب على سلوك الفرد والجماعة وعلى منع الجريمة والاحتراف وعلى التمتع بالقيم الأخلاقية الاصيلية.
- ١٨ - عرض الافلام التي تتكل بالجريمة والمجرمين وتنفرد منها.
- ١٩ - الاهتمام بالشرطة المدرسية لما تؤدي اليه من صبغة الطالب بروح العسكرية والجدية والالتزام والطاعة واحترام القانون واللوائح وغير ذلك من قيم الرجولة والشهامة.
- ٢٠ - ان مجرد قيام المؤسسات التعليمية بنشر العلم يعد عملا مناهضا لانتشار الجريمة ويؤيد ذلك ان الاحصاءات تشير الى تفشي الاجرام بين الاميين اكثر منه بين المتعلمين.

التنمية النفسية للفرد

التراث الإسلامي حافل بكل معاني التربية النفسية الرشيدة وجميع التكاليف تؤدي إلى تقوية القوى النفسية في المسلم.

إلى جانب المعنى الاجتماعي والسياسي والإيماني للحج، فإن له أثراً نفسياً عظيماً في التقوى والصلاح والورع والخشوع والتوبة والطهر والطمهارة، لقول رسولنا ﷺ: " من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " البخاري ج ١ ص ٢٦٥. هذا فضلاً عما يشعر به المسلم من المساواة والتساوي بينه وبين غيره من المسلمين، سواء كانوا من الأغنياء أو الفقراء. وبذلك تذوب الفوارق بينهم، ويشعرون كأنهم جسد واحد وكيان واحد.

ومن الأساليب التي تحرر الفرد من مشاعر الإثم والذنب ولوم الذات التوبة والاستغفار والدعاء إلى الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ اٰحْمَدُوْهُۥۙ اَسْتَجِبْ لِحُجُوْمِۙہٗۙ اِنْ طَلَبْتُمْۙہٗۙ يَمْتَحِنُوْنَۙہٗۙ مِنْۢ مَّوٰجِئِیۙہٗۙ سَیَحْمَلُوْنَۙہٗۙ حِمْلَهُۥۙ حٰخِرِیۙہٗۙنَۙ وَلِکُلِّۙ نَبِیٍّۙ حَمُوْمَةٌۙ مُّسْتَجَابَةٌۙ ﴿٦٠﴾ (غافر/ ٦٠). ويقول الرسول الكريم: " لكل نبي دعوة يدعو بها وأريد أن اختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة " البخاري ج ٤ ص ٩٨.

والعمل التتموي الصادق سعي موصول من أجل تحقيق الخير العام، والبعد عن الأذى أو الشر والانتقام، وتبديد الطاقة في الإساءة إلى الناس، ولذلك فما أحرانا أن نستمسك بقول نبينا الكريم: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " البخاري ج ١ ص ١١. وبذلك تتركس الجهود نحو عمل الخير والاصلاح والتطوير والتقدم.

ويحمي الإسلام أصحابه من الردة والتذبذب في الرأي، فمن رسولنا ﷺ: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " مسلم ج ١٢ ص ١٦. حماية لعقيدة المسلم من البدع الفاسدة واستمراراً لاستقامة العقيدة ووحدة الفكر.

وفي تنمية العلاقات الاجتماعية الإنسانية، يقول نبينا الكريم في إجابته على سؤال رجل: أي الإسلام خير؟ قال ﷺ: " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " البخاري ج ١ ص ١١. وليس هناك أبلغ من قول رسولنا الكريم فسي الحث على الإخاء والمودة والمحبة والإيثار والتضحية من أجل إسعاد الغير من هذا الحديث الشريف: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " البخاري ج ١ ص ١٢. فالإسلام يربط إيمان الإنسان بحبه لأخيه، وتمنى الخير والنفع والصلاح والعزة والإخاء.. له كما يتمنى نفسه تماماً. وتلك قمة الشعور بالإيثار. ذلك الإيثار الذي يعد قيمة خلقية من أعظم القيم التي يؤسس عليها العمل التتموي.

وفوق ما للايمان من أثر طيب في سلوك الفرد والجماعة، فإن له حلاوة لا يقدرها ولا يعظمها أية حلاوة أخرى. ومن هنا كان الإيمان من أقوى العناصر التي تجعل المؤمن يتمتع بالصحة العقلية والنفسية وراحة البال واستقرار الضمير والشعور بالرضا والقناعة والزهدة. وإذا ما تحرر الإنسان وخاصة في هذا العصر، من كابوس الامراض والأزمات النفسية والاضطرابات الذهانية، فإنه يصبح قادراً على الانطلاق، بكل طاقاته، نحو الخير والعمل والعطاء والإنتاج والبناء والتشييد.

والمعروف أن الهم والنغم والحزن والنكد وغيرها من الانفعالات السلبية تعوق حركة الإنسان، وتغل يده عن العمل والإنتاج، وتبدد طاقته، ولذلك علينا أن نتأسى في الخلاص منها بدعاء رسولنا الكريم: " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال " البخاري ج ٣ ص ٢٩٧.

وفي فضل رمضان يقول نبينا ﷺ: " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين " مسلم ج ٧ ص ١٨٧. ومن قبيل المحافظة على صحة المسلم وعدم إرهاقه، وكذلك عدم إفساد صيامه تحريم الجماع نهاراً في شهر رمضان^(١).

والصيام مدرسة إنسانية تربي أبناء المسلمين، فالصيام جنة أي ستره ومانع

^١ - مسلم ج ٧ ص ٢٢٤.

عن الرفث والأثام ومانع أيضاً من النار^(١). وفي فضل الصيام يقول الحديث النبوي الشريف: " من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً " مسلم ج ٨ ص ٣٣.

ومن الأمور التي ترفع من معنويات المريض وتزيل عنه الشرور الرقي، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رماه جبريل قال باسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين " مسلم ج ١٤ ص ١٦٩. وعن الرسول ﷺ قوله: " العين حق " مسلم ج ١٤ ص ١٧٠. فالرقي بآيات القرآن وبالأذكار سنة. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يركي الناس ويمسح بيده الكريمة عليهم كما جاء في الحديث للنبوي الشريف عن عائشة رضي الله عنها: " إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً، فلما مرض رسول الله ﷺ وتقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصلح فالنزع يده من يدي ثم قال: اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى قالت: فذهبت انظر فإذا هو قد مضى^(٢) " مسلم ج ١٤ ص ١٨٠.

ومن الأمور التي تحفظ على الإنسان إيمانه، وتمتعه بالصحة النفسية والعقلية الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وذكر الله العظيم اهتداءً بحديث نبينا ﷺ: " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه " مسلم ج ١٧ ص ٢١. ويحفل هذا الحديث النبوي الشريف بالمبادئ الإسلامية والإنسانية الأصيلة في التكافل

^١ - مسلم ج ٨ ص ٢٠.

^٢ - عن عائشة رضي الله عنها.

الاجتماعي، والإخاء، والتعاون، والتماس العلم وطلبه، والاجتماع على تدارس القرآن الكريم وقراءته وتدبر معانيه السامية وغير ذلك مما يرسخ قيم الإيمان في نفس المسلم، وينمي خصاله الحميدة.

والمسلم الفقير يشعر بالرضا لأن جزاءه الجنة كما في قول رسولنا ﷺ: "قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجعد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة ممن دخلها النساء" مسلم ج ١٧ ص ٥٣ . فالفقير لا يسخط ولا يتكبر ولا يتمرد بل يرضى.

وشتان بين هذا النظام الإسلامي الذي يقوم على أساس إشعار الفقير بالرضا والقناعة والمعادة وانتظار الجزاء الأكبر في الآخرة وبين نظام كالنظام الشيوعي الذي يحرض طبقة العمال على أصحاب الأعمال ويثير فيهم الشعور بالكراهية ويدفعهم للثورة للاستيلاء على الحكم عنوة واغتصاباً.

التنمية العلمية :

فالإسلام يشجع أبناءه على التفكير في مخلوقات الله، وفي معجزاته العظيمة، لكي يزداد إيمان المسلم رسوخاً، ولكي يستند اعتقاده في الله تعالى ورسوله الكريم على أسس من العقل، إلى جانب الإيمان القلبي.

فالإسلام لا يخاف من العقل وأعماله، كما كانت تخاف الأديان السابقة منه، بل إن القرآن يلوم الناس على عدم استخدام العقل ﴿إن هر السحابة محمد الله السم البضه الطير لا يعقلون﴾ (الأنفال/ ٢٢). فللعقل دوره في الإسلام في الإيمان، وفي منهج الحياة ونظامها. ومهمة الرسول ﷺ، أن يبلغ، وأن يوضح، وأن ينبه العقل إلى تدبر دلائل الهدى^(١).

فرسالة الإسلام توظف العقل، وتوجهه، وتخطبه، وتوضح له طريق النظر الصائب، ولكن ذلك لا يعني أن العقل هو الحكم على صحة العقيدة أو بطلانها، ذلك

١ - د. عبد الرحمن عمرة، منهج القرآن في تربية الرجال، عكاظ، ١٤٠١ هـ. ص ٢٢، جلد - السعودية.

لأنه قد أنكرك أن قدرات العقل محدودة، ولكنه ملزم بقبول العقيدة ما دامت قد نقلت إليه عن طريقها الصحيح. إن حرية العقل في الإسلام مكفولة، فله أن يعارض في المفهومات البشرية، وأن يقرح الحجة بالحجة، وأن يتأمل في الأدلة والبراهين والشواهد، وأن يجتهد ويؤول الأحداث البشرية والطبيعية.

يهتم القرآن الكريم، الذي هو دستور المسلمين الخالد، بتربية العقل الإنساني، وتمتية قدراته. ومصدر اهتمام الإسلام بعقل الإنسان أنه مناط التكليف، وعليه فهم الشريعة وتطبيقها، وإذا اختل العقل وفقد قواه فقد سقطت التكالييف عن صاحبه. بل إن الإسلام قد حرص على أن يظهر العقل من رواسب الماضي من المعتقدات والتصورات التي لم تقم على يقين، وإنما قامت على مجرد الظن والتقليد.

فالإسلام يحزر المسلم من الظن، ومن الانصياع لمجرد التقاليد القديمة، ومن أهواء النفس، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة / ١٧٠) وقوله تعالى: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ (النجم / ٢٣). ولذلك يصوب القرآن الكريم مفهومات الناس حول الألوهية، والكون، والخلق، والحياة، فيؤكد وحدة الألوهية إنما الله إله واحد (النساء/ ٧٦). وكما في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُوهُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الانبياء/ ٢٢) .

وإذا كانت أساليب التربية الحديثة تعتمد إلى استخدام الحوار أو الطريقة الحوارية في شرح الدروس وإقناع الطلاب، فلقد كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في استخدام هذا المنهج في تربية العقل وتمميته، يقول تعالى: ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَحَادِيثاً يَدْعُلُهَا مَا حَفِظُوا . قَالَ . مَلْ يَمْعُونَهُمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ . أَوْ يَدْعُونَهُمْ أَوْ يَخْرُونَ ؟ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا سَخَلُكَ يَفْعَلُونَ ﴾ قال: ﴿ افترأبهم ما حننهم تعبدون .. ؟ أنتم وأبأؤنهم الأقدمون فإنهم محولي إلا ربه العالمين ﴾ (الشعراء ٧١ - ٧٧) .

وإلى جانب دعوة الإسلام للفرد للتدبر في صنع الله ومخلوقاته في العالم الخارجي، فإنه يدعو للتأمل في نفسه، ليتعرف عليها، ويسدرك أسرارها، وخصائصها، ليزداد إيماناً بخالقه العظيم ﴿ وفي أنفسهم أولاً يفتخرون ﴾

(الذاريات / ٢١) وقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعُونَ لِمَهُ إِنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت / ٥٣).

والمعرفة بالنفس تتضمن معرفة دوافع الإنسان وحاجاته ووظائف أعضائه والتعرف على جسمه، وخلاياه، كما يتعرف على وظائف الإنسان في التفكير والتعلم والتفكير والإدراك والتخيل والتصور والابتكار والتخطيط وما إلى ذلك: ﴿ لا يُدْرِكُ الْإِنْسَانَ مِمَّا خَلَقَ مِنْ مَاءٍ حَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِفِ. أَنَّهُ لَعَلِّي رُجِعُهُ لِقَادِرٍ ﴾ (الطارق / ٥ - ٨).

وحين يتأمل الإنسان في نفسه يقف مشدوهاً أمام هذا الخلق العظيم فيزداد إيماناً. ولا شك أن دعوة الإنسان لإعمال فكره إنما هي في النهاية تدريب لعقله، وتنمية لقواه، وصقل لقدراته. ولذلك إذا أتبعنا تعاليم إسلامنا الحنيف لأمكننا تكوين العقل النامي المتطور، والمستنير والقادر على الفهم والاستيعاب والتأمل والتدبر والتخطيط والمتابعة، وتلك من العمليات التي نحتاج إليها من معاركنا التنموية.

ويجعل الإسلام العلم سبيلاً لخشوع القلوب وخشيتها من الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر / ٢٨).

ويدعو الإسلام للتدبر في الكون، وتوذي التساؤلات التي ترد في القرآن الكريم إلى إثارة دهشة العقل ﴿ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِمَّا حَا وَالْجِبَالَ أَوْتَاجاً ﴾ (النبا / ٦-٧) لكي تثيره نحو التفكير والتأمل.

ومن دواعي الفخر والاعتزاز، أن القرآن الكريم يعرض بعض القضايا على شكل مشكلات تثير ذكاء الإنسان وتفكيره، وبذلك يكون الإسلام قد سبق واحدة من أشهر الطرق الحديثة في التربية، والتي تعتمد على تدريس المواد العلمية على شكل " مشكلات " يفكر فيها الطلاب بأنفسهم. فنسأل الطلاب كيف نشأت الأنهار؟ وكيف تكونت المحيطات؟ وكيف يحدث المطر؟ وما هي فائدة الماء؟ وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأُولَىٰ كَيْفَ خَلَقْنَاهُمْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رَفَعْنَاهُمْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ رَفَعْنَاهُمْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سَوَّيْنَاهُمْ؟ ﴾ (الغاشية / ١٧ - ٢٠).

ويدعو القرآن الكريم المسلمين للتأمل في نواميس الطبيعة، ومظاهر الحياة، ويدعوهم للإصلاح والتغيير إلى الأفضل، ويجعل أساس هذا التغيير تغيير النفوس وما تنطوي عليه من مشاعر ورغبات وميول ودوافع وهواجس وأطماع ﴿إن الله لا يغيرها بقوته حتى يغيرها ما يأنسهم﴾ (الرعد / ١١).

ومن المبادئ الإسلامية الدعوة للعلم وتكريم العلماء. فالإسلام دين يقوم على أساس العلم والإيمان معاً. ومن أعظم أدلة شرف العلم قوله تعالى: ﴿قل رب زدني علماً﴾ (طه / ١١٤). فلم يؤمر الرسول ﷺ بأن يطلب زيادة في المال أو الجاه أو السلطان، وإنما طلب الامتزادة من العلم مما يدل على أنه ليس هناك أكثر قدراً ولا شرفاً من طلب العلم. والمسلم مدعو لطلب العلم ونشره، ولكن ليس أي نوع من العلم، ولكن العلم النافع، وعليه أن يستخدمه في الخير والنفع العام كما في قول الرسول ﷺ " اللهم انفعني بما علمتني. وعلمني ما ينفعني وزدني علماً، والحمد لله على كل حال" ابن ماجه^(١).

وفي تكريم العلماء يقول القرآن الكريم: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر / ٩) كما يقول تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة / ١١). ويقول كذلك: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر / ٢٨).

وفي الهدي النبوي الشريف: " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " متفق عليه. وقول الرسول ﷺ: " لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلط علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها"^(٢) متفق عليه.

ونشر العلم وهداية الناس من أخص رسالة المسلم الحق، لقول رسولنا الكريم لسيدنا علي رضي الله عنه: " فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"^(٣) متفق عليه. وطلب العلم سبيل إلى الجنة كما في قول رسولنا الكريم: " ومن

^١ - الامام النووي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ج ٤ ص ١٧٧.

^٢ - المرجع السابق، ص ١٧٨.

^٣ - المرجع السابق، ص ١٨١.

سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة^(١) مسلم. وقوله ﷺ: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له^(٢) مسلم.

وعن رسولنا الكريم قوله : " الدنيا ملعونة ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا " الترمذي^(٣). وقوله ﷺ : " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " الترمذي^(٤). والمؤمن تواق إلى الخير على طول المدى، كما في قول نبينا ﷺ : " من يشيع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة " الترمذي^(٥) وقوله ﷺ: " إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير " الترمذي^(٦).

فالإسلام يكرم العلم والعلماء، ويدعو لنشره بين الناس، والعلماء هم ورثة الانبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا مالاً ولا جاهاً وإنما ورثوا العلم، ولذلك فإن كتمان العلم وعدم نشره أمر منهى عنه كما في الحديث النبوي الشريف : " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجم من نار " الترمذي^(٧).

وإذا كانت دعواي التنمية في شتى بلدان العالم تقوم على أساس العلم والمنهج العلمي، فقد دعا إسلامنا الحنيف لاكتساب العلم والانتفاع به ونشره قبل أن تعرف كل مدارس التنمية ومذاهبها الحديثة.

العلم، ولا شك، ركيزة قوية من ركائز التنمية، فلا تنمية في ظل الأساليب البدائية أو العفوية أو الارتجالية. وإسلامنا الحنيف، والله الحمد والشكر، يدعونا لاكتساب العلم والمعرفة والخبرة، ويدعونا للتفقه في الدين، ويكرم العلم

١ - المرجع السابق، ص ١٨٢.

٢ - المرجع السابق، ص ١٨٤.

٣ - المرجع السابق، ص ١٨٤.

٤ - المرجع السابق، ص ١٨٥.

٥ - المرجع السابق، ص ١٨٥.

٦ - المرجع السابق، ص ١٨٦.

٧ - المرجع السابق، ص ١٩٠.

والعلماء، ويدعو لاستعمال العقل والتفكير والمنطق والاستدلال والتأمل والتدبير والتبصر والإدراك والفهم والوعي والتعقل والتصور وما إلى ذلك من العمليات العقلية التي يعتمد عليها العلم الحديث والتخطيط الدقيق.

ففي فضل العلم يقول القرآن الكريم: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكمه والذين أتوا العلم حرجاً منه والله بما تعملون خبير ﴾ (المجادلة / ١١). وقوله تعالى على لسان نبيه الكريم : ﴿ قل ربي يحبى علماً ﴾ (طه / ١١٤). وينبغى أن يكون العلم قبل القول وقبل العمل لقوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ (محمد / ١٩). فبدأ بالعلم وذلك حتى لا يقع المرء في الخطأ. " والعلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم من آخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة " والعلم طريق لخشية الله تعالى والإيمان بمعجزات الخلق ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (فاطر / ٢٨) ولقوله تعالى : ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (العنكبوت / ٤٣) ﴿ وقالوا لو نحن نسمع أو نعلم ما كنا نبذى أصحابه السعير ﴾ (الملك / ١٠) وقوله : ﴿ وما يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر / ٩). وقول رسولنا الكريم : " من يرد الله به خيراً يفقهه وإنما العلم بالتعلم .. " وقوله أيضاً : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله " البخاري ج ١ ص ٢٤ .

والعلم سبيل للشعور بالسعادة والاعتباط والعزة والثقة بالنفس ويقول رسولنا الكريم ﷺ : " لا حسد إلا .. الحديث " (١) .

فالإسلام لا يدخر سسنيين لاكتساب العلم وحسب، وإنما يأمرهم بنشره بين الناس، ولتعليم أبناء الأمة الإسلامية. فللعلم والتعليم فضائل كبيرة في الإسلام لقوله ﷺ: " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقهه في دين الله ونفقه ما بعثني الله به فطم

١ - سبق ورود هذا الحديث الشريف في هذا البحث.

وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " البخاري ج ١، ص ٢٦.

بل إن من أشرط الساعة أن يقل العلم ويزداد الجهل. فالعلم سبيل تنوير أذهان الناس، وسبيل رقي المجتمع وتقدمه، والجهل من علامات التأخر والتخلف والجمود والضعف.

ويختلف العلم الذي يدعو إليه الإسلام عن العلم في مفهوم المجتمعات الغربية، فالعلم الإسلامي هو العلم النافع للناس جميعاً والمسخر لخدمة الإنسانية وتقدمها، وركي الحضارة، وليس ذلك العلم الذي يستخدم في الخراب، وتدمير مظاهر الحياة وفي التسلط على مصائر الأمم وفي قتل الأبرياء وسفك الدماء.

والمسلم مدعو لطلب العلم ونقله والتثبت من صحته عند النقل مما يطلق عليه اليوم اصطلاح " الأمانة العلمية " وذلك لقول نبينا : " لا تكتبوا عني ومن كتب عني القرآن فليمحاه وحنثوا عني ولا حرج ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار " مسلم ج ١٨ ص ١٢٩.

ويدعو الإسلام الى توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم وتبجيلهم وتعظيمهم كما في قوله تعالى : ﴿لَهُمْ يَسْتَوِي الْعَالَمِينَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ لَا يُلْمُونَ إِذْ مَا يَتَذَكَّرُونَ أُولَئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الزمر/ ٩). وكما في قول رسولنا الكريم : " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم السنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنأ ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يعقد في بيته على تكريمه إلا بإذنه^(١) " رواه مسلم.

ويربي الإسلام أبنائه على حب النظام والدقة فمن رسول الله ﷺ : " انه كان يأمر الناس في الصلاة أن يستووا ولا يختلفوا فتختلف قلوبهم^(٢) ".

^١ - الامام النووي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج ٢ ص ٢٠٦.

^٢ - المرجع السابق، ص ٢٠٨.

التربية النفسية في الإسلام

تمتاز التربية الإسلامية بعمق اهتمامها بالجانب الروحي والأخلاقي في الإنسان، حيث يحرص إسلامنا الحنيف على تعميق معاني الإيمان القلبي، المقترن بالعمل الصالح والصادق، وعلى تنقية نفسية الإيمان وسريرته من الضغائن والاحقاد والشور والأتام، وحرص قيم الاخلاص والصدق، والتحلي بالنوايا والمقاصد والغايات الحسنة الداخلية والخارجية، مما يكفل تكوين الشخصية الإنسانية السوية من الداخل ومن الاعماق ومن الخارج، وفي ذلك قمة التكامل في بناء الشخصية الإنسانية، ولذلك نجد الإسلام يهتم بالنوايا ويعتمد ان الاعمال بالنيات، حتى تصفو نية الإنسان ويصدق مع الله ومع نفسه ومع نبيه الكريم. ومن مظاهر الشمول في تربية الإسلام وبنائته الحث على تعلم القراءة والاطلاع والبحث والتتقيب والتفقه في الدين، واكتساب العلم، ولكن ليس أي علم، وإنما العلم النافع للناس اجمعين أي العلم المقترن بالقيم الأخلاقية التي تصونه وترشده الى الاستعمال في وجوه السلم لا الحرب او الاذى، ولذلك فان العلم في الإسلام يختلف عن العلم الغربي، حيث يرتبط بالقيم الروحية والأخلاقية والإنسانية. يربي الإسلام أبناءه على اساس من المسؤولية عن كل ما يفعله للفرد ظاهرياً وباطنيًا، ويحاسبه على التقصد أو النية أو الهدف مما يأتي به من لفعال، فالاعمال بالنيات، حتى يحاسب المسلم ضميره وذاته، ويعلم ان الله تعالى مطلع على اسراره وخفاياه ونواياه وما يضمرة في دخليته، ضماناً لحسن السريرة وصفاء ونقاء النفس الإنسانية. وفي القاتون الجنائي يسمى هذا بالقصد الجنائي أو الركن المعنوي من الفعل الموثم، حيث يقول رسول الله ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبتها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر إليه" (صحيح البخاري، ج ١، ص ٦).

وفي علم النفس الحديث، تسمى هذه الحالة التي تأخذ في الحسبان عند الحكم على الفعل الأخلاقي، تسمى بالأخلاق النسبية أي التي يؤخذ فيها في الحسبان نية الفرد وقصده وهدفه الداخلي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

التربية الشمولية في الإسلام:

الإسلام يعنى بتربية الإنسان تربية شمولية متكاملة، تعنى بجسمه وعقله وروحه ونفسه وقيمه ومبادئه وفكره وعقائده وحواسه وجوارحه، لأنه يرى الخير في الإنسان المتكامل، ومن ذلك الحض على القراءات واكتساب العلم والخبرة والمعرفة، والتور بنور العلم والإيمان، وحب القراءة والاطلاع على المعارف والحقائق والخبرات، على أن تكون قراءة مرشدة وواعية، فحينما أتى جبريل عليه السلام في غار حراء وقال للرسول اقرأ فقال له الرسول ما أنا بقارئ ثم أخذ الرسول فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله وقال له اقرأ قال النبي ما أنا بقارئ فيقول الرسول فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني وقال لي اقرأ فقلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني وقال لي اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" (البخاري، ج ١، ص ٦).

عمق الإيمان وشموله في الإسلام:

يحرص الإسلام الحنيف على غرس الإيمان الكامل والشامل والمطلق في حس المسلم ووعيه وعقله ووجدانه وضميره وقلبه، بحيث يملأ كل جوانب حياته، ويشمل على عناصر شخصيته، ويحفظ عليه دينه وخلقه ورضاء ربه، وحسن علاقاته مع الناس، فالإيمان السبيل الأكيد للتمتع بالصحة النفسية والعقلية، والتكيف النفسي. والإيمان يشمل الحياء لقول الرسول ﷺ " الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان" (البخاري، ج ١، ص ١١)

فالإيمان يتضمن السمات والصفات والخصال الحميدة في الإنسان وحسن الخلق والحياء، وكلها سمات أخلاقية إيجابية عظيمة، تؤدي بدورها، لتمتع صاحبها بالتكيف النفسي والصحة النفسية السوية الجيدة. والإيمان يدفع لعمل الخير والصلاح والتقوى والورع والخشوع وعدم إيذاء بني جلدته، فيقول الرسول ﷺ " المسلم من سلم

المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" (البخاري، ج ١، ص ١١). فالتربية الإسلامية تمتاز بالشمول وتحرير المسلم من السلبيات، وفي نفس الوقت حثه وتشجيعه ودفعه الى العمل للخير فالعبرة بالأعمال، ولذلك كان الدين المعاملة، وحسن العلاقات الاجتماعية، والمتأمل في حياتنا المعاصرة يلمس كم نحن في أمس الحاجة الى مثل هذه القيم" سئل النبي ﷺ أي الإسلام خير قال: تطعم الطعام وتقراً السلام على من عرفت ومن لم تعرف" (البخاري، ج ١، ص ١١) وفي دعوة للروح الاجتماعية والتماسك الاجتماعي، والعطف والشفقة والرحمة، ودعوة لتوسع دائرة الفرد الاجتماعية وقرار السلام على من نعرف ومن لا نعرف ضمانا للوحدة الاجتماعية، وبث روح الاخاء، حيث يقول رسول الله ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه" (البخاري، ج ١، ص ١٢) وفي هذا الحديث الشريف ابلغ الأثر للدعوة للاخاء والتعاون والمحبة والمودة والرحمة والتساند والتماسك والتكافل الاجتماعي، وانتشار الحب بين المسلمين، والمشاركة الوجدانية بين أفراد الأسرة الإسلامية، والشعور بالاخاء وبالأخوة بين المسلمين، وفي ذلك نبذ للأنانية والأثرة والفردية، حيث قال رسول الله ﷺ: " فوالله الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون احب اليه من والده وولده والناس أجمعين" (البخاري، ج ١، ص ١٢) حيث يربي الإسلام ابناؤه على حب رسول الله ﷺ والناسي به، والاخذ عنه والاقتداء به، والاهتداء بهديه الكريم، والعمل حسب سنته، وذلك كله على اساس من الحب في رسول الله وحب الله تعالى ذلك الحب للصوفي النقي.

يشعر المسلم بحلاوة الإيمان وبمعناه ومغزاه واثره النفسي الإيجابي والفعال وطعمه وحلاوته في حياته الداخلية والخارجية، وبمعصمه من الزلل والخطايا وللذنوب والآثام، ويوجهه نحو الصلاح والتقوى والرضا حيث قال رسول الله ﷺ: " ثلاث ممن كن فيه وجد حلاوة الإيمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما، وان يحب المرء لا يحبه الا الله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار". (البخاري، ج ١، ص ١٢) وحب الله ورسوله من دعائم الفكر الإيماني الراسخ الذي لا رجعة فيه، تدعيما للثبات العقائدي والانفعالي والعاطفي، وكلها من سمات الشخصية

السوية المتحررة من التردد والتذبذب والردة والعبث، وإنما الاستقرار والثبات على مبادئ الإيمان، تلك التي تعين للانسان طريقه، وتوضح امامه الرؤية، حيث مثل النبي ﷺ عن آية الإيمان " قال آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق كسره الأنصار" (البخاري، ج ١، ص ١٣) تقديراً لنصرة الإسلام والمسلمين ومناصرتهم والوقوف معهم. وكم نحن اليوم في حاجة الى التماسك الإسلامي في كل ربوع الأمة الإسلامية، بعد ان اعتورها التفكك والصراع والتصدع، وبعد ان تعرضت لكثير من التحديات وقول الرسول ﷺ حينما مر على رجل يعظ اخاه في الحياء فقال الرسول دعه فإن الحياء من الإيمان" (البخاري، ج ١، ص ١٣).

ويغرس الإسلام في أبنائه حب العلم وتقديره، واكتساب العلم ونشره بين ابناء الأمة الإسلامية، حيث يقدر الإسلام العلم والعلماء والمعرفة، ويدعو للتفقه، ويدعو الإسلام الى احترام العلماء وتقديرهم وتكبيرهم وإجلالهم. " قال رسول الله ﷺ : العلماء ورثة الانبياء" (البخاري، ج ١، ص ٢٣) فالعلماء هم ورثة الأنبياء وهم اصحاب رسالة وغاية، ولكن العلم في الإسلام هو العلم النافع للناس جميعا العلم الذي يستخدم في الخير والنفعة والبناء والصلاح والاصلاح والتشييد وال عمران. العلم المرشّد تجاه الخير لا الشر ، قال رسول الله ﷺ : " من يرد الله به خيراً يفقهه وإنما العلم بالتعلم" (البخاري، ج ١، ص ٢٤) والعلم مفروض انه ينفع صاحبه، ويفيده، ويعدل من سلوكه، وافعاله وتصرفاته، ويقوّم سلوكه، ثم العلم الذي ينتفع به الناس جميعا وليس ذلك العلم الذي يستخدمه الغرب الآن في التكمير الشامل وهدم حضارة الإنسان ومنجزاته والقضاء على حياته. " قال رسول الله ﷺ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما انا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على امر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر الله" (البخاري، ج ١، ص ٢٤) وهما هي التنازل الذرية والجرثومية والعنقودية وغير ذلك مما افترزه العلم في الغرب واستخدمه الإنسان في الشر والهلاك وقتل أصل الإنسان والقضاء على مظاهر حضارته، لان ذلك العلم فقد التوجيه الاخلاقي والديني والإنساني فأصبح شراً " قال رسول الله ﷺ لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي

بها ويعلمها" (البخاري، ج ١، ص ٢٤) ونشر العلم نوع من الصدقة والاحسان والواجب الديني مثله في ذلك مثل المال او الثروة التي يوجهها صاحبها نحو الخير والنفع وليس المطلوب من المسلم ان يتعلم هو وحسب وانما عليه ان يعلم غيره وان يحول العلم الى سلوك . " قال رسول الله ﷺ دعاء لآحد الصحابة اللهم علمه الكتاب" (البخاري، ج ١، ص ٢٥) والمسلم مدعو لتعلم كتاب الله وتلاوته وفهمه وتدبر معانيه السامية، وان يتخذ منه منهاجا ودمتورا وهاديا ومرشدا لسلكه واعماله وفعاله وإيمانه، وان يستقي من كتاب الله الحكمة وكل المشاعر والأحاسيس والعواطف النبيلة في الخير والحق والجمال والعدل والإنصاف والمساواة والإخاء والتعاون والرحمة والشفقة والتقوى والورع والخضوع والخشوع، ومخافة الله والشعور بالرضا والزهد والتقناعة وحب التعاون وحب العمل وإتقانه.

ويربي الإسلام ابنائه على كثير من القيم الأخلاقية والإنسانية والروحية الرفيعة التي تنفعه وتحميه وترشده، ومن ذلك الاخلاص وتحرير الرياء. وما احوجنا اليوم لمحاربة الرياء والنفاق والمداينة وغير ذلك مما نراه من حملة المناخر وبطانة السوء وحاشية الفساد والتي تحيط ببعض رجال الادارة، والرياء يعنى صاحبه عن رؤية الحقيقة فيصل الطريق كما في قوله تعالى: ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وظلن حين القيمة ﴾ (البينة-٥)

والمسلم مدعو للتخلي بالإخلاص في عبادته لله تعالى، وان يتمتع بالاستقامة والرشد والفلاح والصلاح، وان يؤدي التكليف وقال رسول الله ﷺ " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه"^(١). وذلك حتى يحاسب الإنسان نفسه على ما يضره او ما ينوي او ما يقصد او يهدف اليه حتى تكون نفسيته صافية نقية. ومثل هذا النقاء يدفع للتمتع بالصحة النفسية والعقلية في الإنسان" قال رسول الله ﷺ ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم،

^١ - يحيى بن شرف الدين النووي، كتاب رياض الصالحين- دار القلم، بيروت - لبنان، ص ١١.

ولكن ينظر الى قلوبكم^(١) والإسلام يعنى بالباطن كما يعنى بالظاهر وبالطهارة الداخلية النفسية، والطهارة الخارجية الظاهرية، مما يولد معاني التكامل في الشخصية التي تترى على أسس الإسلام ومبادئه " قال رسول الله ﷺ ان الله كتب الحسنات والسينات ثم بين ذلك في كتابه فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسنة فعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هو هم بها فعملها كتبها الله سئة واحدة^(٢) .

يتربى المسلم على خشية الله تعالى وتقواه وجاءت الآيات القرآنية الكريمة تجمع بين الترهيب والتخويف من عذاب النار وتوعد القاسدين والفسق والأتمين حتى يردعهم العقاب عن عمل المعاصي، وفي نفس الوقت جاءت آيات السرغيب تحث المسلم على رضا الله حبا في التمتع بالجنة ونيل الثواب والجزاء الحسن الطيب وفي ذلك توازن يتفق مع الطبيعة البشرية، ففي الخوف من الله قال تعالى: ﴿ يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة خبي، عطيه يوم ترونها تحمل كل مرخعة بما أرخعت وتضع كل خاطبة حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولعن محاذير الله سبحانه ﴿١﴾ (الحج)

الحياة الدنيا زائلة وما هي الامناسبة لدخول الجنة، وان الساعة آتية لا ريب فيها، والحساب والعقاب في انتظار الإنسان، وليست المسألة فوضى او ضياع عشوائي، وانما هناك يوم القيامة ويوم الحساب وفي ذلك تربية للإنسان على تحمل مسؤولية أعماله وعواقب افعاله وثواب حسناته وعقاب سيئاته وفي ذلك اقرار لمبدأ المسؤولية فهو مبدأ تربوي هادف " خطب رسول الله ﷺ في الناس ذات يوم وقال: لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله وجوههم ولهم خنين^(٣) . الإسلام يربي المسلم على الخوف من ارتكاب الآثام والمعاصي، وعلى خشية الله

^١ - المرجع السابق ، ص: ١٢ .

^٢ - المرجع السابق ، ص: ١٢ .

^٣ - المرجع السابق ، ص: ١٤ . ("والخين" : البكاء مع غتة، وانتشاق الصوت من الأنف).

تعالى، وعلى الإيمان بالآخرة حتى يرشد من سلوكه، ويتعقل في شئونه، ويحرص على ما يرضي الله ويتحاشى ما يغضبه سبحانه وتعالى، وفي نفس الوقت يربى الإسلام أبناءه على التوكل على الله حتى يشعر الإنسان بالأمن والامان والاستقرار، وحتى لا يشعر بالضياع والقفوس، وأنه قد قذف به في خضم من المحيطات، ولكنه يعتمد على الله ويتوكل عليه فيشعر بالأمن والامان النفسي قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعِيِّ السَّيِّئِ لَا يَمُوهُ ﴾ (٥٨ الفرقان).

المسلم يخاف الله الخالق العظيم ويخاف الحساب والعقاب والردع ولذلك يتمسك بالفضائل ويأتي بالחסنات والصدقات والطيبات، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا حُضِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْهُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢ الأنفال) ومن خصائص المسلم ان يتأسى برسولنا العظيم في الدعاء والذكر والإيمان والتقوى والورع والخشوع والاستسلام لله تعالى والطاعة له والإيمان الراسخ به تعالى، ذلك الإيمان الذي يصدق العمل ويوقر في القلب، الإيمان المصحوب بالعمل.

والإسلام دين حضاري راق، يدعو الى اكتساب العلم ونشره وتعليمه والعمل به، ويدعو لاحترام العلماء وتوقيرهم واحترامهم وتقديرهم، فالإسلام دين عقلاني علمي، يدعو للتفكير والتأمل والتدبر والتبصر وحب المعرفة، ولذلك فإن لطالب العلم فضل عظيم، ففي بيان فضل العلم يقول القرآن الكريم: ﴿ قُلْ لِمَ يَكْفُرُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الزمر/٩ وينزل القرآن الكريم العلماء منزلة رفيعة تقديرا للعلماء في الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ أَهْلُوا الْعِلْمِ حُرًّا مِمَّنْ هُمْ أَهْلُوا مِنْهُ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١١ المجادلة)

والعلماء يخشون الله تعالى اكثر من غيرهم من الناس بسبب علمهم وتفقههم في الدين قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ يُخَوِّضُ رَجِيمًا ﴾ (٢٨ فاطر).

وتفقه في الدين سبيل خير الإنسان ونفعه في الدنيا والآخرة، فالعلم منهج الإسلام الى جانب الإيمان، حيث يجمع المسلم بين العلم والإيمان والعمل، قال رسول

الله^١ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين^(١). وفي الدعوة لما يعرف الآن بالأمانة العلمية والصدق والموضوعية والحياد العلمي وتحاشي الكذب والتضليل في العلم، ولذلك جاء الإسلام بأدق المناهج في رواية الحديث وصحة إسناد الأحاديث النبوية الشريفة حفاظا على الحقيقة العلمية او التاريخية^٢ وقال رسول الله ﷺ : بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار^(٢) وفي الدعوة للعلم قال رسول الله ﷺ " من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له طريقا الى الجنة".

سنوات التعليم الأساسي ومستوى نضج الأطفال :

غني عن البيان تأكيد أن لمرحلة الطفولة أهمية كبيرة في حياة الإنسان، وفي مراحل نموه المختلفة.. ففيها توضع البذور او الجذور الأولى لشخصية طفل فيما بعد، وفيها توضع أسس ما سوف يتمتع به الطفل من السواء والتكيف والسعادة، او ما قد يعاني منه من الاضطرابات والأمراض والعلل. في هذه المرحلة تشكل شخصية الطفل وتصلق مواهبه وقدراته واستعداداته وميوله وسمات شخصيته الأخرى، وتترسخ قيمه ومثله ومعاييرها وأنماط السلوك لديه.

ومن هنا كانت أهمية العناية بما يقدم له من تعليم وتدريب وتأهيل واعداد نظامي وإرشاد وتوجيه ونصح وإشراف وإشباع، ذلك لأنه في مرحلة التكوين والتشكيل والنمو، ولأن خبرات الطفولة تنتقل الى المراحل الأخرى، وتؤثر فيها، ولأن طفل اليوم هو رجل الغد، ولذلك يتعين الاهتمام بهذه المرحلة.

وفي هذه الأيام ينور الخلاف حول اعادة العام السادس الى الحلقة الاولى من التعليم الأساسي أو تظل على ما هي عليه مكونة من سنوات خمس فقط.

^١ - المرجع السابق ، ص: ٢٤.

^٢ - المرجع السابق ، ص: ٢٤.

والحقيقة اننا نعيش في عصر ثورات معرفية او انفجار معرفي، اذ تخرج مختبرات العلم ومعامله ومعاقله ومراكز البحث كميات هائلة من المعارف والمعلومات الجديدة، ويزداد النسق المعرفي تطوراً ونمواً وتعقيداً، الامر الذي يصبح معه هناك ضرورة لزيادة سنوات الدراسة ليتمكن الطفل من استيعاب علوم العصر ومعارفه واتجاهاته وتياراته. لقد كانت حياة الإنسان في الماضي بسيطة بدائية سهلة ميسرة، وبالتقدم العلمي والحضاري والتقني تزداد تعقيداً، ويلقي هذا التعقيد باعباء ثقيلة على كاهل إنسان العصر، فما بالنا بالطفل، وهو محدود الخبرة والقدرة؟ حضارة العصر، الحضارة العلمية تنقل ذهن الإنسان الكبير، فمن باب أولى ان نتاح الفرصة أمام الطفل على امتداد زمني معقول لاستيعاب حضارة العصر وهضمها وتمثيلها. بل ان النظم السياسية والاجتماعية تزداد تعقيداً وصعوبة، ولذلك يلزم " للتعايش السلمي " معها ان يهضمها الإنسان وان يحسن فهمها، وخاصة جانبها القيمي والمثل والمعايير والقواعد والأعراف. وفوق كل ذلك اننا في حاجة الى ان يشب أطفالنا مواطنين صالحين، يؤمنون بالله ورسوله وبالوطن والعروبة والإسلام والأمة.. نريد طفلاً منتمياً متكيفاً منتجاً موباً خالياً من الشوائب والسلبيات والتطرف والعنف والرفض والاضطراب والسخط..

ومن هنا لا بد أن يتسع الزمن المخصص امام اطفالنا وامام مؤسساتنا التربوية ومعلمينا كي نغرس في الأطفال القيم السوية والايجابية، وروح المواطنة الصالحة، وتقدير المصلحة العمومية، وتحمل المسؤولية. ولابد، في ضوء هذا الطموح التربوي، ان يصل الطفل الى مستوى من النضج الجسمي والعقلي والعقلي والنفسي والاجتماعي والفكري والروحي والخلقي بما يمكنه من هضم ما نريد ان يهضمه من العلوم الاساسية والمعارف والحقائق والخبرات. وان نغرس فيه قيم الوطنية والصدق والامانة والتضحية والقداء، وذلك دون قهر او قسر او إكراه ودون تكديس المواد العلمية بما يفوق قدرته على الاستيعاب والهضم وان توفر له الفترة التي تمكنه من انجاز ما نريد أن ينجزه وما يتفق مع ظروف العصر وظروف مجتمعنا الطامح الى

الازدهار والتقدم والرفعي والرفعة والقوة والمنعمة والتحرر من التبعية، والقدرة على التصدي لتحديات العصر.

ان تقليل سنوات التعليم ينتج عنها اما اضطرارنا الى خفض او تقليل الموارد العلمية والاتجاهات العقلية التي نسعى لتأكيدھا في عقل الطفل وحسه ووجدانه وضميره ومشاعره، وفي ذلك خال في محتوى التعليم أو فحواه، واما أن نكدس هذه المعلومات وتلك الحقائق ونكثفها ونطلب من الطفل مضاعفة الجهد والطاقة لاستيعابها في مدى زمني قصير.

وفي هذه الحالة، اذا كلننا الطفل بما لا طاقة له به، فانه من ناحية يكره المدرسة والدراسة، ويعزف عنها ويكون اتجاهاً سالباً نحوھا، وقد يهرب او يتسرب او يفشل. ومن ناحية اخرى - واعني من الناحية الداخلية الذاتية - فانه يشعر بالنقص والدونية ويفقد شعوره بالثقة في نفسه، ويشعر دائماً بأنه يلهث أنفاسه كي يلاحق متطلبات المنهج المتزايدة، فنكون أمام تعليم مبتسور من ناحية وضار من ناحية الصحة النفسية والعقلية لأطفالنا.. مثل هذا التعليم يخرج لنا أناساً يفقدون الى الإجابة والرؤية والإثقان والى الشعور بالثقة في الذات.

ويمثل التراث السيكولوجي والتربوي بالتجارب والدراسات التي تؤكد ضرورة مواكبة ما نطلبه من الطفل مع مستواه في النضج، بحيث لا تعجل للنمو ولا نهملسه، ونتركه دون أن يتلقى الطفل التعليم المناسب، كمأ وكيفاً، في الوقت المناسب، وفي اطار مستوى ما وصل اليه الطفل من النضوج الفكري والعقلي والاجتماعي والنفسي والجسمي.. فاذا ما تعجلنا النمو وفرضنا على الطفل فرضاً وقهراً أداء واجبات فوق قدراته، فان النمو ينحرف عنده عن مساره الطبيعي ويعاق. وبسط مثال لذلك تدريب الطفل الصغير على المشي والسير منتصب القامة قبل أن تكتمل عضلات الساقين وعظامهما. فإذا حدث ذلك اصيب الطفل بتقوس وتشوه في عظام الساقين، وشعر الطفل بالنقص والدونية. وبالمثل لا نترك الفرصة تفوت ونهمل

أو نترأخى في اعطاء الواجبات التعليمية لأطفالنا في الوقت المناسب وقبل فوات الأوان.. فلكل مقام مقال ولا يكلف الله نفساً الا وسعها.

في ضوء ذلك تصبح عودة السنة السادسة مطلباً علمياً وتربوياً ووطنياً.. وان كانت مدة الدراسة تمتث عنصرأ واحداً من عناصر التعليم الجديد، ولذلك نفترض في ضوء هذه الزيادة في الحلقة لاولى من التعليم الاساسي ان تزداد جميع عناصر العملية التعليمية جودة واتقاناً وحسناً من حيث اعداد المعلم ورفع مستواه المادي والعلمي والمهني والخلفي وتعميق الادارة التربوية الديمقراطية، وتوفير الكتاب الجيد والمعامل والمختبرات والافتية والانبيية والوسائل المعينة على التدريس واستخدام كافة مقومات تكنولوجيا التعليم الحديث وتوفير القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدي به أطفالنا.

كيف يصبح سلوك الطفل سلوكاً سويأ ؟

قد يصاب سلوك الطفل بكثير من مظاهر الاضطراب والتأزم، من ذلك الشورة والتهيج والغضب وحدة الانفعال والثمرد والعصيان ورفض كل ما يطلب منه. كما قد يصاب سلوك الطفل ببعض المظاهر الشاذة كالسرقة والعدوان والتخريب والتدمير والكذب والهروب والعدا. وقد تعترى الطفل بعض المشاعر السالبة كالغيرة والكرهية والأناية الشديدة والتنافس البغيض الى جانب ذلك فهناك مشاكل التبول والتبرز اللاارادي والفشل الدراسي والهروب من المدرسة والسهر والارق والقلق والخوف من المدرسة وما يعرف باسم فوبيا المدرسة او كراهية المواد الدراسية كلها او بعضها او كراهية المدرسة كلها والتأخر الدراسي وفي الحالات الشديدة من الاضطراب قد يصل الامر الى اصابة الطفل بفصام الطفولة أي ذهان الطفولة او اصابته بالحركة الزائدة عن الحد والنشاط الدائم وعدم الراحة او عدم الشعور بالاستقرار والقلق الزائد وقد يحذف عن تناول الطعام ومن ثم الإصابة بالنحالة والاثيمياء.

وحتى لا يصاب الطفل باي من هذه الاضطرابات ويظل سلوكه سويا ويظل هو متمتعاً بالصحة النفسية الجيدة. هناك بعض الامور التي يتعين مراعاتها في التعامل معه سواء من قبل الام والأب والاخوة واللاخوات في دائرة الاسرة او اكان ذلك فسي المدرسة على يد معلميه.

والحقيقة ان هناك اتماطا ليجابية في التعامل مع الطفل والمراهق واخرى سلبية وكذلك هناك مناهج ايجابية في عملية التنشئة الاجتماعية واخرى سالبة. وبطبيعة الحال تؤدي الاساليب السلبية الى نتائج ضارة بشخصية الطفل ومسار نموه الطبيعي وتحرمه من التكيف والتوافق والسعادة.

السواء في سلوك الطفل والراشد الكبير لا يتحقق بطريقة عفوية تلقائية وإنما لا بد له من الجهد المقصود، والارادة والعزيمة، وذلك كالشأن في كافة مجالات النجاح لا تتأتى الا بالعمل العمدي الجاد والدؤوب. ولعل اصعب الاهداف هو "صناعة الرجال". ولذلك في تربية الأطفال والتعامل معهم وكذلك المراهقين لا ينبغي أن تلجأ الأسرة او المدرسة الى استخدام الشدة الزائدة والصرامة والعلف او الحزم الزائد عن الحد. وبالمثل فانه لا ينبغي ان يترك الحبل على الغالب للطفل ليفعل ما يشاء متى يشاء وكيفما يشاء. لان الحرية المطلقة هي الفوضى بعينها، وان يتحول الى طاغية صغبر في المنزل يتطلب ان يذعن لطلباته كل من في الأسرة، ولا ينبغي الافراط في التذليل و"الدلع" لان ذلك لا يقل ضررا على صحة الطفل النفسية والعقلية من استخدام الشدة الزائدة. وإنما الموقف السيكولوجي المثالي هو التوسط والاعتدال بين هذين النمطين: الشدة واللين. ومن الاساليب الضارة كذلك التذبذب في التعامل مع الطفل، بحيث يثاب على السلوك مرة ويعاقب عليه مرة اخرى، فيحدث لديه خلط في قيم الصواب والخطأ والحلال والحرام والحق والباطل. ومن ذلك ايضا اختلاف اتجاه الاب عن اتجاه الام في اسلوب تربية الطفل، حيث يعمد احدهما الى الشدة بينما يذهب الاخر الى اللين والتذليل الزائد فتضيع القيم من ذهن الطفل، ويشعر بالكراهية تجاه الوالد المتشدد منهما. ومن ذلك ايضا اقامة "المعسكرات والتكتلات والاحلاف" بين افراد الاسرة

الواحدة فتضم الام (او الاب) الى معسكرها الابناء لاستخدامهم للضغط على الوالد الاخر. وفي سبيل ذلك تقدم لهم " الرشاوى" والعطايا والعطف المصطنع واساليب الاغراء والجذب والاستقطاب فيفقد الأولاد القيم والولاء والمثل والاتجاهات السوية وينحرف سلوكهم عن جادة الصواب وعن مبادئ الاخاء والتماكك والتساند والتضامن والتفاني الاسري والانتماء والانتماء والانصهار في بوتقة الأسرة الواحدة التي اذا اشتكى منها عضو تداعى له باقي الأعضاء بالسهر والحمى. وعندما يشتد عودهم يعجز الوالد الذي استقطبهم عن كبح جماحهم.

ومن الاتجاهات الخاطئة كذلك في تربية الأطفال والتعامل وياهم فرض "الحماية الزائدة" عن الحد على الطفل والخوف عليه ازيد من اللازم وتوقع نزول الشر والاذى به حتى من مجرد القيام بالأعمال العادية. ولذلك يشب طفلاً خائفاً هيباً لا يجرؤ على اقتحام مواقف الحياة بمفرده وبجرأة او التصدي لصعوباتها وتحدياتها. وعندما يخرج الى الحياة في المجتمع الخارجي يصدم، لانه يتوقع ان يجد من المجتمع ما وجده في محيط الأسرة من العطف والعطاء والاذعان والتدليل والحماية.. وبصورة عامة لا يقوى على الصمود في مواقف الحياة وشدائدها. ومن الاخطاء الشائعة عدم اشعار الطفل بانه مرغوب فيه واشعاره بانه منبوذ او مطرود او انه جاء ازيد مما كانت تخطط له الأسرة او ان الأسرة كانت تريد ولداً ذكراً فجاء انثى. مثل هذه الاتجاهات تترك مشاعر مؤلمة في نفسية الطفل. وهناك من الاباء من يفضل احد ابنائهم على بقية اخوته واخواته ويميل اليه ميلاً خاصاً مما يحز في نفوس الباقين فيشعرون بالغيرة تحوه او الكراهية والسخط والحقد. ومن هنا تبدو ضرورة توخي العدالة والمساواة في التعامل مع الأطفال.

ومن الاساليب التربوية السيئة معايرة الطفل بنواحي النقص عنده ومعايرته علناً مما يجرح كبريائه ويشعره بالمرارة والدونية والنقص وفقدان الثقة في ذاته، ذلك لان كل طفل يعد عالماً في ذاته، ولذلك لا نعايره بغيره ولا نقارنه بغيره، وانما نقارنه بنفسه وبأدائه هو في ضوء قدراته واستعداداته وإمكاناته، وعما اذا كان يتقدم بالنسبة

لادائه السابق من عدمه. وعما اذا كان يبذل كل ما في طاقته ام لا. ويكفي ان تستوثق الامرة انه لا يهمل او يغفل واجباته وانه يتقدم بقدر ما تمكنه من ذلك قدراته الطبيعية ذلك لان لكل طفل معدلاته في سرعة النمو والتقدم والتحصيل. وهناك فروق فردية واسعة بين الأطفال. فلا تكلفه بما يفوق قدراته واستعداداته وخبراته. وفي نفس الوقت لا نشجعه على ان يركن الى الإهمال والكسل والتراخي في أداء واجبه والمشعور بالمسئولية. على ان نعطيه من المسئوليات بقدر ما تسمح به قدراته فقط. مما يجعله يشب شخصية مستقلة لا تعتمد على غيرها.

ومن الأساليب السنية الاهتمام الزائد بجانب واحد من جوانب شخصية الطفل كالجانب الدراسي، ومطالبته بالتفوق فيه وإهمال الجوانب الأخرى، وذلك لان الصورة المثالية للشخصية هي الشخصية المتكاملة في كل جوانبها، وعلى ذلك يجب ان تحرص الاسرة والمدرسة على تربية الطفل تربية شمولية متكاملة تهتم اهتماما متوازنا بجسمه او بدنه ويعقله وبالنواحي النفسية والأخلاقية والروحية والإيمانية والعلمية. والمهنية والوطنية والاجتماعية والفكرية والعقائدية. ومن هنا تبدو اهمية ممارسة النشاط الرياضي والترويحي والكشفي ونشاط الجواله والنشاط الثقافي والاشترك في مشروعات للخدمة العامة وخدمة البيئة وبذلك نغرس بذور المواطنة الصالحة في نفوس للنشء منذ الصغر.

هل يبحث أطفالنا عن القدوة الحسنة؟

لمرحلة الطفولة اهمية بالغة في حياة الراشد الكبير، ذلك لان ما يلقاه الطفل من خبرات وتجارب تتطبع في حسه وشعوره ووجدانه، وتظل باقية راسخة في كيان شخصيته في مرحلة الشباب والرشد الكبير. ولذلك قال جون لوك الفيلسوف الإنجليزي التجريبي " يولد الطفل وعقله صفحة بيضاء تنتقش عليها التجربة ما تشاء". وقال جون واطسون مؤسس المدرسة السلوكية في علم النفس: أعطوني عشرة أطفال وانا اصنع

منهم العالم والفيلسوف والفنان والصانع وحتى " الحرامي "، ولقد استطاع فسي ثانياً تجاربه ان يجعل الطفل " البرت" يخاف من لعبته البيضاء التي كان يحبها. ومرد ذلك ان شخصية الطفل تكون لينة غضة طرية هينة قابلة للصقل والتشكيل والإعداد والتكوين والتأهيل ولاه يكون قليل الخبرة فيقل المؤثرات التي تقع حواسه وعقله ووجدانه.

ولذلك إذا أردنا أن نحصل على شباب سوي قوي مؤمن منتم لوطنه وعرويته واستلامه و أسرته، فلا بد أن يحيا أطفالنا حياة سعيدة سوية متكيفة. ذلك لان حياة الإنسان وحدة واحدة متكاملة متفاعلة، وإن قسمت الى مراحل او سلاسل فان المرحلة الراهنة تؤثر وتتأثر بالمرحله السابقة عليها واللاحقة لها. فالطفولة السوية تقود الى المراهقة سوية أيضاً والمراهقة، بدورها، اذا كانت سعيدة متكيفة كانت مرحلة الشباب كذلك ما لم تحدث تغيرات طارئة على حياة الإنسان. الإنسان اسير لماضيه وان كان ذلك لا يمنع انه يتأثر بالحاضر ويفكر في المستقبل، فالإنسان ابن الحاضر والماضي والمستقبل. ومن اجل ذلك تولى مدرسة التحليل النفسي اهمية كبيرة لمرحلة الطفولة المبكرة، وترى ان جذور الشخصية تفرس فيها. ونحن نضع بذور السواء او الشذوذ في هذه المرحلة المبكرة.

ولذلك يتعين ان نتأمل في ظروف أطفالنا في الوقت الراهن، لنرى ماذا يسقط عليهم من المؤثرات وماذا يتوافر لهم من الرعاية والعناية والتربية والتنشئة والتوجيه والنصح والإرشاد والإشراف والإشباع. ولنتأمل، فوق ذلك، ما يتوفر لهم من المثال الجيد والقعدة الحسنة التي يقتدي بها الطفل في حياته وما هي القيم والمثل والمعايير والقواعد والقوانين السائدة.

الطفل، في بداية حياته، يبحث عن مثال او نموذج يتخذه قدوة ومثالا في دائوة الاسرة الضيقة، فيعجب بأبيه أو بأمه، وهناك من يقول أن الطفل يتخذ من الاب المغاير له في الجنس مثلاً، فالطفل الذكر يتخذ امه مثلاً له والفتاة الانثى تعجب اكثر بأبيها.. ولكن هذا الرأي لا تؤيده التجارب على طول الخط. وعندما يزداد نضوج

الطفل، ويتسع نطاق فكره ومعارفه يتخذ قدوة له من المجتمع الصغير المحيط به، فينصب على معلمة او معلم. ويمرور الوقت والتقدم في العمر وما يصاحبه من التضوج. يختار الطفل مثاله من الشخصيات العامة او التاريخية الوطنية او العالمية فيعجب مثلاً لطفل اليوم بالرئيس مبارك ويرى فيه مثلاً وقدوة تحذى اذ تتجسد للطفل شخصية " بابا مبارك " مثلاً للنشاط الذؤوب الحركة والحيوية والهمة والانتقال السريع من مكان لآخر ومن موقع لآخر، فيجوب البلاد بطولها وعرضها مشجعاً على الإنتاج.

متقدماً أحوال العباد وموجهاً وناصحاً ومعلماً ومواسياً لحياناً فيمسيح دموع التكلى والمنكوبين ويهتئ الناجحين والابطال وينكي روح الوطنية وجذوة الحماس فى كل الانشطة الوطنية الجماعية والفردية، الرياضية والعلمية والثقافية والفنية والعسكرية والاقتصادية. بل ويجوب العالم في سفريات وتنقلات جلياً للخير والمصلحة العامة لمصرنا الحبيبة ورفعاً لرايتها واعلاء لشأنها ولسماع صوتها بين الامم لتحتمل مكانتها المرموقة في هذا العالم.

ولكن مثال " بابا مبارك " لا يجده الطفل كثيراً فيمن يحيطون به، فالمعلمون يتصارعون وينكبون على الدروس الخصوصية وهي عمل محرم وغير مشروع وفيه ما فيه من الابتزاز والتهر لحياناً. والموظفون - وخاصة موظفو المحليات والاحياء الذين يحتك بهم الجمهور - لا يتمسكون الا بالفساد ونشره لدرجة سقوط العمارات التي يرخسون ببناؤها فوق رؤوس سكانها فتكون الضحايا واليتامى والارامل ويصدرون تراخيص البناء حتى في الاراضي المملوكة للدولة ويتركون الشوارع المصري المسكين لتعمه الفوضى والتسيب والمطبات والحفر والهدم والرصف المتواصلان والبالوعات التي تبذل الأطفال لحياناً.

وكيف يتخذ طفل العاشرة قدوة من ابيه الموظف اذا كان من ضعاف النفوس وممن يعتقدون صفقات الارتشاء في التليفون او في المنزل على مرأى ومسمع من الطفل.. ان فاقد الشيء لا يعطيه..

ولذلك في غياب القدوة الحسنة والمثال الطيب بدأ أطفالنا يتعلقون بشخصيات وهمية خيالية تنشرها أجهزة الاعلام وخاصة التلفزيون فيها هم يعجبون اشد العجاب " بكابتن ماجد " او غيره من الشخصيات التي لا تعبر عن قيم الحق والخير والجمال والفضيلة والرجولة والعفة والكرم والشجاعة والاقدام والفداء والتضحية والصدق والأمانة وتحمل للمسؤولية وتقديس المصلحة العمومية.

بالنسبة لكثير من الأطفال يعد التلفزيون من آفات الدهر، وخاصة اذا عجز الاباء عن اقناع الطفل بقلقه والانصراف الى الدراسة او ممارسة الانشطة الاخرى كالرياضة والقراءة والهوايات النافعة والصلاة وتلاوة القرآن الكريم. لقد أمن كثير من أطفالنا، بل من شبابنا التلفزيون حيث يحرصون، بصورة مرضية على مشاهدة كل شيء.

حقيقة لا ينكر ان هناك كثيراً جداً من البرامج النافعة والمفيدة.. الدينية والثقافية والتعليمية. والوطنية والاخبارية، وحتى الاعمال الدرامية، ولكن مشاهدة كل شيء ما يلائم الطفل وما لا يلائمه يكون على حساب بناء شخصيته وبناء جسمه قوياً رياضياً ايجابياً. نحن امام التلفزيون نكون في موقف سالب، في موقف الاستقبال دون الارسال فتموت الايجابية والعطاء والتفاعل والحيوية بل انه يؤدي الى ضعف الابصار والى لخطر الاشباع والى الكسل والترخي. وفي الكبار يؤدي الى السمعة ويقضى على نشاط القراءة والاطلاع او التنزه خارج نطاق وجدان المنزل.

اذا كان أطفالنا يفتشرون الى ايجاد القدوة في ضوء اشتغال الاب في اكثر من عمل في هذه الايام لتغطية نفقات المعيشة الباهظة وللحماية من غول الغلاء، واذا كانت الأم تعمل خارج المنزل طول اليوم لتعود منهكة متعبة وأحياناً ساخطة.. فأين يجد الطفل قدوته وكيف؟

مثل هذا الموقف لا يستهان به لان اطفال اليوم هم رجال الغد، واذا استمر الحال على ما هو عليه، لوجدنا أنفسنا امام جيل سلبي تنقذفه الأمواج والاتواء

وتعصف به التيارات الفاسدة الواردة لوجدنا جيلاً متفرنجاً متغرباً يشعر
بالاغتراب عن ذاته وعن وطنه ومجتمعه.

أما الحل والعلاج فهذا ما أتركه لخيال القارئ الكريم وخبرته وتجاربه وحكمته
ليضع كل منا ما يكفل نشأة جيل صالح.

أساليب الوقاية والعلاج إسلامياً وعلمياً :

- التقييم الإسلامية وأثرها في تحقيق السعادة النفسية.
- دور الهدي الإسلامي في الشفاء من الأمراض النفسية.
- مضادات القلق السلوكية.
- العلاج النفسي الإسلامي.
- مناهج العلاج النفسي الحديث.
- الأسس الإسلامية والطبية لعلاج البول الليلي والوقاية منه.
- سيكولوجية الاغتصاب.



القيم الإسلامية وأثرها في تحقيق السعادة النفسية

مسؤولية رب الأسرة :

وفي دعوته المسلم لتعليم أهله أي زوجته وبنائه الصلاة بقول الهدي القرآني
الخالد ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ سورة طه (١٣٢)

والصلاة مناجاة روحية بين العبد وربيه، وصلة مباشرة بين العبد وخالقه، وفيها
تصفو النفس، وتنظف من الرجز والاندان والفحش والفواحش، وفيها شعور بالسعادة
والرضا والارتياح والهدوء والاستقرار النفسي، وشعور برضاء الله تعالى وهو شعور
لا يعانله شعور، ولذلك تؤدي الى التمتع بالصحة النفسية والعقلية. ويقول الله تعالى:
﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل ٩٦).

وفي ذلك تأكيد لفضيلة او لصفة الصبر، وأن له أجراً عظيماً عند الله تعالى.
الصبر على المعاناة وعلى المشاق وعلى العمل وكم من شبابنا في حاجة الى التحطى
بالصبر والمثابرة والاصرار وقوة الاحتمال والجلد لبلوغ الأهداف السوية والمشروعة.
الشباب يريد أن يحقق كل طموحاته في لمح البصر. وهذا أمر صعب المنال، ولنتأمل
في قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (سورة الرعد
١١)، اشارة بليغة الى أن أساس تغيير حياة المجتمع برمته هو التغيير الذي يطرأ على
الحياة النفسية لأبناء هذا المجتمع النفسي .

يقول الله تعالى : ﴿ الذين يأملون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه
الخطان من العس ﴾ (البقرة ٢٧٥).

وفي العلاقات الاقتصادية، ينهى اسلامنا الحنيف نهياً قاطعاً وحاسماً عن
ممارسة الربا، لأن فيه خراب البيوت وإفلاس الأفراد والمؤسسات، ونشر للشر
والظلم والفسق وتقشيراً للبطالة، وزيادة حالات الإفلاس وما فيه من كسب حرام
وغير مشروع.

التربية على النظام والطاعة :

يشجع الإسلام ابنائه على طاعة الله تعالى، ولتمتع برضائه والالتزام بتعاليم الإسلام والقيام بالنكاح، ومن ذلك الصوم والصلاة والحج والزكاة والشهادة، وذلك بطريقة منتظمة ودقيقة وبالمحافظة على أداء الصلاة في مواعيدها، مما يربي المسلم على الدقة والنظام، وينتقل ذلك لسائر أوجه حياته.

والصلاة مناجاة روحية بين العبد وخالقه وفيها اتصال روحي بالخالق العظيم، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، ويقول الله تعالى: ﴿ حافظوا على الصلاة والسلامة الواسلة وهووا لله قانتين ﴾ (سورة البقرة ٢٣٨).

والصلاة ركن من أركان الإسلام، وكونها خمس صلوات استمرارية لشعور المسلم طوال يوم وليلة بالتقوى والورع والخشوع والخضوع لله تعالى والمعيشة في معيشته، وفي رحاب الذات الالهية أو الحضرة الالهية وهي شعور بديع وجميل ويقول تعالى: ﴿ إن الصلاة تحانبكم على المؤمنين حجاباً موهوباً ﴾ (سورة النساء ١٠٣)

والصلاة مفروضة على كل مسلم ومسلمة وفي ذلك التوحيد توحيد للفكر والأيدولوجية والعقائد الإسلامية، مما يؤدي الى وحدة الامة الإسلامية في كل مكان. ويتعين أن تكون الصلاة خاشعة نقية خالصة لله تعالى. يقوم الإنسان بها لا بحركات آلية، وإنما بكل حواسه وجوارحه. ويقول تعالى: ﴿ قد ابلغ المؤمنون الطين هو في حلاتهم خاشعون ﴾ (سورة المؤمنون ٢٢١). ويكل معاني الخشوع والتقوى والورع، بحيث يستغرق المسلم بقلبه وجوارحه في الصلاة، ويعيش كل لحظاتها السعيدة وهو بين يدي الله، ولذلك للصلاة أكبر الأثر في تمتع الإنسان بالصحة النفسية والعقلية السوية. ويقول تعالى: ﴿ تنول للمسلمين الطين هو من حلاتهم مامون ﴾ (سورة الماعون ٤ - ٥).

وذلك حتى يصفو المسلم الى نفسه ويستغرق في الصلاة ولا يدع شواغل الحياة وملذاتها وشهواتها ومطامعها تلهيته عن الشعور بالاطمئنان في أثناء الصلاة.

تغيير النفس أساس تغيير المجتمع :

ذلك لان نفس الإنسان هي مستودع القيم والمثل والمعايير والمبادئ والعقائد والأفكار والفلسفات والأراء والاتجاهات. فالعنصر النفسي أقوى عناصر الشخصية وأكثرها أهمية، ولذلك فإن مبدأ التعديل وأساسه هو النفس وأحوالها من الرضا والزهو والفتاعة والاطمئنان والحب والدفء والحنان، ولنتأمل في قوله تعالى: ﴿فمن يحبهم فإنهم يحبونه﴾ (سورة الفتح ١٠)

وفي ذلك إشارة الى أن الإنسان إذا أساء تحمل هو، في المحل الاولي، عواقب أعماله السيئة، وفي ذلك توعية تربية للمسلم على تحاشي الإساءة والخطأ أو الزلل، لأنه هو الذي سيدفع الثمن، وفي ذلك منتهى العدالة، حيث ينال الإنسان جزاؤه على ما يأتيه من أفعال. ولنتظر الى قوله تعالى: ﴿خلق الله من أنفسهم أزواجاً لتصكبوا اليها وجعل بينهم مودة ورحمة﴾ (الروم ١).

فالأساس في الإسلام وفي الحياة الاسرية، في الاطار الإسلامي أن يسودها المودة والرحمة والشفقة والعطف والحب والحنان والدفء والتفاهم، وفي عبارة " من أنفسكم " أبلغ تعبير عن مشاعر الوحدة الإيمانية بين الرجل والاثني في الإسلام فكان المرأة جزءاً لا يتجزأ من كيان الرجل ومن ذاته ومن نفسه للشعور، بماي عرف اليوم تأكيد لوحدة الاصل والمجتمع والوحدة الإيمانية التي تجمع بين قلوب المسلمين وخاصة الأزواج والزوجات مما يؤدي للتقمص أو بالتوحد السيكولوجي بين طرف العلاقة الزوجية التي أنزلها الإسلام منزلة مقدسة وأحاطها بالتقدير والتبريك واليوم ترغب المسترجلات من دعاة الحركات النسائية تقويض هذه الدعام القوية ولنتدبر في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجاً وبه منها رجالٌ مُتجهزاً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به بالأرحام إن الله كان عليماً وخبيراً﴾ (سورة النساء ١).

تأكيداً للوحدة الإيمانية والالتحام والالتصاق، لأن منبع الرجل والمرأة نفس واحدة مما يدفعهما للشعور بالشفقة المتبادلة والحب المتبادل والمشاركة العاطفية أو

الوجدانية والتضامن، بدلاً من التنافر والتطاحن والتصارع وتصوير الحياة بين الرجل والمرأة على أنها ملحمة من الحروب الضارية وصراع على المكاسب والحقوق والواجبات ومحاولة إخضاع الرجل وكسر ظهره بالشروط القاسية في عقود الزواج.

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فإحطلي نبي محمدي وإحطلي جنتي ﴾ (الفجر ٢٧ - ٣٠).

ويشير الإسلام الى أنواع عدة من الأنفس منها النفس المطمئنة السوية السليمة الخالية من الضغائن والأحقاد والغل والكراهة والحسد والطمع والجشع والأنانية والآثرة والتكالب، وإلى النفس اللوامة التي تلوم وتعاقب صاحبها على المعاصي، والنفس التي تهوى وتشطح بصاحبها وتقربه الى ارتكاب المعاصي.

قال تعالى : ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليبتئوا الله وليقولوا قولاً سديحاً ﴾ (سورة النساء ٩).

ويحرص الإسلام على تربية الأجيال الصاعدة تربية سوية خالية من الأمراض والعلل والأعراض المرضية، بل إنه يحرص على سلامة تكوين الأسرة حتى قبل تكوينها عن طريق ترشيد عملية اختيار شريك الحياة الصالح ويحث الإسلام الآباء على الخوف على من ينجبون من الذرية الضعيفة، لأنه من عمل الآباء الصالح حتى يبقى لنريتهم، والإنسان ليس مسئولاً عن نفسه، وحسب وإنما تمتد مسؤوليته التربوية لذريته، فعليه أن يخشى الله ليبارك له فيها.

طبيعة الخلق في التصور الإسلامي :

لا يترك الإسلام أبناءه يعيشون في ضياع أو فوضى أو تخبط أو غمء، وإنما يوضح لهم الرؤية ويحدد لهم الهدف الأسمى من الحياة، وهي عبادة الله، ويقول الله تعالى : ﴿ إنا خلقناهم من طين وأنثى وجعلناهم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمهم عند الله اتقاهم ﴾ (سورة الحجرات ١٣).

وكذلك بيان حكمة الخلق من الذكر والانثى، وتكوين الشعوب والمجتمعات والتبائل كلها لحكمة إلهية سامية كي يعرف بنو الإنسان أن أكرمهم عند الله أنقاهم أي أكثرهم خشية من الله خوفاً من عذاب النار، فالعبدة بالتقوى والورع والخشوع والتكسب والإيمان، وليست بالمال أو الجاه أو القوة أو السلطان. فالقيم الروحية اسمى ما يقدره الإسلام، وفي ذلك أبلغ رد على الفلسفات المادية.

يقول تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ (سورة الإسراء ٢٣) ويحرص الإسلام على سلامة بناء الأسرة على أسس أخلاقية وروحية عظيمة، فالدعوة لعبادة الله الواحد القهار فيها معنى الوجدانية، فلا شريك له، ويقرن عبادته سبحانه وتعالى بالاحسان بالوالدين والبر بهما والعطف عليهما وطاعتهما واحترامهما ورعايتهما وخاصة في الكبر. ولو التزم الناس لليوم بهذا الهدي الإسلامي لما وجدنا لئاساً من علية القوم يتبرأون من آبائهم وأمهاتهم ويدعونهم لبيوت الإيواء ومنازل ومؤسسات المسنين ويعزفون حتى عن زيارتهم. ولقد أدى انتشار النزعات المادية وضعف الوازع الديني إلى ما نلاحظه من التفكك والتصدع الأسري. وما يؤدي إليه ذلك من تشريد ابناتها وسقوطهم في بئر الإدمان أو الجنوح أو الجريمة والاحتراف أو الفسق والزنا والدعارة. فما أحوجنا أن نحيط الأسرة المسلمة بسياج من القيم الأخلاقية الإسلامية، وأن نعيد إليها روابطها وأواصرها وأن نمكنها من أداء رسالتها الإنسانية، وأن نحميها من التصدع والانتهيار، وذلك بالعودة إلى حضيرة الإيمان، وإلى قيم الإسلام، وإعادة تأثير التيارات الغازية والوافدة من الغرب عن طريق أجهزة الاعلام ودعاة الفسق والفساد والشذوذ، وأرباب الفلسفات المادية.

وكم يأسف المرء عندما نشاهدكم من جرائم الاقارب ترتكب وتتخذ صوراً بشعة مقززة ومفزعة ومنذرة بقيام الساعة أو انهيار المجتمع بعد انهيار الأسرة فيه. فلقد أوصانا الإسلام خيراً بالوالدين وأوصى الوالدين بالتوسعة على العيال وحسن تربيتهن على قيم الإسلام، يقول تعالى: ﴿ولتصن منهن أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (سورة آل عمران ١٠٤).

وفي ذلك أبلغ تعبير عن روح الإيجابية والمسؤولية التضامنية المشتركة بين جموع المسلمين للأمر بالمعروف ونشره وانتصاره، وذلك كي يسود الخير المجتمع، وكي تنعم الشخصية المسلمة بالصحة العقلية والنفسية الجيدة، وكي تحلى بالقيم الأخلاقية الأصيلة النابعة من تراثنا الإسلامي الخالد.

ويربى الإسلام أبناءه على احترام حدود الله والالتزام بها وطاعتها كما في قوله تعالى: ﴿وَتلكَ حدودُ اللَّهِ فلا تتعدوها من يَتعدِ حدودَ اللَّهِ فأولئك هم الظالمون﴾ (البقرة ٢٢٩).

الإسلام ينظم حياة المسلم تنظيماً دقيقاً، وكذلك حياة الجماعة أو الأفراد، فلا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا ونظمها تنظيماً جيداً ضماناً لحسن سير العمل وانتظام العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأسرية في المجتمع. فهامى حدود الله لا تتعدوها ليكون الحلال بين والحرام بين يقول الله تعالى: ﴿فأما أولوا أہل النحر إن تحببہ لا تعلمون﴾ (النحل ٤٣)

وفي ذلك دعوة للاستفادة وثقني العلم والمعرفة والخبرة والمشورة عن أهل العلم، حتى لا يكون هناك خلط أو عبث بأمور الدنيا أو الدين، ولذلك لا يعقل أن يشب عامل جاهل يعمل "سباكاً" أو "مكوجي" وينصب نفسه أميراً على المسلمين ومرشداً وفقياً لهم.

دور الهدى الإسلامي في الشفاء من الأمراض النفسية

خطورة الأمراض النفسية واتساع مدى انتشارها :

في هذا العصر يزداد انتشار الأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية والنفسجسمية، والازمات الخلقية، والسلوكية كالإدمان على الخمر والمخدرات، والتعصب والتطرف والعنف، واللامبالاة، وعدم تحمل المسؤولية وما الى ذلك من مشاعر القلق التي ازداد انتشارها الى الحد الذي اصبح عصرنا كله يوصف بأنه 'عصر القلق' .

ومرد ذلك، بطبيعة الحال، البعد عن حظيرة الدين الإسلامي الحنيف وشريعته السمحة الغراء والحرمان من الهدى الإسلامي ونوره المشرق وظلاله الظليلة ورحابه الفسيحة التي تحتضن الإنسان طفلاً ومراهقاً وشاباً ورجلاً وشيخاً في عطف وحب وحنان ودفء ومودة واتسجام ووثاق.

ولا شك في ذلك .. فإسلامنا الحنيف كرم الإنسان حياً وميتاً ﴿ ولقد حرمنا بني آدم ﴾، وسعى الى تربيته تربية صالحة سوية قوامها الإيمان بالله الخالق العظيم، ورسالة نبيه محمد ﷺ ﴿ وانك لعلي خلق مطوب ﴾. ومؤدى ذلك التمسك بأهداب الفضيلة والعفة والتقوى والورع والخشوع والرضا والتوكل والقناعة والزهد والاخاء والمساواة والعدل والإنصاف والتوسط والاعتدال والإيجابية والقوة. (فالمؤمن القوى خير وأحسب الى الله من المؤمن الضعيف). وأداء العبادات والتكاليف فالصوم تزكية للقوى الروحية في الإنسان وتطويهاً للقوى الحيوانية والشهوانية. والوضوء تطهير للنفس والبدن مما علق بهما من شوائب. والحج يعتبر ميلاداً جديداً يغسل الذنوب، وتلاوة القرآن الكريم وتدبر معانيه تبعثان على اطمئنان النفس ورضاها وراحتها وتخلصها مما بها من آلام وتبعثان فيها السكينة والسعادة وتطردان مشاعر الغل والحقد والحسد والبغض والانتقام والتأثر والكراهية والغفور والغيظ.. وكلها من المشاعر التي تقود صاحبها الى الاصابة بالمرض النفسي او العقلي.

أسباب انتشار الأمراض النفسية :

المسؤول عن انتشار الأمراض النفسية والتي توصف بأنها أمراض الحضارة أو أنها الثمن الغالي الذي يدفعه الإنسان ثمنا لحضارة العصر، المسؤول عن ذلك هو غياب الإيمان الذي يملأ القلب بالشعور بالرضا والقناعة والزهدي والاعتماد على الله الخالق العظيم والاستناد إليه والتوكل عليه والرضا بقضاء الله وقدره جلوه ومره.

مثل هذه المشاعر تبعث على الاطمئنان النفسي الذي يبدي، بدوره، مشاعر السخط والضجر والتبرم والحقد والغل والبغض والكراهية والانتقام والطمع والجشع والأكابنية والآثرة والتكالب والصراع والخصام والعداء.. بل الشعور بالضيق في وسط عالم فسيح مترام الأطراف لا يعرف الإنسان الغربي الحديث موقعه منه بالضبط ولا يدرك لماذا وجد في هذا العالم ولماذا يرحل منه؟ الحياة في نظر الملحد عماء لا غاية لها ولا هدف..

تؤدي النزعات والفسافات المادية البغيضة والاحادية التي أصابت الفرد بالأمراض النفسية والعقلية. فهناك من تلك الفلسفات ما تعتبر الإنسان مجرد ترس صغير في جسد آلة ضخمة كبيرة هي الدولة أو المجتمع، وليس لهذا الإنسان من قيمة الا بقدر ما يسهم في عجلة الانتاج المادي. الماركسية البغيضة.. كانت تجرد الإنسان من اعلى واثن ما يوجد لديه وهو الروح، وإنك سرعان ما انهارت هذه الفلسفة التي غير رجعة.

ويتعرض انسان العصر لكثير من الصراعات والتوترات والازمات حين ما يواجه خطر الحرب المدمرة والاسلحة الفتاكة او ما يطلق عليه - اصطلاحا - اسلحة الدمار الشامل والحرب الفعلية او التهديد بها يقضيان مضاجعه ويسببان له عدم الراحة وعدم الامان او الاطمئنان الى حياته او مستقبله، بل ان حضارته التي بناها عبر الاجيال التاريخية المتعاقبة مهددة بالزوال والتدمير بفعل الأسلحة النووية للمدمرة التي قادته حضارته الغربية المبتورة الى اختراعها.. فالأزمات السياسية والحربية

المحلية والاقليمية والدولية وكذلك الثورات والقلقل كل هذا يتسبب في لا شعور الفرد،
ويسبب له الازعاج النفسي...

الحياة الحديثة تنتم بالمنافسة الحادة والصراع من اجل البقاء، ويمتاز شباب
اليوم بارتفاع مستوى طموحه بما يفوق مستوى اقتداره او ما يتجاوز ويتعدى قدراته
واستعداداته، ولذلك يشعر دائماً بالفشل والاحباط والحرمان ومن ثم يشعر بفقدان الثقة
في ذاته فهو يريد ان يحقق طموحات عريضة في لحظة من الزمن ودون بذل مجهود
بذكر ودون مثابرة.

والى جانب ذلك فان سلطان الاسرة يضعف باستمرار وكذلك تقل الروابط
الاسرية التي كانت تمتاز بالعاطفة الدافئة والمشاعر المتدفقة، تاهت هذه المشاعر فسي
غياهب المادية وظلماتها الحالكة.

ومما يؤدي الى تعرض الطفولة للاهمال والحرمان من الرعاية والامومة
اشتغال المرأة خارج المنزل ويضاف الى ذلك ازدياد حدة التخصص العلمي واتساع
مداه وطول مدته، مما يؤدي الى تأخير تمتع الشاب بالاستقلال الاقتصادي وتكوين
الاسرة والاشباع الجنسي الحلال والمشروع. ولكن ما هي أهم الأمراض النفسية
الشائعة؟

أهم الأمراض النفسية الشائعة :

يهتم علم النفس الطبي بدراسة كثير من الأمراض النفسية والعقلية التي
يكثر انتشارها في الوقت الراهن.. نستعرض للقارئ الكريم الأمراض النفسية منها
لأنها أكثر انتشاراً وأخف وطأة. وفي وسع المعلم والاب والام ومدير العمل ورجل
الدين والصديق والزوجة الصالحة.. يستطيعون أن يقدموا بعض العون للوقاية من
الاصابة بها او علاجها وشفاء صاحبها ويطلق علم النفس الحديث على هذه الأمراض
اصطلاح الاعصبة النفسية *Psychological Neuroses* ومن بينها :

١ - الحصر او القلق Anxiety وهو عبارة عن وجود مشاعر غير سارة مصحوبة
بالخوف والتوتر، مع الاثارة الفيزيائية والشعور بعدم الراحة او الهدوء او الاستقرار.

وفي الغالب ما ينتج من تعرض الفرد لمواقف مهددة ومحاولته الفرار من هذا التهديد. ومن الجدير بالملاحظة أن هناك نوعين من القلق، قلق عادي وطبيعي وسوي وهو بمثابة الدافع المحرك للإنسان لبذل الجهد والطاقة، ومن ذلك حالة القلق التي تعترض الطالب النابه المتحمس للنجاح والتفوق، وحالة العالم والشاعر والفنان والمبدع التي تدفعه للابتكار بابداعه أو اكتشافه أو اختراعه. ولذلك يقال فسي هذا الصدد ان حضارة الإنسان كلها وليدة الشعور " بالقلق " وهو نوع من القلق الإيجابي البناء.

والنوع الآخر هو القلق المرضي Morbid Anxiety وهو قلق دائم ومؤلم.. قلق المجهول .. قلق من لا شيء قلق حاد ومؤلم. ومن ذلك ما يطلق عليه علماء النفس القلق المعمم او حالة القلق العامة. والى جانب كون القلق مرضاً نفسياً مستقلاً الا أنه يوجد أيضاً كعرض من اعراض كثير من الأمراض النفسية الاخرى مصاحباً لها من ذلك الوسواس القهري والفوبيا او المخاوف الشاذة. كما يعرض القلق مصاحباً للتعرض للضغوط النفسية او الاجتماعية او الصدمات النفسية والاجتماعية.

٢- عصاب او مرض الفوبيا أي المخاوف الشاذة Phobias وهي مخاوف غير معقولة وغير منطقية وغير طبيعية. مخاوف شديدة من موضوعات لا تثير بطبيعتها الخوف في الإنسان السوي، ذلك لانها لا تتضمن خطراً او تهديداً لحياته. من اهم هذه المخاوف - بالنسبة للأطفال - فوبيا المدرسة.. أي الخوف الشاذ والمرض من الذهاب للمدرسة والعمل على تحاشي الذهاب اليها بشتى الطرق.

ومن اشهر المخاوف الشاذة الخوف من الظلام ومن الرعد والسرقة والرياح والمياه الجارية والنار والدم والحشرات والجراثيم والاقاعي والديدان، ومن جثث الموتى والاماكن العالية والفسحة والضيقة ومن الزحام والكلاب والخيول.. وغير ذلك من الموضوعات التي تثير الشعور بالخوف في أصحاب هذا المرض.

٣ - عصاب الوسواس القهري . ويتكون هذا المرض من شقين من الاعراض أحدهما عبارة عن افكار تظل تهبط على ذهن الفرد، وتتسلط عليه وتستبد به، ولا يستطيع منها خلاصاً رغم علمه بأنها افكار تظل تهبط على ذهن الفرد، وتتسلط عليه وتستبد به، ولا

يستطيع منها خلاصاً رغم علمه بأنها افكار تافهة وساذجة وسخيفة.. الا انها تظل تلح على ذهنه، كأن تعتري الطفل فكرة الهروب من منزله.

والشق الثاني عبارة عن افعال استحواذية، او قهرية يجد الفرد نفسه مدفوعاً ومساقاً لفعلها رغم ارادته، ولا يستطيع ان يكف عن ذلك. ومن هذه الاعراض غسل الايدي باستمرار او عد درج السلم او حصر وعد أنواع السيارات المارقة.

في عصاب الوسواس - القهري *Obsessive-Compulsive Neurosis* تقيض في الذهن افكار ملحة وغير خاضعة للتحكم والضبط وفيه كذلك يجد الفرد نفسه مجبراً او مضطراً او مرغماً على تكرار عدة افعال المرة تلو الاخرى، كأن يظل المريض يغسل يديه عشرات المرات حتى تدمن ويهترئ الجلد.

٤ - الهستيريا *Hysteria* ولقد عرفها القدماء الاغريق وان كانوا قد اخطأوا في التعرف على اسبابها، حيث ارجعوها الى حدوث اضطراب في رحم المرأة، ولذلك كانت تعرف الهستيريا في الزمن القديم بأنها مرض نسائي ينشأ في المرأة من تحول او انتقال الرحم من مكانه سعياً وشوقاً للإنجاب فيقف مثلاً في زور المرأة فيجس صوتها فتصاب باحتباس الصوت. اما العلم الحديث فيرفض هذه الفكرة ويقرر أن الهستيريا مرض نفسي وظيفي تتحول فيه الصراعات النفسية الداخلية الى اعراض جسمية، وله بصيب الرجال كما يصيب النساء على حد سواء.

ومن اعراضها الشلل الهستيري والعمى الهستيري والصرع الهستيري.. وهي اعراض وظيفية من حيث اصابة وظيفة العضو، كالعين، بالعطب والتعطل، بينما يكون العضو ذاته سليماً تشريحياً. ومن اعراضها فقدان الاحساس الجلدي ويصبح الجلد كما لو كان مخدراً. واذا اصاب الكف اصبح الإنسان كما لو كان يرتدي قفازاً في يديه فلا يحس.

ومن ذلك ايضاً فقدان الشهية ورفض تناول الطعام او القيء والتقيح والتنسج. ومن امراض الهستيريا كذلك المشي اثناء النوم وتعدد الشخصية وفقدان الذاكرة وتوهمان حيث ينسى المريض نفسه وشخصيته واسرته ويهيم على وجهه الى اماكن بعيدة.

٥ - عصاب توهم المرض، وفيه يعاني المريض من القلق الشديد حول امور صحته، ويتوهم انه على حافة الاصابة بمرض خطير كالسل او السرطان او الايدز، وبهتّم كثيراً بأمور التغذية وتناول العقاقير والفيتامينات. ويدمن اجراء الفحوص الطبية والكشف عند الاطباء. وما أن يطمئنه المعالج على سلامة قلبه حتى يبادر الى الذهاب لطبيب المخ متوهماً أن مخه قد اصابه التلف. في عصاب توهم المرض *Hypochondria* هذا، وهو عصاب نفسي النشأة أي يرجع لاسباب نفسية لا عضوية، يبالغ الفرد ويضخم من أقل وأبسط الاضطرابات التي يعاني منها ويتصور أنه مصاب بأمراض خطيرة. ويظل مشغول البال بالخوف على صحته.

٦ - عصاب الاكتئاب : وهو نوع بسيط من حالة الحزن والاكتئاب والشعور بالكآبة وهو أبسط من حالة اخرى من الاكتئاب الشديد وهو مرض الاكتئاب الذهاني أي المرض العقلي. في العصاب يشعر المريض بالحزن وبانخفاض الروح المعنوية *Morale* وفي الاكتئاب *Depression* يشعر الفرد بعدم القيمة او يبخس من قدر نفسه كما يشعر بالذنب ولوم الذات. ويميل الى العزلة عن الآخرين والسى الانطواء والانسحاب من معترك الحياة الاجتماعية، ويؤثر العزلة على الاختلاط. ويعاني من الارق او المسهاد وعدم الراحة في النوم، ويفقد الشهية، والرغبة الجنسية، ويفقد الاهتمامات والشعور بالسعادة والمتعة من خلال الانشطة المعتادة. وقد يعتريه البلادة والخمول او اللثورة والتهيج وحالة الاكتئاب هذه قد تكون عرضاً مصاحباً لأمراض اخرى.

٧ - عصاب الوهن او سمور بانضعف والتعب *Neurasthenia*

تمتاز حالة المريض بالنعاء النفسي والبدني وفقد الشعور بالتعب والارهاق والاعياء والاجهاد العصبي، بحيث يستيقظ المريض من نومه وهو اكثر شعوراً بالتعب عنه قبل النوم. ويشعر المريض دائماً بأنه منهك القوى ويبدو عليه الكسل والخمول والترخي.

لكن يستطيع الإنسان مواجهة هذه الأمراض علاجاً ووقاية.. فلا بد من التعرف على اسبابها كما يراها العلم الحديث ..

أسباب الأمراض النفسية :

معظم الأمراض النفسية لأمراض وظيفية لا عضوية بمعنى أنها في أغلبها لا ترجع الى أسباب عضوية كوجود عطب أو خلل في المخ أو الجهاز العصبي أو الجهاز الهضمي أو تعرض الفرد للأورام والسموم والحوادث والأعيرة النارية أو للغازات والمواد الكيميائية.. معظم الأمراض النفسية ترجع الى أسباب نفسية أو صدمات اجتماعية.

ولا يميل علماء النفس في العصر الحديث الى إرجاع هذه الأمراض الى سبب واحد بعينه.

فقديمًا كانت الأمراض النفسية تسند الى مس من الجن أو الشيطان أو الأرواح الشريرة أو العفريت وفي العصور البدائية كانت ترجع الى غضب الآلهة، وفي العصور الحديثة كانت تنسب الى ظروف أو أسباب جسمية أو فيزيقية أي علل تصيب الجسم. وتحول الفكر العلمي في مطلع القرن العشرين الى اعتبارها ناتجة عن أسباب نفسية بحثة كالقلق أو التوتر أو شدة الانفعال أو الحرمان والقسوة والإهمال والتبذ والشعور بالفشل والإحباط وما الى ذلك من العوامل كالتعرض للظلم والاضطهاد والبطش والمعاناة.

ولكن أحدث تيار علمي في الوقت الحاضر لا يميل الى إرجاعها الى عامل واحد بعينه كالعامل الوراثي أو البيئي وإنما إرجاعها الى مجموعة من العوامل الوراثية والبيئية والميلادية المتفاعلة.. أي تلك التي يؤثر بعضها في بعض، أي التي يقوم بينها تأثير متبادل وأخذ وعطاء.. الإنسان كله محصلة التفاعل بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية التي يعيش في كنفها. ولذلك يقال ان الإنسان ابن البيئة والوراثة معاً.

ويمكن التعبير عن هذه النظرية المتعددة العوامل في تفسير الأمراض النفسية أي في تحليلها ومعرفة أسبابها في شكل المعادلة الآتية:

$$\text{الإنسان سويًا كان أم مريضًا} =$$

العوامل الوراثية × العوامل البيئية المكتسبة × العوامل الميلادية × العمر.

ويلاحظ ان العلاقة بين كل مجموعة من هذه العوامل وتلك التي تليها هي علاقة تفاعل وتأثير وليس مجرد علاقة إضافة أو جمع.

ومؤدى العوامل الوراثية تلك الاستعدادات العامة والقابلية للمرض والتي تنتقل للفرد من الأبوين والأجداد عبر ما يعرف باسم ناقلات الوراثة أو الصبغيات *Genes* وتظهر اكثر ما تظهر هذه العوامل في صفات مثل طول القامة أو لون البشرة او شكل الشعر ولون العينين. فالوراثة البيولوجية تشير الى الصفات التي يولد الفرد مزوداً بها ولا يكتسبها من جراء التفاعل والتعامل والاحتكاك مع البيئة المادية والاجتماعية التي يعيش في وسطها.

أما العوامل البيئية فهناك البيئة المادية او الفيزيقية او الجغرافية وتشمل ظروف السطح والمناخ والموقع ومظاهر العمران والاعمال والمهن. وهناك البيئة الاجتماعية والتي تتمثل فيما يوجد في المجتمع من عناصر الثقافة كالعادات والتقاليد والقيم والاعراف والنظم والقوانين واللغة والدين والعلوم والمهن السائدة وايضاة الى ما يوجد من جماعات بشرية يتعامل معها الفرد ومن أخصها وأبرزها واكثرها قدرة على التأثير في شخصية الفرد وصحته ومرضه جماعة الاسرة ثم جماعة النادي والعمل والجيرة والاصدقاء. ومعروف ما لأقران السوء من تأثير سيئ على سلوك الفرد.

ما يتلقاه الفرد من تعليم وتدريب وفرص للممارسة وما يتلقاه من الغذاء او ما يصيبه من الاوبئة والعدوى كل هذا يعد من قبيل الاسباب البيئية التي قد تؤثر في شخصية الفرد سلباً أو ايجاباً.

الى جانب هذه العوامل الوراثية البيولوجية او الحيوية الجسمية وتلك العوامل البيئية هناك مجموعة اخرى من الاسباب التي لا تعد من قبيل البيئة لانها لم تكتسب من جراء احتكاك الفرد بالبيئة الخارجية وليست هي وراثية لأنها ليست منقولة اليه من الآباء أو الأمهات والاجداد.. إنما هي مجموعة للعوامل الميلادية تلك التي يولد بها ولكنها ليست وراثية من ذلك صنمات للميلاد المصاحبة للولادة القيصرية أو المتعثرة أو حالات اختناق الجنين وحرمان مخه من التغذية بالاكسجين والدم وتمساطي

الام - في اثناء الحمل - للخمور والمخدرات أو العقاقير الضارة بصحة الجنين او الحرمان من التغذية او ممارسة الام للرياضات العنيفة كركوب الخيل او تعاطيها للسموم وتعرضها للغازات والاشعاع او حتى كثرة للتدخين واصابة الام ببعض الأمراض المعدية او بالحصبة الالمانية.. كل هذا قد يؤثر تأثيراً سيئاً على عقل الطفل.

ولقد تضمنت المعادلة عامل العمر أو الزمن وذلك اشارة الى أن تعرض الفرد للضغوط او التأزم النفسي المؤقت لا يؤثر إنما لا بد أن يكون الضغط الساقط على ذهن الفرد عبر فترة طويلة نسبياً من الزمن. اما الاسباب العارضة فسرعان ما يختفي اثرها بزوال اسبابها.

هذه جملة الاسباب المؤدية الى الاصابة بالمرض النفسي.. ونضيف اليها عاملاً هاماً جداً هو الإيمان الديني والتحلي بسمات الإسلام وخصاله الحميدة وفضائله والسير وفقاً لمبادئه الطاهرة وأداء العبادات والتكاليف والحياة وفقاً للهدى الإسلامي الخالد والظاهر والسوي والقطري.

مضادات القلق السلوكية

ازدياد حدة القلق في هذا العصر:

تزداد حدة الشعور في هذا العصر، الى الحد الذي جعل العصر كله يوصف بأنه عصر القلق والتوتر والصراع والازمات والمشكلات والمعاناة النفسية. ومن خصائص القلق أنه عرض مشترك عام يوجد في كثير من الأمراض النفسية والعقلية، فهو يصاحب مرض توهم المرض، والخاوف الشاذة، كالخوف من رؤية المياه والدم والظلام، وكذلك يصاحب مرض الاكتئاب، الى جانب كونه مرضاً نفسياً خاصاً بذاته. وترجع زيادة مشاعره في هذا العصر لكثير من العوامل والمتغيرات التي يتسم بها هذا العصر، من ذلك زيادة حدة التوتر العالمي والشعور بالفوضى العالمية والضياح بعد أن

هيمنت قوة واحدة على تقاليد الأمور بعد تفكك الاتحاد السوفيتي كقوة توازن رادعة، وشاب العالم حالة من الفوضى والتحيز والاعتداء، السى جانب الحروب الإقليمية والمحلية وحروب التصفية العرقية والسلابية وحركات الانقلابات والتطرف والعنف والارهاب، فضلاً عن التهديد بأسلحة الدمار الشامل وإباحتها لبعض الدول وحرمان البعض الآخر منها مما يخل بالتوازن، ذلك الإخلال الذي ينعكس على نفسية المواطن العادي. فضلاً عن احتدام المناقشة بين الشباب، وارتفاع مستوى طموحهم، والصراعات الطبقية، ونقضى سلبيات كالبطالة والغلاء، وارتفاع المهور، وتعرض حالات الزواج وتكوين الأسرة، والى جانب ذلك ضعف سلطان الأسرة وقلة رقابتها وإشرافها على أبنائها، واشتغال الأب والأم خارج المنزل لساعات طويلة من الليل، علاوة على ذلك ضعف مشاعر الإيمان الديني، وضعف سلطان القيم الأخلاقية، وضعف دور المدرسة كمؤسسة للتثنية الاجتماعية، وغرس المواطنة الصالحة، فضلاً عن اهتزاز القيم الأصيلة في المجتمع بتأثير ما يصدره البنا الغرب من مظاهر ثقافية فاسدة أو تشجيع الإباحية والاتحلال وتغذية مشاعر الاغتراب والمادية والشذوذ، من أجل ذلك نلاحظ ارتفاع معدلات مشاعر القلق والتوتر والتأزم والشعور بالضياع وفقدان الهوية وضعف مشاعر الانتماء والشعور بالغربة في بلدنا. ويصاحب الشعور بالقلق أعراض أخرى جسمية ونفسية وعقلية، منها الشذوذ والسرطان وقلة التركيز والانتباه، وضعف الذاكرة، وقلة الشعور بالهنوء وبالراحة وبالاطمئنان، وكثرة الحركة والتثقل، وقلة النوم، وكثرة أحلام اليقظة، والثورة والتهيج، وجفاف الحلق، وتصبب العرق، والشعور بالتعب من جراء أبسط المجهودات، وصعوبة في الهضم وما السى ذلك، فالقلق حالة عامة تصيب الجسم كله وخاصة إذا كانت شديدة أو عنيفة ومستمرة، بل إن حالة القلق إذا استمرت طويلاً تصيب الإنسان بما يعرف باسم " الأمراض السيكوسوماتية " وهي مجموعة من الأمراض الشائعة في هذا العصر والتي ترجع لأسباب نفسية كالقلق، بينما تتخذ أعراضها شكلاً جسيمياً، ومنها ارتفاع ضغط الدم، والقرح، والربو، والسمنة، وبعض أمراض الدورة الدموية وبعض الأمراض الجلدية، وأمراض اللثة والأسنان .

ولذلك لابد من علاج القلق. وإن كنا نبادر بالقول بأننا نقصد هنا القلق المرضي الشديد فقط ذلك لأن هناك نوعين من القلق : الوردي المحدود والمطلوب والذي يقال في حقه أنه سبب نشأة حضارة الإنسان فلولا انفعال العالم لما فكر فيما يأتيه من المخترعات ولولا انفعال الشاعر لما قرض الشعر وهكذا بالنسبة لكسل المنجزات الحضارية هي وليدة لحظة قلق لدى المبدع، ولكن القلق الضار هو الزائد عن الحد والمستمر بل والقلق الذي لا يعرف صاحبه سبباً له.

كيف يمكن مواجهة القلق ؟

بالطبع هناك الأدوية والعقاقير المهدئة والنومة والمثبطة للحركة والحيوية والنشاط والمضادة للقلق، ولكننا لا ننصح بالإكثار في تعاطيها أو الاعتماد عليها في دفع الإنسان عن نفسه حالة القلق، وننصح باتباع خطوات أو مناهج أو برامج سلوكية تؤدي الى خفض حدة القلق والتوتر والصراع والتأزم والشد العصبي والعضلي دون تعاطي العقاقير والأدوية التي يخشى من أن تسبب إدمان المريض لها.

المضادات السلوكية للقلق :

من ذلك تدريب الإنسان على الاسترخاء التام والمطلق والشامل لكل اطراف وأعضاء جسمه وجوارحه وحواسه مبتدأ بالتدريب على قبض راحة اليد بالعنف والشد ثم استرخائها وفكها وتركها حرة طليقة ثم الشعور بالفارق بين حالة الشد والقبض الشديدة ثم حالة الاسترخاء التام والكامل والمطلق والاستمتاع بحالة الاسترخاء ويتدرب كيف يعيش تجربة الاسترخاء ويشعر بها وبجمالها وبفائدتها، ذلك لان الاسترخاء والقلق نقيضان لا يجتمعان. لا يمكن أن يكون الإنسان مسترخياً وقلقاً في نفس الوقت. فالاسترخاء يزيل حالة القلق ويصرفها ويبعدها. كذلك فإن التدريب على الاسترخاء يمكن الإنسان من التحكم في انفعالاته فيطرد القلق متى شاء.

كذلك فإن توكيد الذات أو تحقيق الإنسان لذاته وإثبات وجوده وشعوره بالثقة في نفسه تطرد حالة القلق، ولا يمكن أن يكون الإنسان مؤكداً ذاته ومثبتاً لها ومع ذلك يشعر بالقلق .

ومن السلوكيات التي تساعد على طرد حالة القلق والشد والتعصب أو الانعصاب، تناول الأطعمة اللذيذة والصحية والفاكهة الجيدة والخضراوات النظيفة والأطعمة الشهية والحلوى، هذه الأطعمة الشهية تذهب حالة القلق وترفع روح صاحبها المعنوية، وهناك أناس يشعرون بالاكئاب عقب تناول وجبات من " الفول المدمس " وآخرون يشعرون بالدوخة بعد ذلك. ولا شك أن هناك رابطة قوية بين ما يتناول الإنسان من طعام وبين حالته النفسية. ولذلك قيل للمرأة إن الطريق إلى قلب زوجها هو معدته، فالطعام الشهى مثله مثل نظافة الجسم وتزيين المرأة نفسها يرفع من روحها المعنوية، كذلك فإن المناظر الجميلة والخلاصة والاحاذة والمناظر الخلوية والهواء الطلق والترييض أو حتى المشي وممارسة الرياضة البسيطة كل ذلك يفك حالة القلق التي قد تحنوي على الإنسان ذاته. كذلك دل البحث والتجريب على أن الاسترخاء التام يؤدي إلى انخفاض ضغط الدم عند المريض، ومن ذلك تمارين اليوجا والتأمل الباطني الداخلي.

ولذلك لم يكن غريباً أن ابتكر علماء النفس السلوكيون منهجاً للعلاج النفسي الحديث يقوم على أساس تمرين الإنسان وتدريبه على الاسترخاء. ويعرف هذا المنهج في العلاج النفسي بأسم " العلاج النفسي السلوكي ". فلو استطاع كل منا أن يخلو إلى نفسه يومياً ولو لفترة قليلة يمارس فيها تدريبات الاسترخاء لاستفاد من ذلك كثيراً واتعكس ذلك على جمال المرأة وصحتها الجمالية وأنوثتها بنوع خاص.

العلاج النفسي الإسلامي

لقد كان للإسلام، بحق، فضل سبق على الحضارة الغربية في كثير من العلوم والمعارف ونظريات العلم ومكتشفاته. وإذا فلا ينكر هذا للفضل الاحقاد او جاهد فلقند كان للإسلام وعلمائه الفضل في نقل العلوم الى الغرب، فاعتمدت الحضارة الغربية على التراث العربي والإسلامي. بل كان لعلماء الإسلام الفضل في المحافظة على معالم الحضارة اليونانية حيث نقلت الى الغرب عن طريقهم، بعد أن قاموا بترجمتها وهضمها وبعد أن أضافوا إليها الكثير من علوم الإسلام. وفي هذه الأيام هناك صحوة إسلامية مباركة وعودة الى التراث الإسلامي الحنيف لبعثه من جديد واستحياء درره والكتشف عن كنوزه. ونحن نحمد الله أن هذه الصحوة يتولاها شباب المسلمين، وهم عدة الأمة وعتاها وحمة مشعل التقدم والرءاء ومن معالم هذه الصحوة المباركة العودة لحظيرة الدين الإسلامي الحنيف والتحي بفضائله والتمسك بمبادئه السمحة وآدابه الرقيقة وقيمه السامية في الحق والخير والجمال والعدل والمساواة والعطف والشفقة الرحمة والتعاون والايثار والمودة والمحبة والطهر والظهارة والعفة والصدق والامانة والصبر والمثابرة والشرف والطاعة والانضباط والجدية وتحمل المسؤولية والبر والإحسان والنعو والشجاعة والاقدم والتضحية والبذل والعطاء والفسداء والولاء والإخلاص والوفاء وغير ذلك من السمات والفضائل التي يفرسها الإسلام في حس المواطن وفكره ووجدانه.

والباحث المسلم لا يمل من التنقيب في طبقات هذا التراث وفي أثنائه لأنه دائماً يكون أمام ينبوع لا ينضب من الغذاء الروحي القيم ذلك الغذاء الذي نحن من اشد الحاجة اليه لنقوى على التصدي لشبح النزعات المادية البغيضة والأفكار الإلحادية ودعوات الانحلال والتسيب وغير ذلك من مظاهر الغزو الفكري الاستعماري للشخصية المسلمة. فإن أعداء الإسلام عندما يعجزون عن غزوه عسكرياً يحاولون غزوه ثقافياً وفكرياً. ضمن هذه الصحوة المباركة ظهور من يقول إن هناك من التراث الإسلامي معالم علم النفس وعلماء التربية. وفي هذا المقال المتواضع أسوق للقارئ المسلم الكريم

استعراضاً لجوانب عملية من أخطر عمليات علم النفس الحديث وأكثرها أهمية وحيوية ألا وهي عملية " العلاج النفسي ". ذلك للعلاج الذي يدعى علماء الغرب أنهم مبتكروه، وهو العلاج الذي أصبحنا في حاجة ملحة ومترابدة إليه بحكم ظروف العصر وروح المنافسة وارتفاع مستوى الطموح وتعقيد الحياة الحديثة وعوامل الحرب التهديد بها .. الخ .

ونبادر الى القول بأن تراثنا الإسلامي حافل بالوسائل والأساليب التي تؤدي الى العلاج النفسي بشقيه الوقاية والعلاج بحيث نستطيع أن نقول بحق أن هناك ما يمكن أن نسميه " العلاج النفسي الإسلامي " . وأن هذا العلاج الإسلامي يستطيع علماء النفس المسلمون المعاصرون أن يقوموا على تنميته وازدهاره وتقدمه وتطبيقه على أبناء الأمة الإسلامية لحمايتهم من الإصابة بالأمراض والاضطرابات والأزمات النفسية والعقلية والخلقية، ولشفاء المصابين من هذه الأمراض وذلك كله مصبوغ بالصبغة الإسلامية النابعة من وجدان الإنسان المسلم ومن حسه وأعماقه. فلا شيء أبلغ من العلاج من الاستغلال بظلال الإسلام والارتواء من معينه العذب والاهتداء بنوره اللوضاء والتمتع بما فيه من رحمة تحتضن الإنسان في حنان وشفقة. ولكي يحكم للقارئ العزيز فهم خصائص العلاج النفسي الإسلامي لأبد وأن نستعرض معاً هذه الخصائص ثم لأبد من التعريف ما المقصود بالعلاج النفسي الحديث وأهدافه وأتواعه.

خصائص العلاج النفسي الإسلامي :

لا يمتاز العلاج النفسي الإسلامي بالسبق التاريخي وحسب ولكنه يمتاز كذلك بما يلي :

- ١ - انه علاج لبماني، أي يعتمد على ترسيخ دعائم الإيمان في نفس الفرد وللإيمان قيمة علاجية عظيمة وقيمة وقاتية تجعل المؤمن يشعر بالأمن والأمان والاطمئنان والاستقرار والهدوء والسكينة والزهة والقناعة في متاع الدنيا وشهواتها والرضا بقضاء الله وقدره.

٢ - انه علاج خلقي بمعنى انه خلقي في منهجه فيحترم كرامة الإنسان ويصونها ويعتمد في الوقاية والشفاء على بث المبادئ الخلقية والفضائل الحميدة في نفس الفرد. ولقد دل البحث الحديث على أن هناك ارتباطاً كبيراً بين الانحراف الخلقي والانحراف المرضي، فكلاهما يقود الى الآخر.

٣ - انه علاج امتثالي، بمعنى أنه يدعو الفرد للامتثال للقيم والمبادئ والمثل العليا والأعراف المساندة في المجتمع، ومن ثم يحقق الفرد تكيفاً واتحاداً ووتاماً مع المجتمع الذي يعيش في كنفه، فيرضى عن المجتمع ويرضى المجتمع عنه.

٤ - انه علاج تعضيدي، بلغة هذا العصر، فهو يقدم العون والمساعدة والتأييد والتشجيع للمريض حتى يرضى عن نفسه ويثق بها ويحرر من مشاعر النقص والدونية.

٥ - انه علاج إقناعي، بمعنى أنه يقوم على أساس إقناع المريض عقلياً بالحللول المنطقية، وهو بذلك يستخدم تأثير العقل الى جانب التأثير في إرادة المريض وفي شعوره.

٦ - إنه علاج سلوكي، بمعنى أنه يستهدف تعديل سلوك الفرد، ذلك لأن العبرة بالعمل الحقيقي وفي إطار الإسلام الدين المعاملة وإذا تعدل سلوك الإنسان وأتى الفرائض وتحاشى المعاصي فإنه ينجو بعون الله تعالى من الامراض.

٧ - انه علاج شمولي، حيث يتناول شخصية المسلم بكافة جوانبها الجسمية والعقلية والروحية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعملية والاسرية...الخ، بل هو يتناول الفرد منذ أن يولد، بل حتى قبل أن يولد، الى نهاية رحلة الحياة.

٨ - انه علاج واقعي، لا يعتمد على الامور الفلسفية او الخيالية او الوهمية.

هذه بعض مزايا العلاج النفسي وخصائصه وهي تميز العلاج الحديث كما يرى القارئ الكريم ولكن ما هو المقصود " بالعلاج النفسي الحديث ؟"

ماذا يقصد بالعلاج النفسي الحديث ؟

يقصد بالعلاج النفسي مداواة النفس المضطربة عن طريق التأثير في نفس المريض وفي عقله وفي سلوكه ويستهدف علاج اضطرابات الشخصية وسوء التكيف والأمراض النفسية والعقلية ويسعى لاعادة ثمنع الفرد بالتكيف الملائم. ويمكن تلخيص أهداف العلاج النفسي فيما يلي :

١ - زيادة وعي الفرد واستبصاره وفهمه لذاته فهماً صحيحاً وموضوعياً ويعيداً عن المغالاة والمبالغة.

٢ - حل أو تصفية الصراعات التي تسبب عجز الإنسان وتبديد طاقته وتحرمه من السعادة والشعور بالارتياح.

٣ - العمل على زيادة قبول الفرد لذاته والرضا عنها، لأن رضا الفرد عن ذاته أساس لرضاه عن المجتمع.

٤ - تزويد المريض بأساليب أكثر كفاءة للتعامل مع مشاكله ومن ثم التغلب عليها.

٥ - تقوية الذات الوسطى وتدعيم بنائها في الإنسان وذلك عن طريق توفير الشعور بالأمن والأمان. وعلى الجملة نستطيع أن نقول أن العلاج النفسي يستهدف إعادة تكيف الفرد مع نفسه ومع البيئة التي يعيش في وسطها وتحريره مما يكبل طاقته من الازمات والتوترات والعقد والأمراض كالقلق أو الاكتئاب أو توهم المرض أو الخوف الشاذ من أمور لا تثير الخوف من الشخص العادي كالخوف من الماء والنار والظلام والدم.

وهناك مناهج متعددة تستخدم في العلاج النفسي الحديث، ذلك العلاج الذي يبدأ بالطبع بعد اجراء عملية تشخيص دقيقة للتعرف على كنه المرض وأسبابه من ذلك العلاج عن طريق التحليل النفسي ويعتمد على الكشف عن محتويات منطقتي اللاشعور وسبر أغوارها وارتياح مجاهيلها ومساعدة المريض على اطلاق عنان تلك الانفعالات الحبيسة والتي تعمل في أعماق ذاته، تحريرها واطلاق سراحها ويعتمد التحليل النفسي على تحليل أحلام الفرد وتفسيرها وعلى عملية التداوي الحر حيث يرقد

المريض على أريكة مريحة ويسترخي استرخاءً تاماً، ثم يطلق العنان لأفكاره وخوابره فيفصح عنها ويطلق عقالها وبعد إطلاق سراح تلك الرغبات والنوافع المحبوسة، يتم تبصير المريض بها، ويتم فهم حالته فهماً موضوعياً مقبولاً وبهذا يتم الشفاء.

ومن أظهر اساليب العلاج الحديث ما يعرف باسم العلاج السلوكي، وهو قائم على اساس افتراض أن الأمراض النفسية عبارة عن عادات متعلمة أي تعلمها الإنسان، وإن كان تعلماً خاطئاً أو سلبياً، كمن يخاف من الظلام أو من الحشرات ويقوم العلاج على أساس محو أو إزالة هذا التعلم وغرس عادات ايجابية لتحل محل العادات السلبية. ويتحقق ذلك عن طريق ربط أو اقتران العادة السيئة ببعض المشاعر الضارة ومن ثم يكرهها الإنسان ويبعد عنها فمدمن الخمر تضع له سراً في كوب الخمر عقاراً يسبب شعوره بالقيء أو الدوخة أو المغص ومن ثم يرتبط هذا الشعور برؤية الخمر فيكف عن تعاطيه.

ومن اساليب العلاج النفسي الحديث العلاج الجماعي، وفيه تتم معالجة مجموعة كبيرة من المرضى دفعة واحدة، شريطة أن يعانون من مرض واحد ويمتاز هذا النوع من العلاج بالاقتصاد في الوقت والجهد. وهناك ما يعرف باسم السيكوندريما وفيه يحصل الشفاء عن طريق قيام المريض بتمثيل مشكلته على خشبة المسرح أمام زملائه الذين يشتركون معه في رسم خطة العلاج. وهناك أنواع متعددة من العلاج منها ما يعرف باسم العلاج المتمركز حول المريض، وفيه تترك الحرية للمريض كي يدير الحوار مع الطبيب فيما يعن له من مشكلات وآلام. ثم هناك العلاج الاسري الذي يتناول علاج أسرة المريض نفسها. ثم هناك العلاج الكتبي وفيه يكلف المريض بقراءة بعض الكتب التي تعينه على أن يناقش مضمونها مع المعالج.

وهناك العلاج عن طريق العمل حيث يكلف المريض القيام ببعض الأعمال التي يجد من خلالها ذاته ويشعر بقيمته. كذلك هناك العلاج عن طريق الاشتراك في الأنشطة الترفيهية. كذلك فإن العلاج الموسيقي يوفر فرصة للتفيس لدى المريض بعد سماع قطع موسيقية معينة. وهناك العلاج عن طريق الرسم وغيره من ضروب الفن

التشكيلي ثم هناك العلاج عن طريق التتويم المغناطيسي ثم العلاج عن طريق الظل أو للأوى ويصلح هذا النوع الأخير لعلاج التلعثم في الكلام وهناك ما يعرف باسم العلاج الجشنتي نسبة الى مدرسة الجشنتل وهو مدرسة ألمانية في علم النفس وهو ضرب من ضروب العلاج الكلي او الشمولي.

شفاء النفس بالطرق الإلهامية:

يستهدف الإسلام تكوين المؤمن القوي والسليم والمعافي، كما يستهدف شفاء النفوس أو القلوب بما يصيبها من علل وأمراض. وهو بهذا يتفق مع العلاج النفسي الحديث وإن كانت الأساليب والإجراءات تختلف بعض الشيء فالحياة الروحية الإسلامية كلها حافلة بما بقي المسلم من الإصابات بالأمراض النفسية والعقلية، وبما يكفل له الشفاء إذا ما أصيب بأي منها. ويكفي أن يعود المريض الى حظيرة الإيمان ليعيش في ظله للظليل وفي رحابه الفسيحة. وهناك كثير من الأساليب التي تكفل التمتع بالصحة العقلية والنفسية ومن ذلك ما يلي:

١ - الدعاء والرجاء

هناك كثير من الأدعية والأذكار التي يقولها المسلم عند الاستيقاظ وعند النوم، وأخرى تقال في كل وقت، ومن شأن هذه الأدعية، من الناحية النفسية والطبية أن تشعر صاحبها بالأمان والاستقرار والهدوء والسكينة والرضا والاعتماد على الله الذي هو أقرب الى الإنسان من حبل الوريد وكذلك شعوره بالراحة والاسترخاء والقناعة والزهة ومن ثم شعوره بالسعادة الغامرة وتلاوة القرآن الكريم والاستماع الى آياته تكفلان الشعور بالرضا والسعادة والاطمئنان وتطردان مشاعر البغض والسخط والكراهة والحقد والغل والكبد والانفصام والجشع والأنانية والطمع والعدوان وكلها من أسباب نشأة الأمراض النفسية ومن الأدعية المباركة ذات الأثر الطبي النفسي العميق دعاء الرسول الكريم " من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله ويحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا واحد قال مثلما قال أو زاد " رواه مسلم.

وروى مسلم عن أبي هريرة " قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتي البارحة قال: أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ". وروى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ إذا أمسى قال أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله ولا إله الا الله وحده لا شريك له قال للراوي أراد قال فيهن له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خيراً ما في هذه الليلة وخيراً ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر وأعوذ بك من عذاب في النار وعذاب من القبر وإذا أصبح قال ذلك أيضاً أصبحنا وأصبح الملك لله. ومن الأدعية التي تقال عند النوم، وتساعد على النوم الهادئ للخالي من الأحلام المزعجة والكوابيس " أن الرسول ﷺ كان إذا أوى الى فراشه قال باسمك اللهم أحيى وأموت " رواه البخاري.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له ولعاطمة رضي الله عنها " إذا أويتما فراشكما أو إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا ثلاثاً وثلاثين وسبحا ثلاثاً وثلاثين واحداً ثلاثاً وثلاثين " متفق عليه. وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ كان إذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه أتت فيهما بسلاماً بينهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما من رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات " متفق عليه.

وللوضوء أثر نفسي علاجي ووقائي وفيه شعور بالراحة والنظافة والحساس بحلوة الإيمان والقرب من الله والاسترخاء. كان الرسول يقول: " للبراء بن عازب رضي الله عنهما قال له الرسول " إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم ما أسلمت نفسي لك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك أمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت فإن مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول " متفق عليه. وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي له " رواه مسلم. وهناك أدعية يقولها المؤمن في أي وقت يشاء قال رسول ﷺ " لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر

أحب إلي مما طلعت عليه الشمس " رواه مسلم. وعنه ﷺ أنه قال " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : " سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ". متفق عليه . وقوله ﷺ لأبي موسى رضي الله عنه " قل لا حول ولا قوة الا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة " متفق عليه .

قول الرسول ﷺ " الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السموات والأرض " رواه مسلم. وكان الرسول ﷺ يدعو عند الكرب " لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم " متفق عليه. وفي الدعوة لذكر الله تعالى يقول القرآن الكريم: ﴿ إن في خلق السموات والأرض واحتلالهن الليل والنهار آيات لآولي الألباب الذين يحذرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ (آل عمران ١٩١) ، وفي دعوة المؤمن للصبر يقول تعالى ﴿ وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ﴾ (الكهف ٢٨) . وفي الدعوة للتضرع الى الله يقول تعالى: ﴿ وأخضر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة وحقون الهجر من القول بالعدو والأحبال وله تمن من الغافلين ﴾ (الاعراف ٢٠٥) وفي الدعوة للتسبيح بحمد الله وشكره يقول تعالى: ﴿ صبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ (طه ١٣٠) . والله تعالى يستجيب لدعاء الناس وفي ذلك شعور بالخلاص والايجاز. يقول تعالى: ﴿ وقال ربهم اجنوبي استجب لعمهم ﴾ (غافر ٦٠) وقوله تعالى: ﴿ وإذا مالك بما يحيى يخيء فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ (البقرة ١٨٦) .

ويقول النبي ﷺ " اللهم آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " متفق عليه. ويقول كذلك " اللهم أني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى " رواه مسلم. وكان الرسول الكريم يعلم الناس الصلاة وأن يطلبوا الغفران والرحمة والعفو والهداية والرزق والطاعة لله تعالى والاستعاذة بالله من البلاء والشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. وعنه أنه قال : اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي من كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر " رواه مسلم. وكان يطلب

الهداية والسداد ويستعيز من العجز والكسل والجبن والهزم والبخل ومن عذاب القبر ومن الفتنة.

هذه لمحات عابرة من أسلحة الإسلام في شفاء الناس ووقايتهم من الأمراض بمنهاج واحد ومبسط لأن كل كلمة وكل تشريع جاء به الإسلام وكل نهي أو تكليف إنما له أثر مباشر أو غير مباشر على صحة الفرد النفسية والعقلية والخلقية؛ فإلى جانب هذه الأدعية هناك الدعوة لتحاشي الغضب والمعاصي والذنوب والشر والجريمة ثم هناك الدعوة للتخلي بالتقوى والورع والخشوع واليقين والإيمان... الخ.

مناهج العلاج النفسي الحديث

مفهوم العلاج النفسي وأهدافه :

يقصد بالعلاج النفسي تلك العمليات والإجراءات التي يقوم بها الأخصائي النفسي، بقصد إعادة تكيف الفرد مع نفسه ومع المجتمع المحيط به، أي معالجة الاضطرابات أو الأمراض النفسية " الاصبية " والأمراض العقلية " الذهانات " والاضطرابات السلوكية أو الأخلاقية، والأمراض السيكوسوماتية أي النفسية، حيث يقرر الأخصائي المعالج الرعاية والخدمات العلاجية في شكل جلسات فردية تخصص مريض واحد بعينه أو في شكل جلسات جماعية تخصص مجموعة من المرضى، فيما يعرف باسم " العلاج الجماعي *Group therapy* " .

فالعلاج النفسي *Psychotherapy* يستهدف المعالجة *Treatment* القائمة على استخدام المناهج العلمية المجربة، وعلى أساس من التشخيص *Diagnosis* الموضوعي والعلاج النفسي يقوم على أساس استخدام الألفاظ لإزالة الاضطرابات السيكولوجية دون استخدام العقاقير أو الصدمات أو الجراحة والحقيقة أن مناهج العلاج وعلم النفس تتفاوتت تفاوتاً كبيراً فيما بينها.

وعلى ذلك تختلف المعالجة المطلوبة باختلاف الحالة المرضية التي تتطلب العلاج. المعالجة تستهدف تكيف الفرد مع البيئة وإشباع حاجاته، بقصد إعادة السعادة والرضا للفرد، ومن ثم إطلاق سراح قدراته، بحيث يصبح طاقة منتجة فاعلة في المجتمع.

ومن أشهر المناهج في العلاج، العلاج النفسي *Psychotherapy* في مقابل العلاج الطبي. ويتضمن هذا المنهج عدداً من الخطوات، التي تقع ضمن نوعين من العلاج :

أ - العلاج التوكيدي أو التعضيدي *Supportive therapy*

ب- العلاج بالاستبصار أو الفهم أو البصيرة *Insight therapy* أو منهج الكشف أو الاستكشاف *Uncovering*

النوع الأول : أي العلاج التوكيدي، يستهدف إعطاء الفرد المساعدة الكافية، لكي يقف في مواجهة صعوبات الحياة، دون أن يتضمن ذلك إحداث تغيرات جوهرية في شخصية المريض، وخاصة في سماتها المستديمة. فالشخص الذي يعاني من مشكلات أو الذي يعاني من القلق أو التعاسة أو المضايقة الانفعالية، بسبب بعض الاضطرابات في البيئة، يتم مساعدته عن طريق تقديم الإحباط والافتراحت والإقناع وتزويده بالمعلومات والحقائق والتعليمات الخاصة " بماذا يعمل " وهكذا. وما أن تنتهي الصعوبة حتى يعود الفرد كما كان بالضبط سليماً معافى.

المعالجة التي تهجم الأعراض وتعمل على إزالتها دون التعرض أو الغوص في الأسباب منها هذا النمط العلاجي التعضيدي.

فعلی سبیل المثال، يمكن إزالة العمى الهستيرى *Hysterical blindness* ويمكن إزالته باستخدام الإحباط التكويمي *Hypnotic suggestion* حتى يشفى المريض تماماً من العمى. ولكن الأسباب الدينامية وراء العمى الهستيرى ما زالت موجودة، وقد يظهر العمى على المريض ثانية أو أن الأسباب القائمة قد تؤدي الى ظهور أعراض أخرى، كأن يفقد المريض الإحساس في أحد أعضاء جسمه كالذراع أو اليد أو القدم.

فالفرد يظل كما هو دون تغيير، ولكننا تمكنا من إزالة الاعراض فقط. فالعامل السببي الذي أدى الى ظهور العَرَض ما يزال قائماً، ولذلك قد يعود العرض كما هو، أو يظهر في شكل آخر أي يتحول الى منطقة أخرى، وهكذا، يظهر بصورة مقنعة خفية أو رمزية.

وهناك منهج من مناهج العلاج النفسي، يفترض أن الأمراض النفسية أو الاعراض تحدث من جراء عملية تعلم، كتعلم الطفل الصغير الخوف من الظلام، أو الخوف من الوحدة، وعلى ذلك يكون العلاج بإزالة هذا التعلم ثانية أو على القليل عن طريق استخدام مبادئ التعلم في العلاج.

ويرجع هذا المنهج الى عالم النفس وولب (*Wolpe* ١٩٥٨) فيما يعرف باسم العلاج السلوكي *Behavior therapy* وكذلك أعمال أيزنك (*Eysenck* ١٩١٠) من هذه المبادئ المستعملة في التعلم، وفي العلاج، مبدأ التعزيز الايجابي أو السلبي أي اعطاء التعزيز والمكافأة للفرد على سلوكه الجيد، واعطائه العقاب على سلوكه السيئ المطلوب تخليصه منه.

وتعطي هذه التعزيزات عندما يكون الفرد في حالة تامة من الاسترخاء العضلي والعقلي^(١)، والحقيقة أن الإرشاد النفسي *Counseling* والتوجيه، إنما هما عمليتان من عمليات التعضيد أيضاً (*Supportive Guidance*) ومعروف أن الإرشاد النفسي يختلف عن العلاج النفسي، من حيث أنه يتناول المشاكل النفسية الخفيفة نسبياً، والتي لا تحتاج الى العلاج النفسي، كالذهانات العقلية أو الاعصبة النفسية الحادة، أما التوجيه فيتم بهدف مساعدة الفرد في الحصول على مهنة تناسبه على سبيل المثال.

من مناهج العلاج النفسي واسعة الاستخدام أيضاً منهج العلاج النفسي بالتحليل النفسي *Psychoanalysis* وهو من المناهج القائمة على الاستبصار *Insight therapy* في هذا المنهج يساعد المحلل المريض لكي يفهم نفسه بصورة افضل، وذلك من خلال الجلسات التحليلية المخصصة للعلاج *Analytic sessions* عن طريق

^١ - عبد الرحمن العيسوي، العلاج النفسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

تدريبه على التعامل مع المنغصات الإنفعالية التي يعاني منها، وذلك بصورة أكثر فاعلية وأكثر فهما واستبصارا، تلك المنغصات التي نما حيالها حيلة دفاعية لا شعورية غير ملائمة *Maladjustive defense Mechanisms* ومن خلال الجلسات، التي تتسم بالتعزيب والتسامح والقبول والحماية، فإنه يكشف عن انفعالاته، وعن آلامه وصراعاته ونوتراته، يكشف عن ذلك للمحلل الذي يكون قد كون تجاهه رابطة عاطفية *Emotional Rapport* ملؤها الشعور بالثقة والتفاهم. فسي أثناء جلسات التحليل " يحول " المريض انفعالاته الايجابية أو السلبية، كالحب أو الكراهية، من مصدرها الأصلي كالاب أو الأم الى شخص المحلل، وتعرف هذه الحيلة الدفاعية اللاشعورية باسم " عملية التحويل *Transference* " وهذه العملية دابيل على تقدم العلاج.

يفهم المحلل الأسباب التي دعت المريض للقيام بسلوك معين، أو لماذا فكر على النحو الذي فكر فيه أو الطريقة التي شعر بها، لأن السبب يكون قد انكشف أو تكشف أمامه، ولذلك في الإمكان أن يقلع عن السلوك السلبي، ويتوقف عن القيام به، وأن يتبنى منهجا آخر أو سلوكا آخر أكثر ملائمة وتوافقا وتكيفاً أو أكثر صحة وسواء وأكثر فهما لأحداث الحياة اليومية.

هذا الاستبصار ليس عقليا فقط، وإنما هو أيضا انفعالي أو وجداني، لأن الإنسان عليه أن يفهم الجوانب المتعددة لتطبيق حلوله لفكره ومشاعره وسلوكه، وأن يقبل كل هذا وليس كافيا يفعل ذلك عقليا. لابد من الوتأم بين الفكر والوجدان أو الفكر والشعور وإلا كان هناك فصاما أو انقساماً في الذات.

وهناك منهج آخر من مناهج العلاج بالاستبصار وهو العلاج المتمركز حول العميل أو العلاج للتسامحي أو العلاج غير الموجه *Non Directive or The Client-Centered Therapy* وهو الذي نماء وغذاه كارل روجرز *Rogers* (١٩٥١م).

وفي هذا النمط من العلاج، يكون المريض نفسه أو العميل هو المسؤول عن العلاج وتوجيهه وجلساته. المعنى المقصود من هذا المنهج أن المعالج لا يوجه

سير أو خطوات الجلسات، فليس فيه توجيه من قبل المحلل -*Nontherapist directed* ومرعز الاهتمام على العميل لكي يفهم نفسه. وعلى المحلل أن يقتني اتجاهات تسامحياً نحو العميل *Permissive attitude* وأن يعبر تعبيرات لفظية للعميل. وهذه الساعة، أي مدة الجلسة، مخصصة لك أنت.. انها ساعتك أنت، افعل فيها أو بها ما تشاء.. تحدث عما تحب أن تتحدث عنه، تكلم عما تريد..

المحلل يشجع للتعبير الحر الطليق عن المشاعر. والمحلل يستجيب فقط لما يعتقد انه مشاعر العميل، وعليه أن يكون حذراً بحيث لا ينصح ولا يقنع العميل بشيء. وعلى ذلك يبدو أن دور المحلل دوراً سالياً، ولكن هذا في الظاهر فقط.

وليس للمحلل أن يسعى لمعرفة ماذا يجري، لأن المقصود هو الاستبصار الذاتي للعميل، ولكن على المحلل فقط ان " يعكس " أو يردد الانفعالات والمشاعر التي يبديها العميل *To Reflect The Patient's Feelings* وأن يقول لفظياً أو يصيغ في ألفاظ مشاعر العميل كما هي *To Verbalize Feelings as they are* وفي هذا المنهج يفترض أن المريض لديه إمكانية هائلة للنمو الذاتي، وأنه قادر على اكتساب الفهم الذاتي والاستقلال الذاتي، وفي مرحلة ما من مراحل العلاج سوف يتضح له أنه لم يعد في حاجة الى جلسات العلاج وتلقائياً ينهي جلسات العلاج.

وفي هذا المنهج لا يوجه اهتمام كبير الى عملية التشخيص لأنها ليست ضرورية، ولقد وجه الكثيرون انتقادات قوية إلى هذا المنهج على اعتبار أنه سطحي، وفي الغالب ما يقوم به أشخاص غير مدربين، تدريباً كافياً.

إن مجرد قبول مشاعر العميل ليس كافياً، وأن هناك في الحقيقة توجيه نشط حتى إذا لم يتبين ذلك المحلل، وأن يكون المحلل واعياً ومركزاً لهذا التوجيه للنشط وليس متروكاً الى الاستبصار الذاتي للمريض وحده *Self-Insight* .

وهناك حالات تعد نصف المعرفة وهذه مسألة خطيرة بالنسبة لها.

ولقد أجرى روجرز وزملاؤه وتلاميذه عدداً كبيراً من البحوث حول هذا المنهج ونتائجه وفي طبيعة العملية العلاجية ذاتها، وكان الفضل الأول يرجع إليهم في استخدام آلات التسجيل الصوتي لجلسات العلاج، من أجل الأغراض البحثية

والتدريبية. وأخضعوا أنفسهم للبحث أكثر من أي جماعة علمية أخرى. فلم يكن منهجهم مغلقاً أمام البحث العلمي.

ومهما اختلفت طرائق العلاج ومناهجه، فإن هناك عدداً من المبادئ التي يتعمين توفرها في كل مناهج العلاج، من ذلك ضرورة أن يثق المريض في المعالج ثقة كبيرة، لكي يتم التغيير المطلوب حدوثه في الشخصية وفي السلوك. فإذا لم يشق في قدرة المعالج، فمن النادر أن تتحقق النتائج المرجوة. وقضية توفر الثقة *Confidence* جزء من كل أكبر من ذلك هو شخصية المعالج نفسه. لا بد أن تكون شخصية سوية، وقادرة على ممارسة العلاج، وعلى التأثير في الغير، ومن سماته الثقة في النفس *Self-Confidence* أي أن يكون المعالج واثقاً من نفسه، والتسامح والهدوء والود أو الصداقة، والقدرة على تناول المشكلات دون أن يصدر حكماً فيها، ومن سماته كذلك الصبر والذكاء والفتنة، وسرعة البديهة، والكياسة، واليقظة والخبرة لإدراك مشاعر المريض ولحساساته، والقدرة على التحليل والربط والاستخلاص، والقدرة على الفهم والمهارة في استخراج المعاني والدلالات من أقوال المريض أو من سلوكياته، وتحليل المواقف وربط الأحداث، وفوق كل ذلك حب الناس والرغبة في مساعدتهم وحب المهنة والميل إليها. وكل ما يصنع المعالج الجيد يجب أن يتوفر فيه وكذلك والقدرة على خلق جو صالح للعلاج *Therapeutic atmosphere*.

ومن الجوانب الحيوية في عملية العلاج، اعطاء الفرصة لحدوث عملية التصريف الانفعالي أو للتفريغ الانفعالي أو اطلاق سراح الانفعالات الحبيسة في صدر المريض، والإفصاح عن آلامه وأحلامه *Catharsis = Getting Some Thing Off One's Chest* سواء أكان هذا التصريف بالأفعال أو بالأقوال. إن صبب أو تفريغ المواد المشحونة انفعالياً عمل مفيد في حد ذاته.

ويحدث هذا التصريف في العلاج عن طريق اللعب *Play Therapy*، حيث يساعد هذا المنهج في حل مشاكل الأطفال بنوع خاص، عن طريق اللعب، ومن خلاله، واللعب وسيلة طبيعية للتعبير عن الذات لدى الأطفال.

حيث يتم تشجيع الطفل على استخدام الدمى والألوان والرسم والصلصال

والماء بالطريقة التي يرغب فيها الطفل.

وعن طريق هذا اللعب يحصل الطفل على الراحة *Feeling of Relief* فلقد أحيل طفل للمعالج النفسي، كان يشكو من نوبات من الثورة والغضب والتهييج وحدة المزاج، وعدم الكلام لفترات، وفقدان الميل للاستجابة *Alack of responsiveness* للتعاطف أو المثبرات العاطفية، وبعد أن تلقى ١٨ جلسة من جلسات العلاج باللعب، أصبح عاطفيا أكثر، واصبحت نظرته انبساطية أكثر مع زيادة في قدرته الكلامية.

ودون الحاجة الى التفسير فإن جلسات العلاج باللعب ساعدت في تحسين حالته. هذا النمط من العلاج من الممكن أن نسميه "العلاج التعضيدي".

فالعلاج باللعب من الممكن أن يكون علاجاً "تعضيدياً" ومن الممكن أن يكون "استبصارياً" ومن المظاهر الاستبصارية في العلاج باللعب أن الطفل بحسده شخصية الأم أو الأب أو الأخوة من بين الدمى التي يلعب بها، مع الإشارة الواضحة الى المشاعر التي يظهرها الطفل حيال كل واحد من هؤلاء.

فإذا لعب الطفل بدمية أنثى وأخيها الذكر، وإذا قال أن الولد على خلاف مع شقيقته. فليس من الصواب أن يسرع المعالج الى التفسير، ولكنه "يعكس" هذا المعنى اولا عدة مرات حتى يتأكد منه ولا يستنتج إلا عندما يقول الطفل نفسه "انني ايضا زعلان من أختي". عندئذ يحق للمحلل أن يفسر ذلك بالقول بأن الطفل يشعر بالعداوة نحو شقيقته وذلك من خلال عملية اللعب.

وهنا نرى أن عملية التفسير تحدث مع عملية الراحة *Release* حيث يحصل الطفل على الراحة ويكون شعورا بالثقة في المحلل حتى يستطيع أن يواجه شعوره بالعداوة تجاه شقيقته.

ومع نجاح العلاج النفسي في كثير من الحالات إلا أننا لا نستطيع أن نقول انه يصلح في جميع الحالات العقلية والانفعالية والسيكوسوماتية والأخلاقية، ذلك لأن للعلاج النفسي حدودا وأكثر أهمية من العلاج النفسي وتقنياته وسائل الوقاية، فالوقاية، كما يقال، خير من العلاج.

الأسس الإسلامية والطبية لعلاج البول الليلي والوقاية منه

إسلامنا الحنيف دستور جامع شامل لكل جوانب حياة الفرد والجماعة. فالسهدى الإسلامي الخالد ينظم حياة الإنسان ويرشده ويوجهه ويهديه الى سواء السبيل والى التمتع بالحياة الآخرة والحياة الدنيا وبالصحة العقلية والنفسية والأخلاقية وبالفطرة السوية التي فطر الله عليها للناس، ولذلك ما من جانب من حياة المسلم الا ووجد في تعاليم اسلامية سمحة، عقيدة وسلوكاً، الهدى والارشاد والمسداد والتوجيه والتعليم والتربية الصالحة. وفي مجال الصحة النفسية يحفل اسلامنا الخالد بالمبادئ العامة والقواعد والاصول التي تحفظ على الإنسان صحته الجسمية والعقلية والنفسية وتصون كرامته وتدفعه للطاعة والانترام والتوسط والاعتدال والانصاف والبر والاحسان وحسن المعاملة والتصدق والكرم والعطاء والوفاء بالعهود والوعود والرحمة والشفقة والسهدوء والرفق والسكينة والتوكل على الله والرضا والقناعة والزهد.. وما الى ذلك من القيم الخالدة على مر العهود ولدهور.

وفي مجال الأسرة، يحيط الإسلام ابناؤها بسياج من القيم التي تحمي من الاصابة بالاضطرابات والأمراض والعلل، والخلل، ومن ذلك العدل مع العيال والتوسعة عليهم والرحمة بهم وعدم الضجر أو التبرم من انجابهم، لأن الله رزقهم ونحن معهم، وعدم استعمال القسوة أو الغلظة والخشونة معهم، وعدم التفرقة في التعامل بينهم وحبهم واعتبارهم فلذات اكبادنا وقرة اعيننا، وهم فوق كل هذا احباب الله. وفي هذا المقال المتواضع استعراض لمشكلة من المشاكل النفسية التي قد يتعرض لها نفر غير قليل من أبنائنا وهي التبول اللاارادي، وفي هذا المقال مزج وتوفيق بين التعاليم الطبية الحديثة واصولها الاسلامية في شكل المبادئ التي تحول دون وقوع اسبابها، كالبغية من الاخوة والاخوات أو عدم توخي الآباء العدل مع العيال او حرمانهم، وعدم التوسعة عليهم او الضجر بإنجاب الإناث دون الذكور، او البعد عن

المناخ الإسلامي الذي لاحظ الأسرة المسلمة بسياج من الرحمة والمودة والسكينة. وحين تستعرض اساليب العلم الحديث، فلا ب من التأكيد أن إسلامنا قد أمرنا بالأخذ بالأسباب، وأن له فضل السبق في ربط حياة الإنسان بنسق عظيم من القيم والمبادئ، والقواعد والأصول التي تحفظ عليه، صغيراً أو كبيراً، حياته العقلية، وصحته النفسية.

طبيعة التبول اللاإرادي :

التبول اللاإرادي *Enuresis* عبارة عن انسياب او تنفق او نزول البول لا اراديا. وقد يحدث خلال النوم أو أثناء اليقظة، وما يحدث منه في الليل يسمى البول الليلي *nocturnal enuresis*. وقد تتضمن هذه الظاهرة المرضية انقلاط للبول فسي أثناء المشي نهاراً، وهنا يسمى " البول النهاري " وهي حالة من حسن الحظ نادرة الحدوث "أي البول النهاري " .

ويعرف انجلش، وانجليش *English* بأنه الاخراج اللاارادي للبول
. *Inroluntary discharge of Urine*

عملية التبول اللاارادي، في شكلها الطبيعي، تحدث عندما تمتلئ مثانة الطفل بالبول لأن امتلاء مثانة الطفل بالبول يصدر تأثيراً يحرك بصورة آلية عملية التبول *Urination* ومن ثم تفرغها. يجب أن يكون الطفل ناضجاً لدرجة تمكن عضلاته العاصرة من مقاومة التفرغ حتى يقوم الطفل بعملية التفرغ هذه اراديا. الطفل الصغير يكون عاجزاً عن التحكم في هذه العملية في أثناء اليقظة، وبالتالي يبيل فراشه في أثناء النوم، ولكن هذا امر طبيعي بالنسبة للسنوات الاولى من حياة الطفل. والتحكم المطلق لا يتأتى لمعظم الاطفال قبل سن المدرسة.

ولا توجد دراسات تقطع بالسن المحددة التي يصل فيها جميع الاطفال الى القدرة على ضبط المثانة. وهناك بعض الأطباء الذين يحددون العمر من ٣ - ٨ سنوات ويبدو أثر الوراثة واضحا في هذا الاضطراب.. ويمكن تمييز نوعين من التبول .
اللاإرادي :

١ - النوع المزمن *Chronic*

٢ - النوع النكوصي أو الانتكاسي *Regressive*

في النوع الاول الطفل لم يحدث أن تمكن من ممارسة ضبط المثانة قبل ذلك ويستمر في ذلك.. وهناك من يتبول لاراديا سواء في النوم أو في البقطة، وفي هذه الحالة قد تستمر مرحلة المراهقة والرشد. وفي هذه الحالة قد يرجع الاضطراب الى الوراثة *Heredity*.

اما في النوع النكوصي، فان ضبط المثانة يكون الطفل قد وصل اليه فيما مضى، ولكنه توقف عنه الآن. وربما يرجع ذلك الى التعرض المفاجئ لنوع من الضغوط، أو التوترات أو الصراعات. من ذلك ميلاد طفل جنيد في الأسرة ومن ثم شعور الطفل بالغيرة وعدم الأمان *Jealousy and Insecurity* وهو نوع انتقالي وقد يكون بل القرائن ضربا من الانتقام من الأباء أو الثثار .. وتكمن الصعوبة إذا أدى التبول اللارادي الى السخرية من الطفل عن طريق الاطفال الآخرين، وكذلك الكبار في الأسرة أو في المدرسة. هذا السلوك السيئ قد يؤدي الى شعور الطفل بعدم الامان وبالنبذ والطرده، وقد يؤثر ذلك في شعور الطفل باحترامه لذاته *Selfesteem*. ويتصل بهذا الاضطراب ايضا " التبرز اللارادي *Encopresis*."

ان مشكلة التبول اللارادي تعد اكثر اهمية اذا حدث هذا التبول بالنسبة للاطفال والكبار. وتقول بعض التقديرات ان هناك خمسة ملايين طفل ومراهق امريكي يعانون من ذلك. وتأخذ هذه النسبة في الانخفاض بتقدم الاطفال في العمر. في سن ٧ سنوات هناك ٢١% من الذكور، ١٥% من الاناث يعانون من ذلك. وينخفض هذا المعدل الى ٣% للذكور، ٢% من الاناث في سن ١٤ سنة. والواقع أن معظم حالات التبول اللارادي تكون موجودة منذ الميلاد. ويسمى " التبول اللارادي الاولي " بينما هناك نسبة قليلة قد ترثد اليه بعد أن تكون قد تمكنت من ضبط المثانة وفي هذه الحالة يطلق عليه " التبول اللارادي الثانوي " وهو النوع الاخير - أي الثانوي - يرتبط بالصراعات الانفعالية التي توجد لدى الطفل وهو في محيط الأسرة. فقد يرتد الاطفال

الذين هم في السن من ٣ - ٥ سنوات الى عادة بل الفراش اذا ما رزقت الأسرة بمولود جديد او اعترى حياتهم نوع من الاضطراب أو القلق.

لقد تساءل بعض العلماء عما اذا كان التبول اللارادي ظاهرة مرضية، أي عرض مرض أم مجرد عادات خاطئة. وتدور معظم الآراء حول كون هذه العادة السلبية ناجمة عن سوء عملية تدريب الطفل على ضبط المثانة. وجدير بالاشارة ان التبول اللارادي يعد سلوكا طبيعيا في عمر معين، وبعد شأذا في عمر آخر..

ومن الاسباب الغريبة التي تكمن وراء التبول اللارادي ان الطفل الكبير بعد ان ترزق الأسرة بطفل آخر. قد يقلد الطفل الكبير للطفل الصغير فيبل فراشه مثل أخيه.

وقد يحدث التبول اللارادي في أثناء الحلم الذي يجسد للفرد أنه يقضي حاجته، فإذا به بلل فراشه، وقد تكون هذه الأحلام بالنسبة للكبار ذات طبيعة جنسية، حيث يسبب التبول نوعا من الأشباع الجنسي. وتتراوح معدلات التبول اللارادي من حدوثه في كل ليلة الى حدوثه فقط عندما يكون الطفل خاضعا لضغوط شديدة، وفي الغالب ما يحدث بين ٢ - ٥ مرات اسبوعيا. ويوجد التبول اللارادي بين الكبار بنسبة غير معروفة على وجه الدقة. ولكن بعض الدراسات وجدت حوالي ١٢% منهم مصابون به. كما وجدت هذه النسبة بين الجنود في محطة لتدريب جنود البحرية الأمريكية. وقد سجلت ١٦% من مجموعة مكونة من ١٠٠٠ من مراكز الاختيار في الجيش، قرروا انهم خبروا التبول اللارادي بعد سن الخامسة. وكان هناك ٢٥% خبروا ذلك في سن ١٨ سنة وما بعدها. وتقل نسبته بالتقدم في السن. ولا يوجد حالات تعاني منه فيما بعد الثلاثين الا اذا كان ذلك لأسباب مرضية عضوية.

وتقرر حالات من الاثاث عاين منه حتى سن ١٤ سنة. وتقرر أم أمريكية انها عانت منه حتى سن الزواج، وكانت اختها للبالغة من العمر ٢٠ عاما تعاني منه ولم تجرؤ على المبيت خارج منزلها في هذه السن، وفقدت الالتحاق بالجامعة لهذا السبب، وكان شقيقها في المدرسة الثانوية يبل فراشه كل ليلة. وكانت هذه الام تصر على

إنكار أن هذه الحالة قد ترجع الى أخطاء في عملية التنريب والتعليم، وتصر على أنها وراثية.

وقد يبدأ الطفل مشواره مع التبول اللاإرادي عند إصابته بمرض حاد كالحصبة *Measles* وبعض الآباء قد يميلون الى عزو هذه العادة الى ضعف في المثانة أو قسي الكلى للتخلص من الشعور بالحرج والمسؤولية في التنريب.

الأسباب المؤدية للتبول اللاإرادي :

قد يرجع التبول لاسباب متعددة او بمجموعة من الاسباب المتضاربة، من ذلك المعاناة من التوتر الانفعالي الزائد ومن الصراع والقلق، وقد يحدث كنوع من الازاحة أو النقلة لاشباع جنسي يرتبط بتخيلات جنسية مكبوتة، أو يهدف الطفل من ورائه على المستوى اللاشعوري الى جذب انتباه الوالدين أو المحيطين به. وقد يرجع الى التنريب الخاطئ على قضاء هذه الحالة. أو إهمال التنريب على اتقانها أو التبدل وعدم المبالاة من قبل الوالدين. ذلك القلق الذي ينتقل الى الطفل. وتكثر حالات البوال بين الذكور أكثر منها بين الإناث.

والتحكم المطلق لا يتأتى لمعظم الاطفال الا قبل سن المدرسة. وقد يؤدي التوتر الانفعالي او الضيق الى فقدان هذا التحكم، وتلك السيطرة. واستمرار التبول اللاإرادي حتى سن المدرسة. وفي حالة غياب أية اسباب فيزيقية، فإن ذلك لابد وأن يرجع الى المشاكل الانفعالية أو النفسية، بمعنى أن وجوده يعد مؤشراً على وجود تلك الازمات الانفعالية. الطفل قد يستعمل، على المستوى اللاشعوري، عادة بل للفراش للرد على الآباء في استخدامهم نمط شديد وصارم في تأديبه أو التعامل معه أو لعدم الفهم المتبادل أو نتيجة لأية مشكلة يعاني منها الطفل تكون أكثر خطورة، مثل رفض الآباء للطفل *Parental Rejection* والحقيقة ان رد فعل الطفل للتبول، يختلف اختلافا جوهريا من طفل لآخر، فمنهم من يشعر بالعار والخجل والذنب ومنهم من لا يبالي. ولكن ذلك لا يوقف هذه الظاهرة المرضية، والبعض يتجاهل هذه الظاهرة وينكرها.

ويمكن القول بان معظم حالات التبول اللارادي هي حالات وظيفية وليست عضوية *Functional* بمعنى أن اعضاء الجسد تكون سليمة في حين أن وظيفة المثانة عاجزة. وقد ترجع هذه الحالة الى ضعف نمو المثانة أو الاهمال في التدريب على قضاء الحاجة أو للتعرض لمواقف ضاغطة كالعلاج بالمستشفى والالتحاق بالمدرسة لأول مرة وميلاد أخ جديد.

وتؤكد معظم الدراسات أن غالبية الحالات ترجع لأسباب نفسية واجتماعية وتربوية وقلة فقط من الحالات هي التي ترجع لأسباب عضوية *Organic* حيث يوجد بعض الضعف في التكوين البنائي لجهازهم البولي التناسلي *Genito-Urinary System* وكذلك قد يرجع التبول اللارادي الى الاصابة بمرض السكر *Dilates* ويتعين فحص حالة كل طفل فحصا طبيا دقيقا للتحقق من خلوه من الاسباب العضوية قبل الشروع في العلاج النفسي. البعض يرجع تبوله لحالة التعب والارهاق الفيزيقي *Physical Exhaustion* التي يتعرض لها وخاصة اذا كان الطفل نحيفا وضعيفا وقليل الوزن. ومع ذلك يلعب كثيرا وبشدة، ولا يخصص وقتا طويلا لتناول الطعام او للراحة، ويستمر في ممارسة اللعب من الصباح الباكر حتى المساء. وعندما تستريح عضلاته المرهقة والمتعبة وتسترخي، فان فتحة المثانة ايضا تسترخي وينسحب منها البول دون أن يشعر الطفل.

وتكتشف بعض الدراسات أن هناك حالات من التبول اللارادي ترجع الى عدم نضج المثانة نضجا كافيا، وبالتالي لا تستطيع المثانة أن تحتفظ بالبول بها أو تلك الكميات التي تفرزها الكليتان *Excrete* خلال الليل. ولقد أكدت هذه الحقيقة دراسة بسيطة تم فيها توجيه الاطفال الذين يبولون فراشهم، وأولئك الذين لا يعانون من ذلك بحبس اكبر كمية ممكنة من البول، وذلك بعد أن يفرغ الجميع مثانتهم، والاحتفاظ به لأكبر وقت ممكن يستطيعه الطفل ثم يتبول في كأس مدرجة ويتم قياس حجم البول لدى المجموعتين. وقد لوحظ أن الطفل السوي احتفظ بـ ١٢ - ١٤ أوقية من البول للخالص، بينما لم يتمكن الآخرون من الاحتفاظ بأكثر من ٦ أوقيت .

ويلاحظ أطباء الاطفال *Pediatricians* أن التوتر يكمن وراء عادة بل الفرائض، ومن ذلك القشل في المدرسة، والغيرة من الاخوة والاخوات والشجار أو العراك *Bickering* وما أشبه ذلك، والعادة نفسها تسبب ازعاجا للطفل وشعورا بعدم الامان.

انتشاره بين الصغار والكبار على حد سواء:

الحقيقة انه خلافا لما يعتقد البعض فإن التبول اللاارادي يحدث كثيرا بين الكبار، فلقد كان هناك آلاف من المجندين الامريكيين الجدد الذين تم رفض تجنيدهم في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) بسبب إصابتهم بالتبول اللاارادي، وفي خلال سنوات الحرب تم إعفاء أعداد قليلة من الرجال بسبب هذه المشكلة. ومن الحالات الصارخة حالة لرجل في الثلاثينيات من عمره كان ينحدر من منطقة ريفية ولقد حيرته وأربكته الحياة العسكرية، وفشل في التكيف معها، ولذلك أصيب بالتبول اللاارادي وفي هذه الحالة، وأمثاله يكون هذا السلوك النكوص او الانتكاص *Regressive* استجابة للضغوط التي سقطت على هذا الرجل من الحياة العسكرية، ولكن هذا السلوك ارتد الى خبرات الفشل التي عانى منها في الطفولة.

اضطرابات الطفولة الأخرى :

ولكن التبول اللاارادي ليس هو الاضطراب الوحيد الذي يصيب الاطفال، وإنما هناك العديد من الاضطرابات التي قد يعانون منها، من ذلك صعوبات النطق والكلام مثل التهنهه واللججة والمشي في أثناء النوم والسلوك المضاد للمجتمع كالسرقة والهروب وللتشرد والجنوح والانحرافات الجنسية، وهناك الحركة الزائدة أو اضطراب النشاط الزائد عن الحد، وهناك اللوازم وهناك الشر أو الاقبال الزائد على تناول الطعام أو فقدان الشهية العصبية *Bulimia Anorexia Nervosa* والوحم *Pica* .
من مشاكل الطفولة الملوكية، كذلك الهروب والهستيريا والوسواس/القهري والفوبيا والتلق والاكنتاب والذهان والوحم وفصام الطفولة.

ترتبط كل مرحلة من مراحل النمو لدى الإنسان بنوع معين من الاضطرابات في السنوات الاولى من عمر الطفل تكون اسباب هذه الاضطرابات غير واضحة. ومن اكثر الاعراض انتشارا في مرحلة ما قبل المدرسة الفوبيا او المخاوف الشاذة اللامعقولة ونوبات المزاج الحاد والخيالات والأوهام والتبول اللارادي والعنوان على الرفاق والصداع والقيء والامساك.

وقد يرتبط اضطراب التبول اللارادي باضطرابات أخرى مثل العزوف عن تناول الطعام، وهناك من لا يعتبر التبول اللارادي سلوكاً شاذاً الا في ضوء ثقافتنا الحالية التي تحدد الأماط المقبولة من السلوك.

سبب الوقاية والعلاج من التبول اللارادي:

هناك مناهج متعددة لعلاج التبول اللارادي *Enuresis Nocturne* من بين هذه المناهج، العلاج السلوكي أو العلاج عن طريق التعلم الشرطي *Conditioning Treatment*.

وكذلك هناك العلاج باستخدام الأدوية والعقاقير *Drugtherapy* حيث يمكن استخدام التشرط الايجابي في تغيير العادات السلوكية الحركية وكذلك في تغيير اساليب التفكير، بمعنى تعديل الاستجابات الاولية او الذاتية، ومن ذلك معالجة عادة التبول اللارادي أي العجز عن ضبط المثانة في اثناء النوم، ويتم ذلك عن طريق تهيئة المريض للاستيقاظ من النوم عند سماع انذار معين لمجرد ان تخرج منه اول قطرة من قطرات البول *Urine* حيث يتم الارتباط بين كمية البول والاستيقاظ من النوم، ففي بداية العلاج يستيقظ الطفل على أثر سماع انذار او جرس، ويقود هذا الى نمو القدرة على كف التبول اللارادي والاستجابة لمجرد اثاره المثانة *Bladder* في اثناء النوم. وحينئذ بالاشارة ان العلاج الشرطي هذا استخدم بنجاح في علاج العمال الذين لا يعملون في المصانع بصورة ايجابية فعالة. ولكي ينجح مثل هذا العلاج الشرطي لا بد من توفير نوع من المكافأة او التعزيز *Reward* بمعنى توفير المكافأة للطفل كلما أتى بالسلوك المرغوب فيه.

ويؤدي تعزيز هذا السلوك الى ثباته وميل الإنسان الى تكراره في المواقف المقبلة. ومثل هذا المنهج يقيد في علاج عادات سلوكية لخرى كثيرة منها الامسان والتدخين وفقدان الشهية والسرقه والغش والتدمير والكذب والتمرد والعصيان والشورة وكذلك علاج حالات الفوبيا أي المخاوف الشاذة.

كما يستخدم في غرس عادات إيجابية كالنظافة وحب العمل واتباع الأساليب الجيدة في مجالات العمل والإنتاج، ويستخدم منهج الاشتراط الإجرائي الأتوي *Operant conditioning Techniques* لإزالة العادات السلوكية السيئة مثل " اللوازم العصبية " قضم الأظافر، ومص الأصابع، والحركة الزائدة، وغرس عادات جيدة وإيجابية بدلاً منها، بحيث يتم تكوين نمط من السلوك الإيجابي او الاستجابات الإيجابية لتحل محل الاستجابات السالبة وذلك بتوفير المكافأة المادية او المعنوية على الاستجابات المرغوب فيها وحرمان الاستجابات السالبة من هذه المكافآت بل يستخدم العقاب او ما يعرف باسم " التعزيز السلبى " لوقف السلوكيات الشاذة وازالة السلوك غير المقبول دينياً وإخلاقياً واجتماعياً. ولقد استخدم العلاج الشرطي السلوكي في شفاء الحالات التي كانت تعاني من فقدان الشهية العصبى *Anorexia nervosa* وهي الحالة التي تؤدي الى النحالة والضعف، وذلك بتقديم نوع من المكافأة الاجتماعية كالخروج في رحلة او صحبة الأصدقاء او الاستماع الى للمذيع كلما أقبل الطفل على تناول الطعام مع سحب هذه المكافآت الاجتماعية عندما يرفض تناوله، بل لقد تم علاج بعض حالات ذهان القصام والحالات المرضية الأخرى باتباع العلاج الشرطي وأدى هذا المنهج الى حصول تغييرات مستديمة في السلوك حتى أولئك المرضى الذين قضوا مدداً طويلة في المستشفى تراوحت بين ١٠ - ٣٠ عاماً.

العلاج السلوكي نجح في التحكم في كثير من مظاهر السلوك المرضي، وهناك عملية الكف التجريبي *Experimental Extinction* وهو عبارة عن الاضعاف التتقمي او التدريجي المستمر للعادات السلوكية السيئة او غير المرغوب فيها. من خلال تكرار انعدام او منع التعزيز لتلك الاستجابات السالبة. وعلى ذلك فالسلوك الذي تم تعزيزه بتقديم الطعام مثلاً بعد آدائه يتم اضعافه بصورة تقدمية عن طريق منع

تقديم الطعام للطفل أو للمريض الكبير عامة. وبالمثل في سلوك النحاشي لا يحدث له النحاشي إذا اخفقت المكافآت السالبة أو التعزيز السالب أي الصدمات الكهربائية مثلاً التي يتلقاها الفرد عقب الإتيان بالسلوك السيئ. في بعض العادات السلوكية كثرة الممارسة تؤدي الى شعور الفرد بالتعب والإرهاق، وبذلك يكف عن ممارستها وهي ما يعرف في تاريخ علم النفس باسم " الممارسة السلبية " وهذه الممارسة السلبية تستخدم في الآونة الأخيرة في علاج اللوازم Tics وهي حركات عضلية او عصبية لاإرادية يجد الفرد نفسه مساقاً الى عملها مثل حركة الرقبة او رمش العين باستمرار.

ولقد وجد أن استخدام بعض العقاقير تساعد في التحكم في بعض الأعراض أو جملة الأعراض، من ذلك أنه وجد أن عقار *Tmipromine* يساعد في الشفاء من التبول اللاإرادي. فلقد وجد أن هذا العقار أدى الى شفاء الأطفال بعد عدة ايام فقط من اعطاء هذا العقار في حجم ٢٥ غم، بحيث يتعاطاه الطفل من ٢ - ٣ مرات يومياً وفقاً لعمر الطفل، ولكن بعد توقف الدواء عاد التبول اللاإرادي، وبعد مضي عام على تعاطي الدواء لوحظ حدوث بعض التحسن، ولكن هذا التحسن حدث في المجموعة التجريبية من الأطفال أي الذين تلقوا الدواء وحدث أيضاً في المجموعة الضابطة التي كانت متمساوية معها في كل شيء، ولكنها لم تتلق الدواء. وتعرف هذه الظاهرة باسم "الشفاء التلقائي" ويوصي باستخدام الدواء في حالة عدم جدوى استخدام طريقة البطانية والجرس *The Bell and - Blanket* وهي القائمة على ايقاظ الطفل، عن طريق دق الجرس عندما تبدأ تنزل من مئنته اولى قطرات البول، حيث يؤدي البول الى توصيل دائرة كهربائية في البطانية تؤدي بدورها الى دق الجرس ومن ثم يستيقظ الطفل ويقوم ليفرغ مئنته وهو في حالة من الوعي التام.

ومن حسن الطالع ان علاج التبول اللاإرادي يمثل اولى تطبيقات مناهج العلاج النفسي الاجتماعي المؤسس على نظريات التعلم في تغيير السلوك الشاذ وفكرة العلاج تقوم على اساس أن الاستيقاظ للذهاب للمرحاض عبارة عن استجابة يتعين أن تكون مرتبطة بالمثيرات الصادرة من انتفاخ او امتلاء المثانة *Bladder distention* ولإقامة هذا الارتباط قام عالم النفس مورايير *Mower, O* في وقت مبكر يرجع الى

عام (١٩٣٨) باختراع جهاز او وضع نظام يوجد فيه حاجزان من النحاس يفصلان عن طريق مرتبة مصنوعة من القطن، كانت موضوعة على سرير الطفل، كل حاجز كان متصلاً بأحد الاقطاب الخاصة بجرس كهربائي *Buzzer* والجرس متصل ببطارية لتشغيله وكان هذا الجهاز بسيطاً ولا يلاحظه احد ولا يسبب قلقاً لنوم الطفل او راحته بعد تغطية السرير بملاية عادية، وعندما تنزل اولى قطرات البول فان ذلك يبذل المرتبة القطنية ونافذ البول يعمل على الموصل الكهربائي بحيث يكمل الدائرة الكهربائية بين القطبين النحاسيين. وباستكمال الدائرة الكهربائية يدق جرس قوي بحيث يوقظ الطفل من نومه وفي هذه الحالة يستطيع ان يذهب - وهو واع تماماً - الى المراض لقضاء حاجته. بهذه الطريقة اصبح الاستيقاظ مرتبطاً بامتلاء المثانة ويستطيع الطفل ان يتعلم في غضون عدة اسابيع ان يستيقظ للتبول قبل ان يسمع صوت الجرس.

ولقد دلت الابحاث على ان هذا الأسلوب يشفي نسبة تبلغ ثلاث حالات من كل اربع حالات في خلال مدة اقل من ١٢ اسبوعاً، ولكن سوف ينكس نحو طفل واحد من كل طفلين وعليه ان يتلقى المعالجة مرة أخرى.

أما العلاج الحيوي فيضمن استخدام العقاقير او الأدوية ومن أشهر هذه العقاقير استعمالاً عقار *Imipramine* والعقاقير المضادة للنشاط او الحيوية الزائدة، ذلك لأن كثرة الحركة والحيوية والنشاط الزائد عن الحد طوال اليوم تجعل الطفل مرهقاً او متعباً فيغبط في نوم عتيق، وبذلك لا يستيقظ للتبول. ولقد أجدى هذا العلاج في ٧٥% من مجموع من تلقوه من الأطفال، ولكن يلزم الحذر التام من استخدام هذا العقار، نظراً لأن له آثاراً جانبية خطيرة مثل تدمير الكبد ولا يمكن استخدامه مع هم دون سن السنوات الست.

ان هذه الحالة يسهل علاجها عن طريق وضع حدود لأنشطة الطفل وبإعطائه فترة من الراحة ظهراً وتشجيعه على النوم مبكراً، ويجب ان يصاحب ذلك تكوين عادات طيبة في تناول الطعام مع تشجيع الطفل ويمكن اعطاء بعض العقاقير المسكنة *Sedatives* في الأسابيع الاولى من العلاج.. واذا ما تأكد المعالج من انه لا توجد اسباب عضوية، فان المعالجة تستهدف زيادة سعة المثانة او زيادة قدرتها

وامتدادها، حيث يشجع الطفل على الاحتفاظ ببوله لأطول وقت ممكن في اثناء النهار وعندما يلاحظ الطفل وجود زيادة متكررة في كمية البول التي نجح في الاحتفاظ بها، فانه يكون امام تقدم فعلي وواقعي حدث في قدراته وبذلك يشعر بالتشجيع وبالثقة في ذاته وذلك بالدليل المادي ومنهج توسيع سعة المثانة هذا يحقق نجاحاً ملحوظاً.

ان عقاب الطفل وجره للنكد وتوبيخه ومعايرته لا تفعل شيئاً سوى تقاسم الحالة..

هناك حاجة ملحة لتعديل اتجاهات الناس العقلية نحو هذه العادة ونحو اساليبهم في تنشئة الطفل وتدريبه على مختلف الانشطة الايجابية لحمايته من الشعور بالاثم والخجل والعار والخزي.

ويعد منهج علاج التبول اللاارادي الذي ابتكره مورابرس ١٩٣٨ منهجاً في الاشرط الايجابي *Positive Conditioning* ينظر للطفل المتبول على انه فشل في تعلم الاستجابة الشرطية لامتلاء المثانة، وعلى ذلك يمكن العلاج في ازالة او محو السلوك السلبي عن طريق الاشرط او التشريط أي التعلم الشرطي وتقنياته، وكان الهدف من العلاج توفير نوع من المثير يحدث مع امتلاء المثانة بالبول وربطه باستجابة اليقظة، وبعد فترة من التكريب الايجابي يتعلم الطفل او الكبير اليقظة عن طريق الاحساس *Sensation* بامتلاء المثانة قبل أن يتم تفرغها. عندما تصل المثانة الى " عتبة " التفرغ او نقطة التفرغ يستيقظ الطفل دون تجاوزها اذا اتسعت سعة المثانة بما يكفي لما تفرزه الكلى من بول اثناء الليل، فقد لا يحتاج الطفل الى التبول الارادي او اللاارادي ومن ثم فلا يستيقظ، وينعم بنوم طوال ليلته. ولقد تبين ان الطفل يكف عن بل فراشه بعد ١٤ معالجة بهذا المنهج، ولكن هناك بعض حالات النكسة أي العودة للعادة السالبة.

ولقد وجد أن اقتران هذا المنهج في المعالجة مع نوع او آخر من انواع التعزيز او المكافأة يساعد في تدعيم نتائج هذه المعالجات. وفي جميع الحالات يتطلب شفاء الطفل تحمل الآباء والأمهات جهداً كبيراً جداً، من ذلك الاستيقاظ عدة مرات لاعادة فرش السرير بالملايس الجافة وإيقاظ الطفل وتشغيل الجهاز، ولتقصير فترة

العلاج والمتاعب المتلقاة على الأباء، اقترح بعض العلماء الاستعانة ببعض الادوية لتدعيم عملية التعلم الشرطي منها عقار *Dexedrine* وعقار *Methedrine* وفي هذه الحالة بلغت نسبة الشفاء ٩٠%.

الهدى الإسلامى الخالد فى مجال المحافظة على الصحة النفسية والقطرة السوية:

إذا كان التبول اللاإرادى يرجع الى غيرة الأخ الأكبر من شقيقه الأصغر عندما ينضم هذا الصغير لعصوية الأسرة وعندما لا تتوخى الأسرة العدالة فى توزيع حبها وعطفها وحنانها ودفئها ورعايتها على جميع الاخوة وعندما توجه كسل اهتمامها ' للوفاد الجديد " فان اسلامنا الخالد يعلمنا أن نعدل فى التعامل مع الأولاد وأن نعاملهم على قدم المساواة عطفاً وحباً وعطاء. فلقد جاء الهدى النبوي المطهر فى باب كراهية تفضيل الوالد بعض اولاده على بعضهم فى الهبة ونقول فى كل الامور. فعن النعمان ابن بشير رضى الله عنهم : ان أباه اتى رسول الله ﷺ : فقال انى فعلت ابنى هذا غلاماً كان لى، فقال للرسول ﷺ : أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال : لا. فقال رسول الله ﷺ : فأرجعه . وفى رواية اخرى فقال رسول الله ﷺ : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ قال : لا . قال اتقوا الله واعدلوا فى اولادكم، فرجع الى، فردت تلك الصدقة. وفى رواية فقال رسول الله ﷺ : يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟ فقال نعم. قال : أكلهم وهبت له مثلى هذا ؟ قال: لا . قال : فلا تشهني إذا فاني لا أشهد على جور. وفى رواية اخرى أشهد على هذا غيبي ، ثم قال : أيسرك أن يكونوا اليك فى البر سواء، قال : بلى، قال : فلا إذا. " متفق عليه ."

وإذا كان التبول اللاإرادى وغيره من الاضطرابات النفسية التى تصيب الاطفال تقع بسبب شعور الطفل بالتوتر والقلق والصراع والانفعال والحرمان والقسوة والشدة والغلظة او اللبذ والاهمال، فان اسلامنا الخالد يحض على ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفاء والمساكين والمنكسرين والاحسان اليهم والشفقة عليهم والتواضع فى التعامل معهم، كما فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾

(الضحى ٩) وفي هذا الهدى البليغ يقول النبي ﷺ : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما " (البخاري).
 وحفاظاً على كيان الأسرة المسلمة يقول الرسول ﷺ : الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر ."

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت امرأة امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير ثمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فنخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن، كُنْ له سترًا من النار " (متفق عليه).

وفي الهدى إلى النفقة على العيال جاء في الهدى القرآني الكريم ما يجعل الاب مسؤولاً عن إعالة أبنائه ﴿ وعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقٌ مِّنْ وَالِدَيْهِ حَتَّىٰ يَصِلَ إِلَى الْبُلُوغِ ۚ وَاللَّيْطُ لِلْإِثْمَانِ ۚ ﴾ وفي مجال الحث على النفقة على العيال يقول الحديث النبوي المطهر : " دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في ربة، ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك " (مسلم).

سيكولوجية الاغتصاب

في هذا المقال معالجة لجريمة الاغتصاب من الناحية النفسية.. جريمة الاغتصاب عبارة عن ممارسة الجنس او الاتصال الجنسي بالقوة ودون موافقة الطرف الآخر.

Sexual intercourse that is forced upon a person, which takes place without the person's consent

وتتدخل عوامل نفسية كثيرة في فعل الاغتصاب هذا، حيث تتضمن هذه الجريمة قسر الرجل المرأة على الجماع، إشباعا لفراتز الرجل الجنسية والدوانية، في حين تشعر المرأة بالإذلال والمهانة والاعتداء. ومن ذلك فقد تبلغ المرأة للذة الجنسية

في قليل من الحالات. ويختلف الاغتصاب عن هتك العرض، إذ تقوم جريمة هتك العرض من مجرد لمس أي جزء من جسم المرأة، بينما يعنى الاغتصاب الجماع الجنسي والاتصال الجنسي بالمرأة نون رضاها، والاعتصاب يختلف عن مجرد خطف المرأة أو الأثنى عموماً. (د. احمد زكي بدوي، ص ٢٤٥).

إذا كان هناك بعض الانحرافات الجنسية *Sexual deviations* التي لا تسبب أذى مباشراً للإنسان، فإن انحراف السادية *Sadism* والاعتصاب تسببان الأذى للضحية. الانحرافات الجنسية مثل الجنسية المثلية *Homosexuality* والتشبه بالجنس الآخر *Transvestites* تتصف بالأخلاقية وبعدها عن الذوق السليم والقطرة السوية وعن قيم ومبادئ المجتمع.

وهناك انحرافات أخرى كالتلصص الجنسي *Voyeurism* والاستعراض الجنسي *Exhibitionism* وهناك بعض الانحرافات الجنسية التي تشكل جريمة خطيرة والتي تسبب الأذى البدني للضحية، بل قد تؤدي بحياتها، ومن الانحرافات الجنسية الأقل خطورة حب الأثر أو التعلق الجنسي بالأثر *Fetishism* ولكن هذا الانحراف قد يرتبط بالجريمة حين يدفع صاحبه الى سرقة متعلقات النساء كالملابس الداخلية أو الأحذية وما الى ذلك عوضاً عن الأثنى نفسها. وقد يلجأ المصاب الى قص شعر النسلاء دون علمهم. ومن الانحرافات كذلك الهيام بالحيوانات *Pedophilia* ومن الجرائم ذات الأثر النفسي ممارسة الجنس مع المحارم *Incest* وكلها تتم عن شذوذ مقترفها.

أما الاغتصاب فيترك أثراً مؤذية للضحية، فقد تعاني الضحية لعدة شهور بعد الهجوم عليها مع حدوث اضطراب في حياتها، غالبية جرائم الاغتصاب تقع على النساء الراشديات، ولكن هناك نسبة قليلة تقع على الرجال. وتحدث جرائم الاغتصاب في كل مجتمعات العالم، حتى في مجتمع متقدم كالمجتمع الأمريكي، تكل الإحصاءات الصادرة عنه أن هناك أكثر من ٢٤ ألف تم القبض عليهم بتهمة الاغتصاب، وذلك في عام واحد. ولكن الخبراء، في هذا المجال يقولون أن هذا الرقم أقل بكثير من الرقم الحقيقي أو الواقعي. تقول السلطات المسؤولة عن تطبيق القانون ان هذا العدد لا يمثل الا واحداً من كل عشر حالات من حالات الاغتصاب، حيث لا يسجل الا عشر

الحالات.. ويرجع عزوف الضحايا عن الإبلاغ عن وقوع الاعتداء عليهم للخجل والحياء والخوف والشعور بالذنب. ويزداد هذا الشعور في مجتمع شرقي ولا شك. وقضايا الاغتصاب من القضايا التي يصعب إثبات الاتهام فيها في المحاكم. فعلى الضحية أن توضح انه تم اغتصابها بالقوة والقهر وأنها قد قاومت المعتدي. وعليها ان توضح أنها قاومت بالفعل وأن آثار المقاومة ظاهرة على جسدها في شكل إصابات وكدمات وتمزقات، والا افترضت المحكمة حدوث موافقتها على الفعل الجنسي، كذلك فإن الدعوى، في إطار المحاكم الأمريكية قد تسير ضدها إذا استطاع محامي المتهم *Defendant's attorney* أن يشكك في أخلاقياتها أو أن لها خبرات مماثلة، وذلك أمام جماعة المحلفين *Jury* ولكن هذا الاتجاه المضاد للضحية قد تغير نسبياً أمام المحاكم الأمريكية في هذه الأيام. ولم تعد الضحية تشعر أنها هي التي تحاكم ولكن الإدانة *Convictions* ما زالت نادرة الحدوث.

لقد تم استجواب عدد من هذه الضحايا فور دخولهن احد المستشفيات الأمريكية، وتبين أن عدداً قليلاً منهن تم تحويل قضيتهن الى المحاكمة. ويرجع ذلك الى عدم وعي المجتمع واهتمامه الواجب بقضية الاغتصاب. في حين إنها مشكلة أمنية وأخلاقية ونفسية ودينية بالغة الخطورة من هنا اقتضى الاهتمام بخطورتها.

وضرورة العمل على تفاديها وردع مرتكبيها تحقيقاً للأمن العام والأمن النفسي والاجتماعي وصوناً للأعراض والقيم والمثل الرفيعة. وجريمة الاغتصاب تعطى لأول وهلة الانطباع أن المتهم بهتم بالجنس، ولكنها في واقع الحال عبارة عن فعل عدواني صرف *An Aggressive Act* فهي عدوان أكثر من مجرد كونها نشاطاً جنسياً شلداً ومرفوضاً من قبل المجتمع ومن وجهة نظر القانون المعتدي او المتهم *Assailant* يستخدم الجنس فقط للتحكم والسيطرة وللحظ من قدر وإهانة الضحية وإيذائها. وليس الهدف للنفسى هو الجنس في حد ذاته وبالطبع لا توجد عاطفة ولا حب في هذا النشاط الإجرامي والضرار العنيف. بل في الواقع قد لا يكون هناك أية مشاعر بالذلة لدى المعتدي وهذه الحقيقة عبر عنها نسبة كبيرة من المتهمين الذين تم استجوابهم.

لقد كشفت الدراسات التي أجريت على مجرمي الاغتصاب ان الغالبية الإحصائية العظمى منهم (٧٥% من مجموعهم) مارسوا نوعاً من الخلط الوظيفي أو الاضطراب الوظيفي الجنسي *Dysfunction* في أثناء عملية الاعتداء.

فالاغتصاب ان هو الا ضرب من ضروب الشذوذ الجنسي *Assaults* والعدوان المادي على الضحية، بل أن كثرة غالبية ممن مارسوه كانوا من العجزة جنسياً ولذلك اجبروا ضحاياتهم على ممارسة الجنس معهم عن طريق الفم *Oral Sex* والبعض يعجز عن إتمام عملية القذف *Ejaculate* وهو اضطراب لا يحدث كثيراً للأسوياء من الرجال، هذه الحالة وجدت عند ١٥% من مجموع مجرمي الاغتصاب. وإذا حدث قذف فيكون سريعاً ومبكراً. المغتصبون يقررون أنهم لم يشعروا بالإشباع *Gratification* بل انهم وصفوا أنفسهم بالاكئاب وبخيبة الأمل والفشل والإحباط وبالقرف والتقرز، مما يؤكد ان الاغتصاب حالة مرضية واضطراب نفسي أو عقلي في جوهره. وحتى في حالة الإدانة فإن العقوبة توقع على جرائم أخرى أخف من جريمة الاغتصاب ذاتها.

المنهج المتبع في دراسة حالات الاغتصاب باستجواب الضحية واستجواب المتهم والتعرف على أهدافه من عملية الاغتصاب ومشاعره أثناءها وحالته العقلية والنفسية العامة، ومعظم المتهمين يقررون أنهم لم يشعروا بأية لذة على الإطلاق.

ولكن، في معظم حالات الاعتداء، يبدو العنصر العدواني في عملية الاغتصاب وتتحدر العملية الى العنف الشديد. وقد ينتهي هذا العنف بقتل الضحية. ويطلق على هذا النمط من الاغتصاب " الاغتصاب السادي " أو " المغتصب السادي *Sadistic* *rasfigt* " إذ لا تأتيه أية متعة أو لذة إلا من خلال إلحاق الألم والمعاناة بالضحية. ويشبه ذلك انحراف الهيام بالأطفال *Pedophiliacs* حيث يتخذ السادي من طفل ما ضحية له إذ يستعمله ويسيء استعماله جنسياً ثم أخيراً يقتله.

وفي عمليات التحقيق، عندما تتلى الضحية بأوصاف المتهم، فإن الفناء الشرعي *Forensic artist* يستطيع أن يرسم صورة له تساعد في القبض عليه. وتؤكد معظم الدراسات الميدانية التي تناولت حالات الاغتصاب بأنه نوع من العدوان أكثر من كونه

عملاً جنسياً. وتجري الدراسات التي تعقد المقارنات بين الأسوياء وبين المغتصبين لبيان وجه الفرق بينهما. كما تستخدم المجموعات التجريبية والمجموعات الضابطة في هذا الشأن وللتلذيل على ان المغتصب يستمتع بالعنف أكثر مما يستمتع بالجنس نفسه.

ولقد قامت دراسة بعرض تسجيلات صوتية على بعض المتهمين وتضمنت بعض هذه التسجيلات الصوتية وصفاً لحالة اغتصاب وأخرى لحالات الاعتداء، وشعر المرضى باللذة في حالة الاعتداء. أما الحالات السوية فلم تستجب باللذة إلا لسماع حالات الاتصال الجنسي المتبادل، ولم يشعروا بإثارة تذكر عندما طُلب منهم أن يتخيلوا أنهم يقومون بالاعتداء على امرأة. يشعر المريض باللذة حتى عندما يشاهد رجلاً يضرب امرأة أخرى دون أن يفتصبها فمصدر اللذة هو الاعتداء والضرب والأذى. وهناك حالات تبلغ من الشذوذ حدًا خطيراً في إيذاء الضحية والاعتداء عليها كالعض والضرب بالحزام، والحرق بأعقاب السجائر، ونزع شعرهن بالقوة والإرغام على ممارسة الجنس شرجياً. مثل هذا المتهم لم يشعر إطلاقاً بأية متعة من مشاهدة الحالات الطبيعية. فجريمة الاغتصاب جريمة يرتكبها شاذ جنسياً، ولكنه في كامل قواه العقلية. ولذلك لا يعفى من المسؤولية الجنائية التي يعفى منها المصاب بالجنون، والذهان العقلي كذهان الاضطهاد والهوس والاكتئاب.

الدراسات التي أجريت على جماعات من مرتكبي جريمة الاغتصاب

تتم في العادة دراسة الذين تم اغتصابهم وخاصة من الاطفال وكذلك دراسة مرتكبي جرائم الاعتداء.

ويحتاج الضحايا لكثير من الاهتمام لاعادة ثقتهم في قدرتهم الجنسية. وتكشف الدراسات على أن المغتصبين ينحدرون من أسر تعاني من القلق والضغط والصراعات. أسرة المغتصب ليست سوية، ولم تفلح في تقديم جو اسري ولفي للطفل. ولقد تبين أن المغتصب، وهو الطفل، كان مهملاً ومهجوراً ومنبوذاً أو مطروداً من قبل والديه. ولم يكن مقبولاً ولم ينعم بالدفء والحب والعطف والقبول الولدي. وكان

يعاني من القسوة والعنف وقلة الرحمة في التعامل معه او التعامل معه بوحشية ولذلك كانت الحكمة من الدعوة للتعامل مع الاطفال بالحسنى وبالتوسط والاعتدال. ومعظم الحالات كانت قد قفنت احد الوالدين في مرحلة الطفولة او مرحلة المراهقة وبالتالي كانت محرومة من الرعاية والإشراف الوالدي. ويصبح الهجوم على النساء أسوأ أنماط التعويض بالنسبة لهم *Compensation*. فنحن أمام حيلة من حيل الدفاع اللاشعورية وهي التعويض عن مشاعر النقص والدونية وعدم الموازنة والضعف.

تصنيف مجرمي الاغتصاب

يمكن من الناحية النفسية تصنيف مجرمي الاغتصاب الى الفئات الثلاثة الآتية:

١ - النمط الاول هو ما يعرف باسم اغتصاب القوة *Power Rape*

في هذا النمط من الانحراف يسعى الشخص الشاذ الى ممارسة قدرته على التسلط والسيطرة والتحكم في الضحية. ويظهر من خلال هذا السلوك حالة الحصر عنده او القلق *Anxiety* او حالة العجز والضعف الجنسي *Competence* وقد يسأل المغتصب الضحية عما إذا كانت قد تمتعت معه من عدمه مقارنة بزوجها؟ وقد يسعى لعقد لقاء آخر او الى اخذ الضحية الى العشاء في الخارج. انه يحاول أن يؤكد لنفسه انه، على الرغم من انه اغتصب ضحيته بالقوة وتغلب عليها، إلا أنها انتهت بالإعجاب 'بقوته' وبمهاراته، لدرجة أنها ترغب في اللقاء الجنسي معه مرة أخرى. وهي حالة غير صحيحة وشعور زائف لديه. ويقع ضمن الأوهام التي تعتريه.

٢ - النمط الثاني من الاغتصاب هو اغتصاب الغضب *Anger Rape*

في هذا النمط يحاول المتهم أن يستولي على الضحية، أو يقبض عليها، لكن بصرف او يفرغ أو يظهر عدوانه المتراكم والمترسب نحو النساء بصفة عامة .. وخلافا لما هو عليه الحال في النمط الاول : نمط اغتصاب القوة الذي يميل أن يكون مخططا من قبل، فان اغتصاب الغضب يثلب عليه أن يكون الانفعالياً *Impulsive*. بعض الحالات أثارت صراعات المغتصب للكامنة نحو النساء، وهنا تصبح الضحية الرمز الذي يقع عليه العنوان لمجرد مرورها او بمجرد الصدفة البحتة. فهي

الشخص سيئ الحظ الذي مر من هنا عندما كان المغتصب نائراً في غضبه. ودراسة تاريخ هذه الحالات توضح أن هناك حالات هجرته آلام في الطفولة الباكرة ولم يكن والده عطوفاً أو محبباً له، مثل هذا الرجل وصف ضحيته بأنها كانت "مومس" وينصح غيره بعدم الثقة في النساء .. وتروى بعض الحالات أحوالاً شاذة أخرى كمحاولة آلام إغواء ابنها الشاب مما يدخل ضمن زنا الأقارب مما يسبب له كثيراً من مشاعر الألم. وكان الشعور الغالب لدى مثل هؤلاء المغتصبين هو العداوة حيال النساء والشك والريبة فيهن.

هذه الطفولة غير المتكيفة والملئنة بخبرات الفشل والإحباط والحرمان والإهمال والنبد والطرود أو الشنوذ، تظل خبراتها باقية كما هو الحال في حالة شاب أمريكي عانى من مثل هذا، ثم تزوج وذهب الى الاشتراك في الحرب الفيتنامية وعاد منها والتحق بالجامعة وفيها تصادف حضوره محاضرة لأستاذة سيّدة في علم التاريخ، حيث دار بينه وبينها مناقشات حادة وعنيفة عن وجهة نظره في حرب فيتنام، فترك قاعة الدرس وانصرف، وكان قد تناول قبل دخوله قنطراً من الخمر، خرج مسرعاً وذهب لحانة، حيث احتسى مزيداً من الخمر، ثم خرج لكي يقود سيارته وفي هذه الأثناء شاهد سيده تذهب لأخذ سيارتها هي الأخرى. ولقد تصور أن الأستاذة إنما كانت تهاجمه وتثير ضده كل قاعة الدرس ولقد وجد سيده كبيرة في السن تشرع في ركوب سيارتها فامسك بزورها وجذبها بعنف ولكمها عدة لكمات وأوقعها أرضاً ومزق ثيابها واعتصبها.

ولقد ذكر هذا الرجل ان هذه السيدة كانت تركب سيارة من نفس نوع سيارة والنته. وواضح من تحليل هذه الجريمة ان الدافع هو الانتقام والغضب والعداوة تجاه النساء .

٣- النمط الثالث وهو نمط نادر الحدوث، وهو الاغتصاب السادي وليس الجنس فسي ذاته *Sadistic Rape*

وفي هذا النمط من الشنوذ يجتمع العنصران : القوة والعدوان معا. ليكونا نمطاً واحداً في هذا النمط، كما كان في نمط الغضب، فان الغضب من هذا النوع يشك في

النساء ولا يتق فيهن ويكرههن، ولكنه يشعر بالتقزز والاشمئزاز اكثر من الأنماط الاخرى. والمغتصب السادي يختار ضحاياه من نوعية معينة، ولذلك قد يعمد الى مراقبة الضحية لفترة من الزمن قبل الهجوم والاعتداء عليها. فهو يختار ضحاياه من بين الصغار والنحاف والشقراوات واللاتي يرتدين الملابس ذات اللون الأزرق. لا يستهدف المغتصب السادي للتأكيد لنفسه عن قوته الجنسية ولا يرغب أن تشعر الضحية بالمتعة، وإنما بالألم. بل انه يسعى لرد الألم الذي شعر به من النساء رده اليهن، انه يستكرّ اللذة من السيطرة على ضحيته ومن مشاهدتها وهي تتألم وتعاني ونقاسي.

هذه النتائج المستمدة من الدراسات التي أجريت على المغتصبين وضحاياهم مع بيان المنهج أو الكيفية التي تمت بها مثل هذه الدراسات. ولكن إجراء البحوث والدراسات الميدانية النفسية والعقلية والاجتماعية والأنثروبولوجية والطبية، هي لمعرفة المزيد عن هذه الفئة من المجرمين وعن نواحيهم وسمات شخصياتهم وخلفياتهم الأسرية والاجتماعية، وسبل تنشئتهم تلك التي تعود الى الشذوذ والجنوح والانحراف. وينطبق هذا العجز في المعلومات على كل مظاهر الشذوذ الجنسية.

لماذا يجنح البعض الى الشذوذ او الاغتصاب او الهيام بالأطفال ممن عانوا في طفولتهم تجارب شاذة كالحرمان *Deprivation* وإساءة الاستعمال في سنوات الطفولة، بينما لا يجنح الى هذا الغالبية التي عانت من ذات التجربة.

الاغتصاب، ولا شك، يقع ضمن السلوك الإجرامي لأنه عبارة عن هدر للقانون والشرع والقيم الاجتماعية فضلا عن إلحاق الأذى والضرر والألم والجرح للضحايا من النساء والأطفال. هذا النمط من السلوك الإجرامي يتضمن إلحاق الأذى الجسدي بالضحية، بينما هناك أنماط أخرى من الجرائم لا يستهدف المجرم إلحاق الأذى البدني بالضحية. من ذلك جرائم إصدار الشيك بدون رصيد او السرقة من المحلات التجارية او سرقة السيارات.

وبعض جرائم أصحاب الياقات البيضاء لا تتضمن إلحاق الأذى البدني

بالمجني عليهم، من ذلك جرائم الرشوة والاختلاس *Embezzlement And Bribery*

وهذه جرائم يتم ارتكابها تحت ظروف شديدة من الضغط، كذلك نقترح إجراء دراسات تتناول التغيرات والظروف والملابسات والأحوال التي تعرض لها المسجون قبل ارتكابه الجريمة. ويمكن امتداد الدراسة للسؤال عن أحوالهم بعد ارتكاب الجريمة. ولقد تبين أنهم عانوا في العام السابق على ارتكاب الجريمة ضغطاً شديداً جداً تحدث الجريمة بعد تراكم لأحداث الحياة الضاغطة. فكما أن هناك أنماطاً مختلفة من المجرمين، هناك أيضاً العديد من العوامل المتداخلة والمتشابكة والمتفاعلة التي تكمن وراء ارتكاب الجريمة وخاصة الجريمة الشاذة. ويندرج ذلك تحت التفسير العام للمرض والجنوح والجريمة وهو عدم الأخذ بعامل سببي واحد وإنما مجموعة متفاعلة متداخلة من العوامل الوراثية والبيئية والولادية التي تتفاعل فيما بينها وينتج عنها السلوك السوي أو الشاذ.

تنمية السمات والقدرات الإبداعية :

- هل في الإمكان تنمية النزاهة الإنساني؟
- دور التربية العربية المستقبلية في تنمية المهارات الإبداعية في الطالب العربي.
- تنمية السمات الإبداعية.
- حماية الإسلام لشخصية المسلم.
- الآثار النفسية للمبادئ الإسلامية.



هل في الإمكان تنمية الذكاء الإنساني ؟

تسعى المجتمعات، في مختلف العصور والحقب لتنمية قدرات أفرادها ومواهبهم واستعداداتهم وميولهم وتركيبه مشاعرهم الإنسانية النبيلة وحسهم الوطني والقومي والروحي وتغرس في وجدانهم القيم والمثل العليا والمبادئ الأخلاقية وآداب السلوك الرفيع.

وإذا كانت تنمية مواهب الناس هدفاً منشوداً في كل حين، فإنه يصبح أكثر ضرورة وإلحاحاً في عصر يأخذ فيه المجتمع على عاتقه النهوض بحركة التنمية الشاملة اقتصادياً واجتماعياً وبشرياً. وإذا سلمنا بأن الثروة البشرية هي أغلى الثروات وأثمنها وأكثرها أهمية كان لابد من توجيه جل الاهتمام للعنصر البشري وتوفير الرعاية الشمولية له، فيغني بجسده وعقله ونفسه وروحه وحسه ووجدانه وضميره الخلقي وشعوره الوطني. وإذا كان الإنسان هو عصب الثروات في هذا العصر وأغلاها وأثمنها وأكثرها قيمة، فإن عقله بالذات أو ذكائه يحتل حجر الزاوية في ظل الاهتمامات، ويتعين أن تكون له الصدارة في مضمار الرعاية والاهتمام والتربية والتنمية والصف والتهذيب والتوجيه في المسارات الصالحة والنافعة والمثمرة، وبحيث يسير في اتجاه العلم والخلق والإبداع والابتكار والإنتاج بدلاً من الجنوح أو الانحراف. فذكاء الأمة أحد ثرواتها القومية الغالية التي يتعين استثمارها ممثلة في عقول أبناء الأمة وذكائهم. وغني عن البيان أن المجتمعات المتقدمة إنما أحرزت تقدمها ونهوضها ووصلت الى ما وصلت إليه من الثراء والقوة بفضل عقول علمائها ومنجزاتهم واستكشافاتهم في مجال الخير والنفعة الإنساني لا في مجال الدمار والتخريب والحرب ولذلك تعالت الدعوات باستخدام العلم في الأغراض الإنسانية الإيجابية والنافعة من ذلك عدم استخدام الذرة في الأغراض الإنسانية.

وقد تطلب ذلك وضع معايير خلقية تضبط العمل العلمي وتوجهه الوجه الصالحة وذلك حتى لا يعاني المجتمع من وجود فجوة سحيقة بين التقدم العلمي او التقني وبين التقدم المعنوي او الخلقي المفروض أن يواكب التقدم العلمي ويصاحبه ويضبطه.

إذا كانت حضارة الإنسان قديمها وحديثها وعبر تاريخها الطويل وليدة تلك القوة أو تلك الهبة الغالية التي وضعها الله تعالى في الإنسان وهي الذكاء، فإننا نساءل عما إذا كان في الإمكان تنمية هذا الذكاء وصقله وازدهاره والعمل على حسن استثماره وهل يقع هذا في دائرة اقتدار العلم الحديث أو أن الذكاء مسألة فطرية موروثية يولد الإنسان مزوداً بقدر محدد منه ينتقل إليه عبر ناقلات الوراثة أو الجينات من الآباء والأمهات والأجداد، بمعنى إن ذكاء الإنسان تحدده وترسم معالمه عوامل وراثية لا دخل له فيها وليس من المستطاع تعديلها فإذا سلمنا بأن الذكاء مسألة فطرية وراثية يولد الإنسان مزوداً بها، فإننا نقف مكتوفي الأيدي أمام ما يولد به الإنسان من ذكاء لا نستطيع تنميته أو تعديله ونسد بذلك الطريق أمام العلم واجتهاداته. ومن سمات العلم أنه طموح لا يعرف السكون عند نقطة معينة بل من سماته الديناميكية التحرك والتغير والتفاعل والتجدد المستمر.

في هذا الصدد ينقسم علماء النفس الى فريقين فريق يدعي وراثية الذكاء ومن ثم تحديد كمه وكيفية في الفرد منذ الميلاد. ويدعم هذا الفريق آراءه بما يلاحظ من وجود تشابه بين ذكاء الآباء والأمهات وذكاء أبنائهم يعبر عن ذلك علمياً وإحصائياً بوجود معاملات ارتباط عالية بين ذكاء الآباء والأبناء. ويؤيد الاتجاه الوراثي هذا أيضاً ما يلاحظ من اختلاف درجة التشابه في ذكاء الناس تبعاً لاختلاف درجة القرابة أو صلة الدم، فالتشابه أقوى ما يكون بين الآباء والأبناء وتقل درجة التشابه كلما تباعدت درجة القرابة.

أما دعاء البيئة فيحتاجون بالقول بأن هناك بعض العوامل البيئية المكتسبة التي قد تؤثر في الذكاء سلباً أو إيجابياً من ذلك توفر التغذية الجيدة وما يلزم للطفل من الأملاح والفيتامينات والمعادن، توفير الرعاية الصحية والتحصينات المختلفة ضد الأمراض والأوبئة وخاصة الحميات وكذلك توفير نوع جيد من التربية في دور الحضارة والتعليم الأساسي وما يوجد فيها من المكتبات والمجلات والصحف وإجراء التجارب والملاحظات والمشاهدات والقيام بالزيارات والرحلات وغير ذلك يقدم ذكاء الطفل ويتحده ويثريه ويحركه ويحفزه بل إن مجرد جلوس الأب مع ابنه لبعض الوقت

وجد أنه يؤدي الى حصول ارتفاع وإن كان طفيفاً في نسبة ذكاء الطفل. كذلك وجد أن التربيـت على جسم الطفل وأشعاره بالحب والسدفء والعطف والحنان والرعاية والاهتمام يحفز ذكاءه ويوقده.

إضافة إلى حماية الطفل من الحوادث والإصابات والعدوى وتعرضه للبلذ والطرد والإهمال والتوتر والقسوة والافتعال وجد أن كل ذلك يؤثر على وظائفه الذهنية.

والحقيـقة أننا لا نستطيع أن ننكر أثر الوراثة بأية حال من الأحوال بل إن الذكاء، في جوهره، قدرة فطرية موروثية، وإن كان ذلك لا يمنع من تدخل العوامل البيئية في تنميته ولو بقدر محدود. فالبيئة مهما تحسنت لا تستطيع أن تصنع من العدم ولا تستطيع أن تحيل الأقرام إلى عمالقة أو الأبيض إلى الأسود أو الأبله إلى العبقرية لابد أذن من وجود البذور أو الجذور أو الأصول أو الأسمس والاستعدادات العامة أو المواد الخام التي لا تتولاها البيئة بالصقل والتنمية والرعاية وحسن التشكيل فتجعل الوراثة تعطي وتظهر احسن ما عندها وتستخرج كل ما في باطنها بل تتدخل للبيئة في مبلغ استثمار وتوظيف واستخدام ما لدينا من ذكاء. فالبيئة بما فيها من الصحبة السوية والتعليم الجيد والمنزل للصالح والتغذية الصحية والوقاية والتحصين.. تتدخل البيئة المادية والاجتماعية لتحدد المسار الذي يتخذه الذكاء، فإما الى الخير والنفع والصالح العام والتفوق في العلم والاختراع وأما التفوق فسي الجريمة والانحراف. فالبيئة الصالحة هي التي تساعد على الاستثمار الأمثل لقوانا الطبيعية وتؤدي الى ازدهار الذكاء ويقدمه ونموه او طمسه وضموره واضمحلاله ونضالـه او انحرافه عن جادة الصواب.

ويعبر عن هذه العلاقة الوثيقة بين البيئة والوراثة بقولنا إن الإنسان هو ابن البيئة والوراثة معاً؛ بمعنى انه محصلة التفاعل أي التأثير والتأثر بين البيئة والوراثة. فلا بد من الاهتمام بكليهما ويعبر عن العلاقة بين العوامل التي تؤثر في الإنسان والتي تؤدي الى تكوين الشخصية او الكائن الحي بالمعادلة التي تقوم على أساس وجود عوامل البيئة وعوامل وراثية ثم عوامل ميلادية وهي تلك العوامل التي لا

تعتبر وراثية ولا تعد في نفس الوقت من العوامل البيئية لأنها ليست مكتسبة من جراء احتكاك الفرد وتفاعله مع البيئة المحيطة به، وهي أيضاً ليست وراثية من حيث أنها لم تنقل إلينا عبر ناقلات الوراثة أو الجينات من الآباء والأجداد .

هذه العوامل تتمثل في صدمات الميلاد التي قد تؤدي الى نشوء دماغ الفرد وتكمير عدد من خلاياه العصبية ومن ذلك أيضاً ما تتعرض له الأم الحامل من صعوبات كالإصابة ببعض الأمراض من أخصها الحصبة الألمانية أو الحميات أو تعاطي الأم الحامل للخمر والمخدرات وبعض العقاقير أو تعرضها للإشعاع أو السموم أو الأبخرة الضارة أو تعرضها لحالات حادة من الانفعال أو الإدمان أو التخخين أو التعرض للحوادث والإصابات من ممارسات الرياضات العنيفة أو اختلاف فصيلة دم الأم والأب أو تعرض الطفل للاختناق أو التسمم الناتج من فقدان الأكسجين في الدم .

وتؤثر الضغوط البيئية وخبرات الفشل والإحباط والحرمان والقسوة في شخصية الطفل ولكن يشترط أن تستمر هذه الضغوط أو تلك الخبرات غير المسارة تتفاعل عبر فترة معقولة من عمر الفرد، ذلك لأن المؤثرات السريعة أو العارضة أو المؤقتة قد ينتهي أثرها ويذول بزوال المؤثر ويمكن القول بأن الإنسان صحيحاً أو مريضاً ولید تفاعلات المعادلة الآتية :

الوراثة × البيئة × العمر أو الزمن × الظروف الميلادية

مقدار مقاومة الفرد

فإذا زادت الضغوط على ما يستطيع الفرد أن يتحملة حدث له الانهيار وسقط مريضاً.

وقصارى القول انه في الإمكان تنمية الذكاء ولو بمقدار محدود كما عليه العمل على تحسين مساره وتعديل وجهته نحو الأفضل ونحو النشاط الإيجابي الخير والنافع بحيث يستخدم كل منا ما لديه من ذكاء وقدرات في معاداة نفسه ومجتمعه.

دور التربية العربية المستقبلية في تنمية المهارات الإبداعية في الطالب العربي

تعدد المهارات المطلوبة في الطالب العربي في القرن القادم:

إذا سلمنا بأن مهمة التربية إعداد الفرد للحياة في داخل مجتمع معين، كان على التربية العربية أن تستطلع آفاق القرن القادم وتعد نفسها لتعد الطالب العربي لمسيرة الحياة ومتطلباتها في مطلع ذلك القرن، فتزوده بالمهارات التي تجعل منه مواطناً صالحاً قادراً على دفع عجلة الإنتاج قدماً الى الأمام، وقادراً على التصدي لما يحمله القرن القادم له من التحديات العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية. التربية دائماً تعمل على تنمية قدرات الطالب ومهاراته، ولكن هناك مهارات جديدة تتطلب ظروف العصر تنميتها، وهناك مهارات أخرى يلزم تدعيمها.

اننا نعيش في عالم متغير، بل سريع الخطى في تغيره، ولا بد أن نعد أنفسنا للتكيف مع هذا التغير، بل لا بد للتربية أن تكون صانعة التطور، لأنها صانعة الأجيال الصاعدة. وإذا ما تأملنا في ظروف العصر لوجدنا أن هناك كثيراً من المهارات التي يتعين على المؤسسات التربوية في عالمنا العربي أن تنميتها في شخصية طالب الغد، تجعل منه قوة دافعة لحركة التطور والنقدم. ولما كان الوضع المثالي في سواء الشخصية هو التكامل بين عناصرها، فلا بد أن تكون هذه المهارات متكاملة أيضاً وعلى ذلك نستطيع أن نتلمس المهارات الضرورية الآتية :

- ١- مهارات علمية.
- ٢- مهارات فنية تكنولوجية أو مهنية.
- ٣- مهارات شخصية
- ٤- مهارات عقلية او ذهنية أو فكرية.
- ٥- مهارات تفسيرية.
- ٦- مهارات اجتماعية.

٧- مهارات قيادية وتنظيمية.

ويطلب القرن القادم، بما يحمله لنا من تطورات ومتغيرات، ان تحرص مؤسساتنا

العربية على المستوى القومي على تنمية المهارات المحددة الآتية :

- ١- المهارة في استعمال الأجهزة الإلكترونية والعقول الحاسبة في مختلف المجالات الإحصائية والطبية والبحثية .. الخ.
- ٢- إتقان اللغات الحية والتّمرس على أعمال الترجمة لنقل ما ينتجه العالم الى لغتنا العربية أولاً بأول.
- ٣- إتقان مهارات البحث العلمي وسمات التفكير العلمي الذي يتصف بالحيدة والموضوعية والدقة والأمانة وسلامة الاستدلال والتّمرس على إجراء التجارب والمطالعات وعلى الملاحظة او المعاينة.
- ٤- الاهتمام ببحوث استكشاف الفضاء واستخدام تكنولوجيا الفضاء في الأغراض السلمية.
- ٥- تنمية مهارات الحفاظ على سلامة البيئة من العبث والتلوث والعمل على ازدهارها وتحسينها.
- ٦- فهم العلاقات والمتغيرات الدولية المحيطة بعالمنا العربي.
- ٧- تنمية مهارات الاتصال والتواصل وخاصة على الصعيد القومي العربي، على اعتبار أن الوطن العربي ووطن واحد والأمة العربية أمة واحدة، وتدعيم مقومات الوحدة العربية وترسيخها وتأصيلها.
- ٨- تنمية المهارات اللازمة لمقاومة الفكر الصهيوني والاستعماري.
- ٩- تنمية المهارات الذهنية في تخصص الأمور والتحصين ضد حملات التشكيك والدعاية المغرضة والشائعات المسمومة سواء على الصعيد الداخلي او الخارجي.
- ١٠- تنمية مهارات الشباب في محاربة الامنان والعنف والتعصب والجنوح والجريمة والتسيب والفوضى واللامبالاة ومختلف المظاهر السلبية في حياتنا.

- ١١- تنمية المهارات اللازمة لدى الشباب العربي لغز و الصحراء وتعميرها والتدريب على الحياة في المجتمعات العمرانية الجديدة التي أنشئت في المناطق الصحراوية أو النائية.
- ١٢- تنمية مهارات إقناع الناشئ بالانتماء الإسلامي والوطني والقومي العربي.
- ١٣- تنمية المهارات اللازمة للصناعات الدقيقة والصناعات المعدنية والصناعات الثقيلة مع الاهتمام بالزراعة العربية.
- ١٤- تنمية مهارات الإدارة التنموية الحديثة والهادفة.
- ١٥- تنمية مهارات الخلق والإبداع والابتكار.
- هذا تصور عام لبعض المهارات التي ينبغي تنميتها في طالب الغد على امتداد الوطن العربي الكبير، وسوف يقتصر الباحث في استعراضه على نوع واحد منها وهو تنمية المهارات والسمات الإبداعية ودور التربية العربية المعاصرة في ذلك.

تنمية السمات الإبداعية

أهمية الإبداع في حياة المجتمع :

للإبداع أهمية كبيرة في حياة المجتمعات، ولا سيما في مجتمعنا العربي الكبير الذي أخذ على عاتقه مهمة صنع التقدم على أرضه وللحاق بركب حضارة العصر وعبور الفجوة الحضارية التي فصلته عن العالم المتقدم، بسبب ما تعرض له من حملات الاستعمار والسيطرة لفترات طويلة من تاريخه. ويتوقف تقدم المجتمع على قدر ما يقدم أبناؤه من الابتكار والإنتاج وعلى قدر ما يبذلون من العطاء والتضحية، وبحسب ما يتحلون به من القيم الدينية الأصيلة النابعة من إسلامنا الخالد وشريعته السمحة الغراء.

ولا شك أننا نعيش عصر اكتشاف الثروة البشرية، التي هي أعلى الثروات وأثمنها جميعا. فالمجتمعات المتقدمة لم تحرز تقدمها بفضل ثروتها من المعادن أو ما

لديها من المحاصيل، وإنما بفضل ما لديها من العلماء والمبدعين والمخترعين والمفكرين ودعاة الإصلاح.

الإبداع سمة عامة:

وجدير بالملاحظة أن الإبداع سمة عامة فردية وجماعية تسود حياة الفرد في كافها جوانبها، وليس من الضروري أن يكون قاصراً على مجالات الاختراعات التكنولوجية أو الاكتشافات العلمية، ولكنه يوجد في ابتكار نظام جديد للإدارة أو فلسفة للحكم أو طريقة جديدة لحل ما يجابه الفرد أو المجتمع من المشكلات. فالابتكار له مستويات متعددة، ويستطيع أن يمارسه كل منا في حياته العامة أو في مجال عمله مهما كان بسيطاً.

طبيعة العملية الإبداعية :

وأول ما يتبادر إلى الذهن هو التساؤل عما إذا كان الإبداع قدرة فطرية موروثية، يولد الفرد مزوداً بها، بمعنى انتقالها من الآباء والأجداد إليه عبر ناقلات الوراثة، أو ما يعرف، بيولوجياً، باسم الجينات. وفي هذه الحالة لا شأن لنا كمؤسسات تربوية وتعليمية وإدارية واجتماعية في تنمية السمات الإبداعية في الأفراد ما دام الأمر مقررأ بعوامل وراثية صرفة.

الحقيقة، التي كشفت عنها الدراسات الميدانية المتعددة، ان السمات الإبداعية، في معظمها، متعلمة أي مكتسبة من البيئة والتربية والتفاعل الاجتماعي، ومن جراء انخراط الفرد في وسط اجتماعي معين، وجدير بالملاحظة أن الإبداع ليس سمة واحدة أو قدرة واحدة، وإنما هو مجموعة مترابطة من السمات التي يتسم بها تفكير الشخص المبدع وسلوكه وما تتطوي عليه نفسه من الطموح والروح المعنوية المرتفعة والأمل والتفاؤل بالذات والإقدام والشجاعة الأدبية والعلمية والمرونة الفكرية والتفانيّة وعدم الجمود أو عدم الخضوع للحلول القديمة لما يواجهه من المشكلات.

فما هو الإبداع في الإطار السيكلوجي ؟

الإبداع لغة، مشتق من الفعل " أبداع " الشيء، أي اخترعه لا على مثال، والله تعالى بديع السموات والأرض أي مبدعهما. ويقال أبداع الشاعر أي جاء بالبديع. وأبداع الله تعالى الخلق إبداعاً خلقهم لأعلى مثال، وأبدعت الشيء وأبتدعته أي استخرجته وأحدثته. والبدعة في الدين مكروهة، إذا جاءت بعد لكتمال. وبعضها غير مكروه فيسمى " بدعة مباحة " وهي ما شهد لجنسه اصل في الشرع واقتضاه مصلحة يندفع بها مفسدة ويقال فلان بدع في كذا، كان هو أول من فعله، فهو مبتدع والبديع فعيل من هذا. ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا تُحِبُّوا بِحَدِّهِمْ مِنْ الرِّسْلِ ﴾ (الأحقاف ٩) أي لست أنا أول من جاء بالوحي من عند الله تعالى وتشريع الشرائع بل أرسل الله تعالى الرسل من قبلي مبشرين ومنذرين وأنا على هداهم.

الإبداع ليس تقليداً للماضي وأن كان يستفيد من التراث:

والإبداع *Creation* يعني الابتكار أو التكوين الجديد أو الصنع الجديد. والإبداع، في علم النفس، لا يعني مجرد محاكاة لشيء موجود من قبل، أو تقليداً له، وإنما هو اكتشاف علاقات أو وظائف أو خصائص جديدة، ووضع هذه العلاقات في صيغة إبداعية جديدة. والإبداع أيضاً ليس مجرد تصوير للطبيعة، وإنما هو خلق شيء جديد. ولكن ليس من الضروري أن تكون جميع عناصر الشيء المبتكر جديدة كل الجدة، وإنما يكفي أن يكون الإبداع مجرد تأليف جديد أو تصوير جديد لأشكال قديمة. فالمبتدع قد يستعير أفكاراً من غيره، ولكنه يوظفها توظيفاً جديداً، ويرى فيها معاني جديدة، ويضفي عليها دلالات جديدة، لم يسبقه إليها أحد.

فمخترع الآلة البخارية لم يخترع البخار، والفنان التشكيلي لا يخترع الألوان أو المادة التي يرسم عليها لوحاته الفنية، والشاعر لا يخترع حروف اللغة التي يكتب بها شعره.

معنى ذلك اننا نستفيد في الابتكار بكل ما تقع عليه أيدينا من التراث العلمي والفكري والفلسفي والفني، بمعنى الاستفادة من المعلومات والحقائق والفكريات والقوانين العلمية السابقة.

فالتراث يسهم في خلق الأعمال المبدعة. فالمبدع يستفيد من الماضي، ولكنسه ليس أسيراً له، وعلمية الإبداع، في جوهرها، واحدة سواء أكانت في العلم أو الفن أو التكنولوجيا أو الأدب أو الشعر أو الفلسفة أو في نظم الإدارة. ومن الجدير بالتأكيد أن الذكاء المرتفع جداً ليس شرطاً ضرورياً للإبداع، بل يكفي قدر أزيد قليلاً من المتوسط، بقدر نسبة ذكاء ١٢٠ لكي يكون الإنسان مبدعاً، إذا توفرت سمات أخرى ودوافع قوية لديه وذلك نظراً لوجود كثير من الأذكىء، ولكنهم قليلو الإبداع.

ومعنى ذلك أن هناك سمات أخرى إلى جانب الذكاء وهي التي تسهم في الإبداع من ذلك :

سمات الشخص المبدع :

- ١ - النظرة للحياة نظرة مرنة، وليست نظرة جامدة أو مطلقة.
- ٢ - يعتقد المبدع أن الأمور ليست مطلقة أو تقليدية ولكنها نسبية، وكذلك نظراته التي السلطة على أنها أمر تقليدي وليست أمراً مطلقاً.
- ٣ - لا يميل إلى التفكير الذي ينظر إلى الأشياء بأنها إما سوداء أو بيضاء جميلة أو قبيحة، ولكنه يرى الأشياء متدرجة بين الجمال والقبح مثلاً.
- ٤ - الشجاعة الأدبية والإقدام والرغبة في اقتحام الأشياء والغوص في بواطنها وسبر أغوارها واستكشاف مجاهل الطبيعة.
- ٥ - يمتاز المبدعون بروح الفكاهة والمرح، ويقدرون الفكاهة أكثر من غيرهم.
- ٦ - الشخص المبدع أقل جموداً أو تعقيداً وأكثر ميلاً للمرونة والحرية الفكرية. وجدير بالملاحظة ان السن الذي يصل فيه المبدع إلى قمة الإبداع يختلف باختلاف المجال الذي يظهر فيه الإبداع، فهذه السن صغيرة نسبياً لدى الشعراء مثل " قبيل الثلاثين " وهي أكبر نسبياً لدى المعمرين " ٤٠ عاماً فأكثر " .

خطوات عملية الإبداع :

يمر العقل في عدة مراحل للوصول الى الابتكار. حيث يسبق الإلهام مرحلة تحضيرية، يتم فيها إشباع الذهن بكل ما يدور حول المشكلة من الحقائق والمعلومات والظروف والملابسات، وقد تستغرق فترة الإشباع هذه سنوات طويلة، قبل أن يبدأ نور الإلهام في الإشعاع. فإسحاق نيوتن مثلاً لم يهتد فجأة الى قانون الجاذبية، لأنه شاهد التفاحة، وهي تسقط في حديقة منزله، ولكن سبق هذا السقوط فترة طويلة من التأمل والدراسة لظواهر الطبيعة.

وتطبق هذه الحقيقة على الشعر والشعراء كذلك، فان قصائدهم، التي تبدو وكأنها تهبط عليهم على حين غرة نونما مقدمات، يكمن وراءها تاريخ طويل من التأمل والنظر والتفكير. ويأتي الإلهام على حين غرة بسبب حالة الراحة والهدوء والاستقرار وتحرير العقل مما يقيدته وبتقله من التفكير الحاد في المشاكل، وترك المشكلة لفترة ما يعطي الذهن فرصة للتفكير فيها مرة أخرى بصورة جديدة ومن منظور جديد. والدليل على أن للإعداد والاستعداد والتهيؤ دوراً كبيراً في العملية الإبداعية أن هنالك أناساً كثيرين كانوا يرون التفاحة وهي تسقط. ولكنهم لم يهتوا الى قانون الجاذبية إلا إسحاق نيوتن.

مراحل العملية الإبداعية

يميز بعض العلماء هذه المراحل التي يمر بها ذهن الإنسان المبدع على

النحو الآتي :

- ١ - مرحلة الإعداد أو الاستعداد أو التهيؤ.
- ٢ - مرحلة الحضائنة أو الفقس أو الرحم.
- ٣ - مرحلة الإلهام أو الوحي أو الإضاءة أو الإشراف.
- ٤ - مرحلة التحقق من صحة العمل المبدع.

ففي المرحلة الثالثة يأتي الإلهام، أي الفكرة المبدعة، على شكل وهج من الضوء أو البصيرة أو الاستبصار أي الفهم العميق، وتأتي الفكرة الفجائية.

فالتفكير الإبداعي أسلوب من أساليب التفكير الموجه والهادف، يسعى للفرد، من خلاله، لاكتشاف علاقات جديدة أو يصل الى حلول جديدة لمشكلاته، أو يخترع أو يبتكر مناهج جديدة أو طرقاً جديدة أو أجهزة جديدة أو ينتج صوراً فنية جميلة.

ويشترط في الإبداع، من الناحية الاجتماعية، أن يكون موضوع الإبداع إيجابياً نافعاً وليس شراً أو هماً. ويتطلب الإبداع أن يكون الإنسان مثاراً ذاتياً أكثر من كونه مقلداً. فالإبداع ليس مجرد تجميع للعناصر القديمة ورصها بعضها فوق بعض، وإن كان ذلك لا يمنع أن يكون تكويناً جديداً لعناصر قديمة.

وهناك حد أدنى من الذكاء لابد أن يتوفر بدور حول ١٢٠ نسبة ذكاء لا يوجد ابتكار دون هذا الحد. وتتطلب العملية الإبداعية نوعاً من التفكير المتشعب أو المتبادل أو المتعدد، وهو نوع من التفكير الجديد.

يمتاز هذا النمط الإبداعي من التفكير بالمرونة والطلاقة، وهو تفكير مختلف وغير عادي أو مألوف، وهو تفكير ليس تقليدياً أو مألوفاً كما يمتاز بالسلاسة وبالأمالة. هذا التفكير الإبداعي يوجد لدى كل الناس صغراً أم كباراً. ولكن بدرجات متفاوتة.

هذا هو الإبداع وتلك خصائصه ومن الأهمية بمكان أن نتعرف على سبيل تنمية السمات الإبداعية وإذكائها في أكبر عدد ممكن من أبناء مجتمعنا العربي الناهض ولا سيما في وقت تتعرض فيه لكثير من التحديات ونواجه كثيراً من الصعوبات. وقد يقول قائل هل يعني هذا أننا نستطيع أن نحول جميع أفراد المجتمع الى مبدعين؟

الإجابة بالقطع .. لا ، ولكننا نستطيع أن نحول أكبر عدد ممكن منهم الى مبدعين ولو بمستويات متباينة، وذلك إذا ساهم المجتمع والأسرة والمؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية في رعاية السمات الإبداعية وتوليها بالرعاية والاهتمام. وندور بالذکر أن قضية الإبداع قضية اجتماعية تهم المجتمع كله وتقع مسؤولياتها على المجتمع كله وليس على مؤسسة واحدة، كالأسرة أو المدرسة أو المصنع. وانما لا بد من تضافر الجهود لتنمية هذه السمات والاهتمام بها منذ طفولة الفرد الباكرة.

وسائل تنمية السمات الإبداعية :

الإبداع، كما سلف، ليس قدرة واحدة، وإنما هو مجموعة من السمات والدوافع التي تتضافر فتؤدي إلى العمل البديع. ومن أهم المؤسسات التي تستطيع الإسهام في تنمية السمات الإبداعية المؤسسات التربوية في مجتمعنا العربي، ونستطيع أن نجمع المبادئ التربوية التي تؤدي إلى تنمية الإبداع فيما يلي :

- ١ - الاهتمام بالتربية الإسلامية، وغرس مبادئ الإسلام الحنيف في النشئ، والاستمرار في الاهتمام بها في مراحل التعليم اللاحقة.
- ٢ - التوفيق بين مطالب الروح ومطالب الجسد أي التربية الشاملة التي تؤدي إلى تكوين المواطن الصالح والمتكامل والمؤمن والقادر على الانتاج والعطاء.
- ٣ - الإيمان بالفروق الفردية بين الأفراد، ومعاملة كل حسب طاقته وهذا مبدأ عام في الإدارة والتربية وشمئ مناحي الحياة.
- ٤ - توسيع قاعدة التعليم في العالم العربي كله وتوفير الثقافة العامة لكل متعاطش لها لمزيد من الاستدارة الثقافية والفكرية والدينية.
- ٥ - القضاء على الامية التي ما زالت منتشرة بين نسبة كبيرة من الكبار والصغار في المجتمع العربي وتبديد ظلامها الحالي.
- ٦ - رفع سن الالتزام في جميع المدارس العربية إلى سن ١٦ سنة
- ٧ - توفير مكان لكل طفل يصل إلى سن الالتزام.
- ٨ - الاهتمام بالثقافة العالمية المعاصرة، ونقل النافع منها إلى البيئة العربية مادام لا يتعارض مع مبادئ الإسلام.
- ٩ - الأخذ بسياسة علمية وموضوعية في توجيه الطلاب نحو أنواع التعليم التي تتفق وقدراتهم الطبيعية.
- ١٠ - الاهتمام بتدريس مناهج البحث العلمي في العلوم المختلفة. وكذا تدريس تاريخ العلوم وحياة العلماء والأفاد والمبتكرين والمنطق الصوري والتطبيقي وذلك لتنمية قواهم على الاستدلال والاستقراء العلمي وإصدار الأحكام الصائبة، والتحرور من الخرافة والشعوذة ومن النزعات الذاتية، ومن القفز في إصدار الأحكام دون

وجود المقدمات الكافية التي ينتج عنها الحكم بالضرورة مع تنمية قدراتهم على التفكير والتخيل والتصور والتحليل والتركيب والنقد والمقارنة والتطبيق والفهم والاستيعاب واستخلاص النتائج، وتكوين الآراء الخاصة مع تنمية القدرة على التأمل وعلى تمييز الصواب من الخطأ، وتنمية كل جوانب شخصية المتعلم، وتغيير سلوكه وقيمه واتجاهاته نحو الأفضل . اهتداء واسترشاداً بمبادئ الدين الإسلامي الخالدة.

ويتعين تدريب الأفراد على مختلف مستوياتهم، على تطبيق خطوات التفكير العلمي، والمتمثل في شعور الفرد بالمشكلة التي تواجهه والتي يسعى لحلها، ثم تحديدها أو وصفها، ووضع الحلول المبدئية لحلها، أو ما يعرف باسم فرض الفروض ثم لاختبار صحة الفروض فرضاً فرضاً عن طريق الاستقراء العلمي ولتتواءم بصنوبر الحكم وحل المشكلة المطروحة حلاً علمياً وموضوعياً مع التدريب على الاعتماد على الوقائع، والعودة إلى الطبيعة باعتبارها سجلاً مفتوحاً، مع ضرورة التحلي بالأمانة العلمية، والصدق والمرونة وعدم التمسك بالآراء القديمة أو الآراء الشخصية، والاستعداد لتغيير آراء الفرد باستمرار وفقاً للحقائق المتجددة.

ولا بد من غرس مشاعر الثقة بقدرة العقل العربي المعاصر على الخلق والإبداع والابتكار والتجديد والتطوير والتنمية والتقدم والتحضّر والتنمية والترفيع، وعلى خوض غمار العلم الحديث، وامتلاك ناصيته كما امتلك أجدادنا المسلمون ناصيته، وما زالت الإنسانية تشهد بعظمة علماء الإسلام ومفكره في شتى المجالات العلمية والفكرية. فلقد أفرزت العبقريّة الإسلاميّة أرقى حضارة عرفتها الإنسانية.

وتستند عملية تنمية السمات الإبداعية في المناظرة والطموح والرغبة في التجديد، والصبر والجدل، وقوة الاحتمال، والمرونة والطلاقة الفكرية وما إلى ذلك، تستند إلى عدة مبادئ لا بد من توخيها لكي تزيد من فرص تنمية سمات الإبداع لدى أكبر عدد ممكن من أبناء المجتمع العربي المعاصر، ومن ذلك الإيمان بأن استعدادات الفرد يمكن أن تنمو وتردهر أو تطمس وتختفي، أو تغير وجهتها، فأما إلى الخير وأما إلى الشر . ويجب أن يستهدف مجتمعنا العربي تكوين المواطن العصري الذي يتمتع

بالإيمان والعلم ويتكوين الشخصية المتكاملة في عناصرها الروحية والجسمية والنفسية والخلقية والعقلية والاجتماعية في تكامل وتناسق واتساق. مع الحرص على تحرير المواطن العربي مما يكبل طاقته ويغل قدراته من الإبتلاء، بسبب ما يعانيه من المشكلات والاضطرابات النفسية ومشاعر القلق والإحباط تلك التي تمتص طاقة الإنسان وتبدها ومن الآلام التي تعترضه.

ويلزم تشجيع المواهب العلمية والفنية واحتضانها منذ سن باكراً في الإنسان العربي. وتوفير الدوافع والحوافز والجوائز لكل مجد أو مبتكر، وتنمية الرغبة في البحث دائماً عن الحقيقة مع ضرورة الإيمان بأن محك الخطأ والصواب الوحيد هو الحقائق الواقعية نفسها، مع تشجيع التربية الاستقلالية وخلق اهتمامات وهوايات متعددة ومتنوعة كل حسبما يرغب وتطبيق مبادئ الشورى والديمقراطية فسي الفكر والعمل تلك الحرية المستتيرة والمحددة بحدود القانون وللشروع والصالح الوطني العلم. ونخلص من هذا إلى أن عملية الإبداع ليست فطرية أو محددة وراثياً، وإنما ترجع معظم السمات الإبداعية إلى ظروف التربية الجيدة والأسرة المشجعة والمجتمع الواعي الذي يحرص على غرس القيم والعلم والبحث العلمي والأدبي والفني في نفوس أبنائه، وينمي فيهم سمات المثابرة والإصرار وحب الاستطلاع والتجديد والنضال العلمي والرغبة في الوصول بمجتمعنا الناهض إلى نروة المجد وقمة الازدهار.

حماية الإسلام لشخصية المسلم

الإسلام يحمي أبنائه من أخطار الخبائث :

الإسلام حريص كل الحرص على حماية أبنائه من التعرض لخطر الخبائث، وكل ما يؤدي إلى إيذاء الإنسان أو إلحاق الضرر به أو بصحته العقلية أو الجسمية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ (سورة الأعراف/ ١٥٧) .

حتى لا يتعرض للإصابة بالأمراض والعدوى، أو يتعرض لخطر الهلاك من تناول الأشياء المحرمة أو الضارة كالخمر والمخدرات والدم والميتة ولحم الخنزير والتدخين المفرط، في حين أباح الإسلام التمتع بالطيبات، وبكل ما هو حلال مباح، وليس هذا من قبيل التسلسل الدكتاتوري أو الغرض السلطوي، وإنما كل هذه التعاليم من أجل سعادة الإنسان والحفاظ على المسلم قويا غنيا منتجا وإصيا ذكيا سليما فاعلا، ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وماء مسيبا ﴾ (سورة الإسراء / ٣٢) .

ويؤثر في وطنه ومجتمعه، ومن تلك الخبائث الزنا لما له من آثار ضارة ومدمرة على حياة الفرد والمجتمع وفساد الأخلاق وتدهور القيم في المجتمع وضياع الأنساب، وإلى جانب ذلك دل البحث العلمي على أن ممارسة الزنا تعرض صاحبها للإصابة بالإيدز وغيره من الأمراض السرية الخطيرة، فضلا عن هدر العفة والأمانة والعرض والشرف. والمسلم مدعو للحفاظ على شرفه وعرضه وماله ووطنه. فالإسلام يؤدي إلى تكوين المواطن الصالح المؤمن بربه وبوطنه ويعرويته، ويتعد عن الضرر والأخطار والإسلام دعوة للتوسطية والاعتدالية واليعد عن التطرف كما في قوله تعالى: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى يديك ولا تبسطها لحل البسط فتتجد ملوما محسورا ﴾ (سورة الإسراء / ٢٩) .

لأن المبالغة في أي شيء تؤدي إلى إلحاق الضرر، وخسیر الأمور الوسط والاعتدال، تلك تربية مثالية، يوفرها الإسلام لأبنائه، ويبيدهم بذلك عن مخاطر التطرف سلباً أو إيجابياً، وعن التزمّت والتعصب والمبالغة وما يصاحبها من العنف أو العدوان، وإنما رأى الإسلام الخير كل الخير في التوسط والاعتدال في كل أمور حياة المسلم. ويتفق علم النفس الحديث مع هذه المبادئ القيمة التي كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في التعرف عليها والدعوة لها.

صلة الأرحام في الإسلام وأثرها النفسي الأخلاقي:

تمتاز تربية الإسلام لأبناء المجتمع الإسلامي بالتمسك الشديد بالقيم الإنسانية والاخلاقية، قيم الفطرة السوية، حتى ينمي ويدعم ويشجع قيم الوفاء والعرفان والعطف والرحمة والشفقة والمودة والسلام والمحبة، وخاصة بين أفراد الأسرة الواحدة التي هي المظلة أو الحضنة أو الرحم الذي يتربى فيه الناس، فعلى الأبناء احترام الآباء والعطف عليهم والشفقة بهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَسَى رَبَكَ أَيَّهَا الْإِنسَانُ إِنَّا إِلَهٌ وَإِلَهُ آبَائِكَ مَكِينًا ﴾ [سورة الإسراء ٢٣ - ٢٤]

فلقد قرن الله تعالى عبادته سبحانه بطاعة الوالدين والبر بهما والإحسان إليهما وخاصة عندما يتقدمان في العمر ويضعفان ويعجزان، هنا وجب للوفاء ورد الجميل وطاعة الله في إرضائهما والدعوة لهما. فالتعاليم هنا ليست سالبة وحسب وإنما هي سلبية وإيجابية بمعنى أن تأمر الولد بعدم الإساءة وبالإحسان والبر بهما.

الدعوة للعمل وأثرها النفسي :

إلى جانب القيم الإنسانية والأخلاقية النبيلة التي يغرسها ويزرعها في أبنائه، فإنه يدعوهم أيضاً للعمل والكفاح والجد والاجتهاد والنضال والكد في كسب الرزق الحلال بعد قضاء الصلوات وغيرها من العبادات، ولذلك فإن الإسلام يختلف عن

للهيانية النصرانية التي تشجع على عدم العمل في المجتمع الخارجي وعلى العزلة وعلى عدم الإنجاب، فلو سادت الهيبة لانقرض البشر. ولكن الإسلام دين واقعي عملي شامل وجامع ومانع، يجمع بين الإنسانية والروحانيات وبين الاتجاهات العملية والواقعية في حب العمل والسهر والكفاح والانتشار في الأرض وتعميرها وتمييتها. فلقد جعل الله الإنسان خليفة له في الأرض، يعمرها وينميها، ويزرع الخير والبركة فيها، وهو بذلك يبعده عن اتجاهات الكسل والخرابي والتواكل أو العزلة والانطواء والانسحاب من معترك الحياة الاجتماعية والاقتصادية. فالشخصية الإسلامية متكاملة تذكر الله دائما وترعاه وفي نفس الوقت تعمل وتكد للكسب الحلال والتمتع بالطيبات من الرزق وغيره من وجوه الإشباع الحلال.

مسؤولية الإنسان في الإسلام تمتد لتشمل ذريته وأهله :

المسؤولية في الإسلام شاملة وبعيدة عن الفردية الغربية أو الأكلانية، فالإنسان ليس مسؤولا عن نفسه وحسب وإنما أيضا مسؤولا عن نويه وذريته الضعيفة، فعليه أن يعمل عملا صالحا حتى يبقى هذا العمل لذريته وينفعهم فمسؤولية المسلم تمتد لتشمل ذريته، ولذلك أمره الله تعالى أن يعلم أبناءه للصوم والصلاة، وأن يؤدبهم، ويعلمهم آداب الاستئذان. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ ولعظي الذين لو تركوا من خلفهم حرية خعابا خاعوا عليهم ﴾ [سورة النساء 9].

حماية الإنسان من خطر نفسه :

يحرص الإسلام على سلامة الإنسان المسلم، وعلى صحته العقلية والنفسية والجسدية، ويعمل على توحيته ضد الأخطار والتهلكة حتى لا يؤدي عيشه واستهتاره إلى أن يقتل نفسه أو يدمر حياته كما في قوله تعالى: ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [سورة البقرة 195].

وهناك في هذه الأيام كثير من هذه المخاطر التي يضع إنسان العصر نفسه فيها، من ذلك الارتعاش في أحضان الخمر والمخدرات فيفتسه الإيمان ويحيله إلى

حطام وركام في لمح البصر ويقضي على نفسه وعلى عقله وصحته وأسرته وثورته وشرفه وعرضه ويفقد وظيفته ويؤدي به الإدمان إما إلى الموت أو إلى السجن عندما يتحول من التعاطي والإيمان إلى الاتجار والجلب وتوزيع المخدرات.

الإيجابية في الشخصية الإسلامية :

﴿ ولتكن منكم أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وألئك هم المفلحون ﴾ [سورة آل عمران ١٠٤]

والمسلم بحكم تربيته وتنشئته وإعداده الاسلامي، ليس شخصا سلبيا، وإنما يتربى على الإيجابية وعلى القيام بدور إيجابي وفاعل في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، فلا يقف موقف المتفرج من الأحداث الجارية حوله، فإن كانت خيرا باركها وإن كانت شرا قاومها ومنعها بالحسنى، فالمسلم مطالب بالأمر بالمعروف والإحسان والبر والتقوى والتعاون وكل ما هو خير، ومطالب أيضا بالنهي عن كل ما هو مكروه وشر مؤذ وضار، وذلك حتى يعم الخير أرجاء المجتمع الإسلامي.

منهج الحوار والإقناع في الإسلام:

الإسلام بعيد كل البعد عن أساليب العنف أو التسلط أو الإرهاب أو القهر، وإنما يتخذ الإسلام منهج الحوار العقلاني والإقناع بالحسنى في حل المنازعات والخصومات والخلافات التي يدعو الإسلام إلى حلها بالحسنى مما يقضي على العداوات والخصومات بين الناس، بل إننا إذا أحسنا إلى من أساء إلينا دفعه نلك إلى العودة إلى حظيرة الحق واعترف بما آتاه من أخطاء، وتم التصافي والتصالح والسود. فالأعمال الطيبة أثيرة للإحسان وفعالة في نفسيته أكثر من العنف كما في قوله تعالى: ﴿ولا تتكلموا بالحسنة ولا بالصينة اذبح بالتى مبي أحسن فأذا الطيب بيبك وبينه محاوة كأنه وليي حميه وما يلقاها إلا الذين سبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [سورة فصلت ٣٤ - ٣٥].

فلا تقابل العنف بالعنف أو العداوة بالعداوة، وإنما بالחסنات مما يؤدي إلى حسن الجوار وتوطيد العلاقات بين المسلمين وتقوية الروابط بينهم، وعدم توسيع السهوة بينهم ومن شيم المسلم الصفح والعفو والتسامح والإحسان وحسن الجوار وإكرام الجسار واحترام الكبير والنجدة والمروءة والشهامة والشجاعة.

الإقتداء برسولنا العظيم :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
وحلموا الله تحميراً ﴾ [الأحزاب ٢١]

يأمرنا الله تعالى أن نتأسى برسولنا الكريم الذي علمه ربه فأحسن تأديبه، وكان على خلق عظيم، علينا أن نتخذ من رسولنا الكريم قدوة حسنة ومثالا طيبا نقفدي به ونتمثل بأخلاقياته وسنته المطهرة وبأعماله الخيرة وبارشاداته الطيبة ويمثل الهدى النبوي الشريف اعظم منارة للمسلم يهتدي بها في كل نواحي حياته فتهديه إلى الحق والخير والنفع، واصلاحه في الدنيا والآخرة وتبدو أهمية القدوة الحسنة أكثر ما تبدو في أيامنا هذه بالنسبة لأطفالنا الصغار الذين أصبح الآباء أمامهم لا يمثلون القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدي به بسبب تشويهِه أجهزة الإعلام لصورة الأب والأم. ولذلك فقد أبنائنا القدوة الحسنة، وهي من أهم ضرورات التنشئة الروحية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية العظيمة ويكمن الحل في العودة إلى حظيرة الإيمان والاهتداء بالهدى النبوي الشريف.

الآثار النفسية للمبادئ الإسلامية

مبدأ عدم الإسراف أو التقتير:

قال تعالى: ﴿والذين إنما ادعواهم لم يسموا له يسمونوا ولهم يفتنوا وما كان بين ذلك قواماً﴾ [سورة لقمان: ٦٧].

الإسلام يدعونا دائماً للتوسط والاعتدال بين الإسراف الزائد وبين البخل والتقتير الزائد، وكلاهما رذيلة وكما قال أرسطو الفضيلة وسط بين طرفين كلاهما رذيلة: إفراط وتقریط، الإسراف يقود للهلاك والإفلاس وعدم الاحتراس ضد مصائب الدهر وغوائله، والتقتير يقود للشعور بالحرمان والحقد والحسد والكرهية، ولذلك فإن الوسطية من المبادئ الإسلامية التربوية الجيدة. ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿محلوا ما هربوا ولا تمسروا إياه لا يحب المفسرين﴾ [الأعراف ٣١].

والدعوة للتوسط دعوة عامة في الإنفاق وفي الأكل والشرب واللبس وفي كافة جوانب الاستهلاك، فالإسلام يرشد سلوك المسلم الاستهلاكي ويدفعه الى حد الكفاية فقط أي يأكل الحد الضروري فقط وفيما عدا ذلك يتصدق به في شكل الزكاة وغيرها، فالمسلم ليس مسؤولاً عن نفسه وحسب، وإنما عن فقراء بني جلدته أيضاً تدعيماً للتكامل والتكافل والتضامن الاجتماعي.

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق،

اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [سورة العلق ١-٥]

ويدعونا إسلامنا الحنيف إلى القراءة والإطلاع والبحث والتفتيش والدرس والتفقه في الدين واكتساب العلم ونشره، فالإسلام دعوة مستبيرة تقوم على أساس تشجيع العلم والعلماء وتكريمهم واحترامهم وتقديرهم، وعلى نشر العلم النافع، العلم الخير الذي يستخدم في وجوه السلم وأغراضه، ويقول تعالى أيضاً: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [سورة فاطر ٢٨].

وينزل الإسلام العلماء منزلة رفيعة فهم أكثر الناس خشية لله تعالى، بسبب علمهم واستتارة عقولهم وتفقههم في الدين، ولذلك، فالإسلام دعوة للعلم وللعقل وللتأمل

والتبصر والتفكير والتبصر والفهم والاستيعاب في مخلوقات الله وخبراته ونعائمه وفضله على الإنسان وعلى العالم. ولا يوجد تعارض بين العلم والدين في الإسلام، بل إن الإسلام يشجع على اكتساب العلم وليس اكتسابه وحسب، وإنما توجب على من يتعلم أن يعلم غيره وأن ينشر نور العلم بين ربوع الأمة الإسلامية. وليس غريباً، إن، إن يخلق الإسلام أرقى حضارة عرفتها الإنسانية قاطبة. وفي تكريم العلماء والعلم يقول السهدي القرآني الخالد: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي السَّمِينُ يَعْلَمُونَ وَالسَّمِينُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر ٩].

فالعلم فضيلة قدرها الإسلام ودعا إليها ولم يخش الإسلام من العلم والعلماء على قوته، بل دعا إلى العلم، وأحرز علماء الإسلام في العصور الوسطى أكبر المنجزات العلمية في الفلسفة وفي الطب والكيمياء والرياضيات والفلك وشتى العلوم المعروفة على أيامهم، ولذلك قامت نهضة علمية إسلامية نقل عنها القرب حضارته الحالية، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَمَّسْتُمُ التُّوَكَّلَ عَلَيَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يَجِبُ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [سورة آل عمران ١٥٩].

ويدعو الإسلام للتخلي بكثير من الفضائل والخصال والسمات الحميدة، ومن ذلك التوكل على الله تعالى، ولهذا أبلغ الأثر النفسي في شعور الإنسان بالأمن النفسي والاستقرار والثبات والهدوء، بدلا من أن يظل حائرا مشتتا عاجزا عن اتخاذ قرار فيما يواجهه من مشكلات وتعرف حالة التردد هذه في علم النفس الحديث بحالة الصراع. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَسَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ ﴾ [سورة آل عمران ١٨٦].

من أخلاق الإسلام، التي تؤدي دورها إلى التمتع بالتكيف النفسي، الدعوة للصبر وقوة الاحتمال والجد وعدم التهور أو العبث أو السخط والضجر والتبرم وفقدان الثقة والشطط والضياح، وإنما التحلي بالصبر وفي الصبر قوة للشخصية وسلامة للصحة النفسية وقوة الاحتمال من المظاهر الدالة على سلامة الشخصية وسواتها.

قال تعالى: ﴿ وَأَسْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَالْعَمِيِّ يَرِيدُونَ وَجِهَهُمْ وَلَا تَعِدْ بِبَيْنَاكَ مِنْهُمْ تَرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمُ مَنْ أَخَذْنَا قَلْبَهُ عَنْ حَقِّنَا وَابْتِغِ مَوَاهِبَ لِحَاظِ أَمْرِهِ تَرْمِي ﴾ [الكهف ٢٨].

ويدعو الإسلام للتخلي بالصبر وعدم التكاليف على زينة الحياة الدنيا في سبيل التمتع بالجنة والخلود فيها، وهي أبقي وأقيم وما الحياة الدنيا إلا تجربة ومقدمة للدخول في حياة أبدية دائمة.

الدعوة للتماسك الاجتماعي :

وفي الدعوة للتآلف والاتحاد والوحدة والتماسك والتضامن والتساند بين أبناء الأمة الإسلامية يقول القرآن الكريم: ﴿ **تَالْفِئَةِ** بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فَأَصْحَبْتُمْ بِهِمْ مَعَهُ إِخْوَانًا ﴾ [سورة آل عمران ١٠٣].

فالإسلام يدعو لنشر مشاعر الإخاء والأخوة بين المسلمين وما يتبع ذلك من التضامن والتماسك والوحدة والوقوف في وجه الطغاة وأعداء الإسلام الذين يخافون من الإسلام على قلوبهم، ولذلك يعاندونه ويتهمونه بتشجيع الإرهاب وهو دين علم وسلام وتحضر وما أوجنا نحن المسلمين للتآلف بعد أن شب النزاع بين كثير من بقاع الأرض وهاهي دعاوى العلمانية والبعيد عن الدين تصيب بعضا من ضعاف النفوس من أبناء أمة الإسلام نفسها. ويدعو الإسلام للتواضع وحسن المعاشرة وحسن الجوار ولنا في رسول الله تعالى أسوة حسنة ومثالا يقتدي به فالمؤمنون أخوة أولياء بعضهم لبعض يعيدون عن التعالي والغطرسة والكبرياء.

ولذلك سوى الإسلام بين أبنائه فلا فرق لعربي على أعجمي إلا بالنقوى، والمسلمون كأسنان المشط سواسية. وترتبط بينهم مشاعر الوحدة ومشاعر الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ويقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **فَلِذَلِكَ تَمَادَى** وَأَمْتَمَّ لَهَا أَمْرُهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ **أَمْوَالَهُمْ** ﴾ [سورة الشورى ١٥].

الثبات في الدعوة والثبات على المبدأ من دواعي الاستقرار الفكري والنفسي والعقلي والعقائدي، ولذلك، فالإسلام يدعونا للثبات على المبدأ ضمانا للاستقرار النفسي وعدم التذبذب أو التارجح، ومن ثم الضياع والشعور بالفوضى وانعدام الرؤية وتقود مثل هذه المشاعر للمرض النفسي.

مبدأ الزهد في متاع الدنيا :

من المبادئ التربوية والنفسية العظيمة في الإسلام، الدعوة للزهد فسي متاع الدنيا وزينتها وملذاتها وشهواتها من النساء والذهب والفضة والخيل وما إلى ذلك، وفي ذلك محاربة للفلسفات المادية التي ظهرت وسيطرت على العالم الغربي في أيامنا هذه، وهي نزعات تؤدي بأصحابها إلى الهلاك وإلى التكاليف وإلى عبودية المال والخضوع له وسيطرته على حياة الفرد والجماعة، وإلى طمس القيود الأخلاقية والروحية والإنسانية لدرجة أننا أصبحنا نسمع أن الدولار هو الذي يحكم أمريكا. قال تعالى : ﴿إِنَّ لِلنَّاسِ مِنْ عِندِ عَشْرَ أَصْنَافٍ إِنَّهُمْ عَنِ السُّعْيِ أَعْبَادٌ لِلنَّاسِ وَالنَّاسِ عِبَادٌ لِللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْنَافٌ ذَاتُ كَرَمٍ وَالَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ لِلنَّاسِ حَرِيصُونَ عَلَىٰ مَوَالِهِمْ ذُوو أَسْنَانٍ وَالَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ مَالَهُمْ سَوَاءً أَبَدًا وَمَا بَدَّلُوا بِهَا بَدْلًا وَلَا كَفًا لِقُلُوبِهِمْ أُولَٰئِكَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ﴾ [سورة آل عمران ١٤].

مبدأ الحد من اتباع الهوى :

كذلك من المبادئ التربوية التي يحفل بها تراثنا الإسلامي الخالد الخوف من الله تعالى وخشيته ونهي النفس عن اتباع الهوى والشطط أو الجنوح إلى الشر أو المذات أو الشهوات أو الأطماع، فإن النفس تصاب بالمرض مثل في ذلك مثل سائر البدن، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ مِنَ الْحَمِيزِ ۗ فَبِإِذْنِ الْمَوْلَىٰ يَكُنِ الْجَنَّةَ يُدْخِلُ فِيهَا مِمَّا يَشَاءُ﴾ [سورة النازعات ٤٠ - ٤١].

وفي الدعوة للصبر والتحلي به يحث الإسلام على التمسك بخصال الصبر، وهو عكس التهور والتهيج والتسرع والتخبط، وهو دليل على تمتع صاحبه بالصحة النفسية والعقلية الجيدة، والمؤمن قادر على ممارسة الصبر، وضبط النفس، وعلى التحمل والجلد أكثر من الملحد، لأن الإيمان يقوي الفضائل الإنسانية ومنها فضيلة الصبر. ويقول تعالى : ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْغَيْنُ حَرِيرًا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا حَوْطٌ مُّطَيَّرٌ﴾ [سورة فصلت ٣٥].

والصبر والصابرين أجر عظيم عند الله تعالى وما أحرانا نحن المسلمين أن نتحلى بالصبر في هذا العصر الذي ازدادت فيه الضغوط النفسية على الإنسان من الغلاء والبطالة والتسبب الإداري، وفوضى الشارع، وعدم الالتزام، وعدم تطبيق

القانون والمنافسات الشديدة، وانتشار البطالة، وصعوبة الزواج وتكوين الأسرة، وصعوبة المنافسات في المجال التعليمي، وارتفاع مستويات الطموح وازدياد معدلات القلق، ولذلك لا يوجد دواء للقلق خير من التحلي بالصبر والتدريب عليه اهتداء بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [سورة البقرة ١٥٣].

ويجد المسلم في الصبر والصلاة ما يريجه من عناء الدنيا ومتاعها ومشاكلها التي باتت تنقل كاهل الإنسان، وخاصة الإنسان الفقير والبسيط الذي باتت تطحنه الظروف القاسية والغلاء والبطالة وارتفاع تكاليف الحياة، ولا مفر من التحلي بالصبر والأناة والرفق فما وجد الرفق في شيء إلا زانه وما انتزع من شيء إلا شانه مصداقاً لقول رسولنا الكريم. ويقول تعالى أيضاً: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا آسَأَكَ إِنَّ ظِلَّكَ مِن مَّحْزَمِ الْأُمُورِ ﴾ [سورة لقمان ١٧].

ويدعو الإسلام الإنسان للصبر، وخاصة في أوقات الشدائد والأزمات والكوارث الطبيعية أو الصناعية والصعاب وفي الصبر قوة وعزم وإرادة وتحدي، وذلك بدلاً من الانهيار والسقوط أمام نوابغ الزمن وما أكثرها في هذا الزمان. الصبر هو الحل وهو العلاج وهو الخلق، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرْتَبًا بِمَا صَبَرُوا ﴾ [سورة القصص ٥٤].

ولفضيلة الصبر أجر عظيم عند الله تعالى ولذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل ٩٦].

على أنه من الجدير بالإشارة أن الصبر لا يعني، بحال من الأحوال، التواكل والكسل والتراخي والضعف والخور في مطابفة المسلم بحقوقه والدفاع عن أرضه وعرضه وشرفه وماله ووطنه وعرويته وإسلامه فالصبر مع القوة والإرادة والعزيمة والشجاعة والإقدام والاستبسال في الدفاع عن الحقوق المشروعة والصبر مع الكفاح والنضال والمعني الجاد والموصول في طلب الرزق.

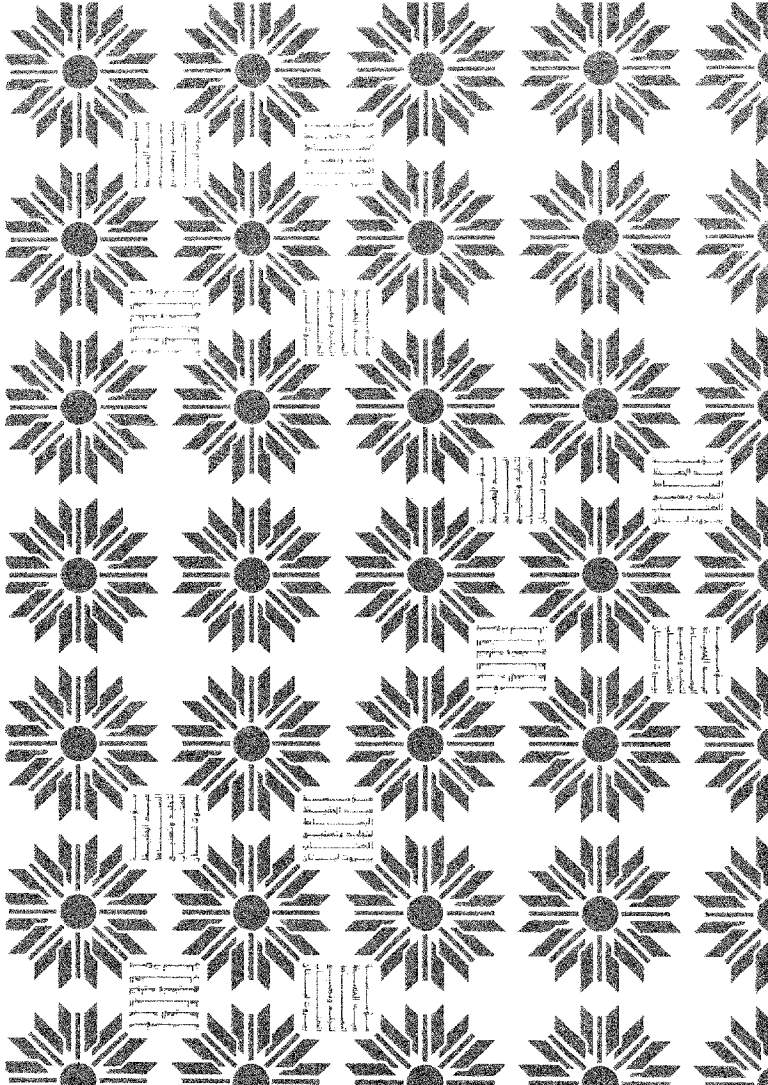
قائمة المراجع بالعربية

- ١ - ابو بكر الجزائري، منهاج المسلم، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر، القاهرة، ١٩٦٤.
- ٢ - احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦.
- ٣ - احمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢.
- ٤ - احمد عزت راجح، اصول علم النفس، دار القلم، بيروت، لبنان.
- ٥ - البخاري ابو عبدالله محمد، صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٦ - جابر عبد الحميد جابر، علاء الدين كفايي، معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠.
- ٧ - حارث سليمان الفاروقي، المعجم القانوني، مكتبة لبنان، ١٩٨٨.
- ٨ - سعيد إسماعيل علي، محرر، التعليم الجامعي في الوطن العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧.
- ٩ - سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية، ١٩٩٠.
- ١٠ - صالح عبد العزيز. شربية وطرق التدريس، ط ١٩٧١، دار المعارف، بمصر، ١٩٧١.
- ١١ - عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩.
- ١٢ - عباس بيومي عجلان، دراسات في الحديث النبوي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦.

- ١٣ - د. عبد الرحمن عميرة، منهج القرآن في تربية الرجال، عكاظ، ١٤٠١هـ، جدة - السعودية.
- ١٤ - د. عبد الرحمن محمد العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٦.
- ١٥ - د. عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس الاسري، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، دار المعرفة الجامعية.
- ١٦ - د. عبد الرحمن محمد العيسوي، سيكولوجية الابداع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.
- ١٧ - د. عبد الرحمن محمد العيسوي، الاسلام والعلاج النفسي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٦.
- ١٨ - د. عبد الرحمن محمد العيسوي، سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر، دار الوثائق، الكويت، ١٩٨٦.
- ١٩ - د. عبد الرحمن محمد العيسوي، مقومات الشخصية الاسلامية والعربية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٦.
- ٢٠ - د. عبد الرحمن محمد العيسوي، العلاج النفسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦، دار النهضة العربية، بيروت.
- ٢١ - د. عبد الرحمن محمد العيسوي، الاسلام والتنمية البشرية، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٦، الحاج للعربي.
- ٢٢ - د. عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس في المجال التربوي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦.
- ٢٣ - د. عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس الفسيولوجي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٤، ودار المعرفة الجامعية بالاسكندرية.
- ٢٤ - عبد المنعم الحفني، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤.

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٧	الفصل الأول: الأسرة
٨	تأثير الأسرة في كل أعضائها
٨	أهمية الأسرة الحديثة
٩	تأثير الأسرة على جميع أعضائها
١١	الفجوة بين التقدم العلمي والتقني وبين القيم الأخلاقية
١٢	أسس لختيار الأزواج للصائب
١٦	تأثير الاختيار الزوجي ببعض العوامل النفسية
١٧	مفهوم العامل الولادي أو المولادي
١٩	المخاطر الولادية على الصحة العقلية
٢٣	العوامل المؤثرة في نمو الطفل
٢٦	الوعي السيكولوجي والحياة الحديثة
٢٦	نور علم النفس في الحياة المعاصرة
٢٨	نور علم النفس في مجال الجريمة
٢٨	تضيق الظاهرة الإجرامية
٢٣	النزعة للسيكوبتيية
٢٣	تعريف التعمصب
٢٤	سمات شخصية للمتطرف
٢٧	الفصل الثاني: الطلاق
٢٨	أسباب الطلاق : دراسة ميدانية
٥٥	تأثير الطلاق على الصحة العقلية والنفسية للأطفال
٦١	الصحة العقلية والظروف الزوجية
٧٢	سبل الوقاية من التصدع الأسري
٧٧	ضرورة فض المنازعات الأسرية
٨٣	العوامل النفسية في تجربة الطلاق
٨٩	هل من مصلحة الأسرة المصرية الحديثة تعقيد رولبطها؟
٩٣	للمرأة المسلمة في إعدادها الروحي
١٠٧	الفصل الثالث: أسس السعادة الزوجية
١٠٨	الأسرة المثالية في ضوء الهدى الإسلامي والتراث العلمي الحديث

١١٤ الأسس السيكولوجية للسعادة الزوجية
١١٨ سيكولوجية الزواج المتكيف
١٢٦ سيكولوجية الأسرة المصرية
١٣٣ الفصل الرابع: أسس للتربية السوية
١٣٤ مبدأ الثواب والعقاب وآثاره للتربوية
١٤١ دور المؤسسات التربوية في مكافحة الجريمة والجنوح
١٥٩ التنمية النفسية للفرد
١٦٩ التربية النفسية في الإسلام
١٧٦ سنوات التعليم الأساس ومستوى نضج الأطفال
١٧٩ كيف يصبح سلوك الطفل سلوكاً سوياً؟
١٨٢ هل يبحث أطفالنا عن القوة للحسنة؟
١٨٧ الفصل الخامس: أسباب الوقاية والعلاج إسلامياً وعلمياً
١٨٨ للتقويم الإسلامية وآثارها في تحقيق السعادة النفسية.....
١٩٤ دور الهدي الإسلامي في الشفاء من الأمراض النفسية
٢٠٢ مضادات القلق السلوكية
٢٠٦ العلاج النفسي الإسلامي
٢١٤ مناهج العلاج النفسي الحديث
٢٢١ الأسس الإسلامية والطبية لعلاج اللبول الليلي والوقاية منه
٢٣٤ سيكولوجية الاعتصاب
٢٤٣ الفصل السادس: تنمية السمات والقدرات الإبداعية
٢٤٤ هل في الإمكان تنمية الذكاء الإنساني.....
٢٤٨ دور التربية المرية المستقبلية في تنمية المهارات الإبداعية في الطالب العربي ..
٢٥٠ تنمية السمات الإبداعية
٢٥٩ حماية الإسلام لشخصية المسلم
٢٦٤ الآثار النفسية للمبادئ الإسلامية
٢٦٩ المراجع
٢٧٩ الفهرس



Small illegible text label in the top-left grid position.

Small illegible text label in the top-middle grid position.

Small illegible text label in the second row, left position.

Small illegible text label in the second row, middle position.

Small illegible text label in the third row, right position.

Small illegible text label in the third row, far-right position.

Small illegible text label in the fourth row, right position.

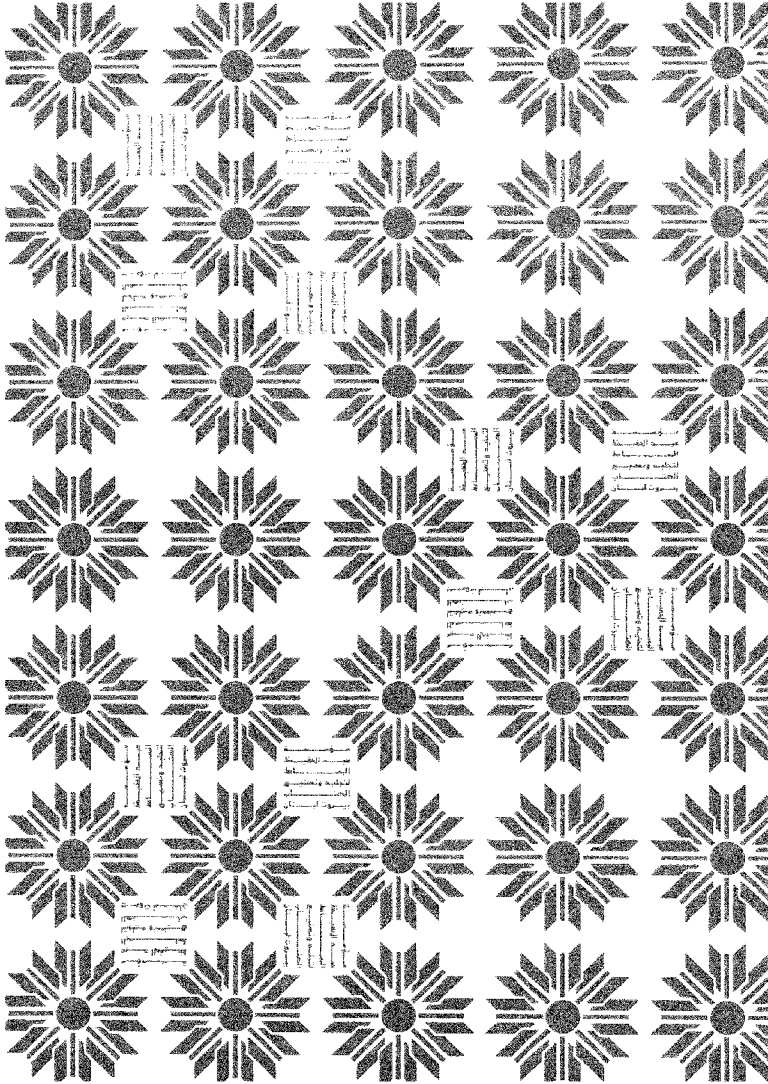
Small illegible text label in the fourth row, far-right position.

Small illegible text label in the fifth row, left position.

Small illegible text label in the fifth row, middle position.

Small illegible text label in the bottom row, left position.

Small illegible text label in the bottom row, middle position.



الخطوط
المتوازية
التي تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

الخطوط
المتوازية
التي تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

الخطوط
المتوازية
التي تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

الخطوط
المتوازية
التي تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

الخطوط
المتوازية
التي تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

الخطوط
المتوازية
التي تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

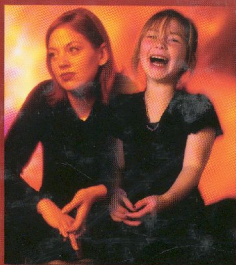
الخطوط
المتوازية
التي تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

الخطوط
المتوازية
التي تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

الخطوط
المتوازية
التي تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

الخطوط
المتوازية
التي تتكون
من
خطوط
مستقيمة
تتقاطع
في
نقطة
مركزية
تنتج
شكل
نجمي
متكرر

سيكولوجية الطفولة والمراهقة



دار أسامة

دار أسامة للنشر والتوزيع
دار المشرق الثقافي
الأردن - عمان

الإدارة/هاتف: 6 5658253 00962 فاكس: 6 5658254 00962

الخطابة/هاتف: 6 5658252 00962 ص.ب: 141781

www.darosama.com - info@darosama.com

darosama@wanadoo.jo